

على فكرى

# التعمير الموهذب

الجزء

دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان



0050295



Bibliotheca Alexandrina



# السَّمِيرُ المَهْدَبُ

مجموعة قصص تهذيبية ، وحكايات خلقية ، وأمثال أدبية

تأليف واختيار وتعريب  
السيد

علي فكري

المجلد الرابع

دار الكتب العلمية

طبعة ١٤٠٢ هـ / ٢٠٢١ م

« وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ »  
قرآن کریم

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »

حدیث شریف

« وَإِنَّمَا الْأَمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ »

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا »

شوق

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الموصوف بالخلق الكريم ؛ الذى مدحه الله بقوله : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا سنته ، وسلكوا طريقه المستقيم

وبعد فهذا هو الجزء الرابع من كتاب السميع المذهب وقد اختتمته ببده صغيره فى خلاصه سير عمر بن عبد العزيز ، وهارون الرشيد ، والمأمون ، وصلاح الدين ، وحمد على باشا ليكون ذكركم مثلاً صالحاً للأخلاق الفاضلة يهتدى به ، وقدوة حسنة لشبان اليوم ورجال المستقبل .

هذا وإنى أحمده الله كثيراً على انتشار هذا الكتاب فى مصر والأقطار الإسلامية شرقاً وغرباً حتى نفذت الطبعة الثانية منه وسيقوم حضرات أصحاب دار الكتب العلمية بإعادة طبعه للمرة الثالثة وفقهم الله دائماً لما فيه خدمة الأمة ونشر العلم والدين .

وانه لمن دواعي غبطتي وسروري أن أزف لحضرات القراء بشرى ترجمة  
 هذا الكتاب إلى بعض اللغات الشرقية وتقرير دراسته في مدارس تونس  
 والأقطار الإسلامية الأخرى وفي هذا دليل كاف على جودته وحسن فائدته .  
 وإنني لأرجو أن أكون بعملى هذا قد قمت ببعض الواجب على نحو  
 خدمة أبناء وطني العزيز الذي آمل أن أراه في مقدمة الأمم تقدماً وحضارة .  
 وما أردت إلا الخير والإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه  
 توكلت ، وبه استعنت ، فنعم المولى ، ونعم النصير .  
 والآن أقدمه للطبعة الثالثة ، سائلاً المولى أن يعم به النفع ويجزل به  
 الثواب ، إنه سميع مجيب .

على فكرى

رئيس المغيرين

بدار الكتب المصرية

سابقاً

العباسية في أول يوليو سنة ١٩٥٢

## منهج الأخلاق

١ — واجب الإنسان نحو نفسه :

ترقية الإنسان نفسه بنفسه . الاعتماد على النفس ( الجلد والسعى . قوة  
العزيمة . الثقة بالنفس . التواكل ومضاره ) — الكرامة واحترام النفس وعدم  
التبذل — الشجاعة والإقدام — الشجاعة الأدبية — الاعتدال — التوفير والاقتصاد —  
تدبير الوقت .

٢ — واجب الإنسان نحو أسرته

واجبه نحو أبويه ، وإخوته ، ونحو الخدم ، صلة الرحم .

٣ — واجب الإنسان نحو المدرسة :

احترام نظم المدرسة وقوانينها . واجب التلميذ نحو المربين . واجبه نحو  
رفقائه ، وأصدقائه .

٤ — واجب الإنسان نحو مهنته

الإخلاص ومراعاة الزمة في العمل . بذل الجهد فيه . محبة العمل والثبات  
فيه والمثابرة عليه . التضحية في سبيل المهنة . عناية الإنسان بكل ما يرقى مهنته  
ويعلى شأنها .

— ٦ —

٥ — واجبات وفضائل اجتماعية :

الصدق والأمانة — الوفاء بالوعد — العدل والإنصاف — الحلم وضبط النفس ( امتلاك النفس حين الغضب . كبح جماح الشهوات . صيانة اللسان )  
حسن المعاملة — التعاون ( التعاون المالى . الشركات والمصارف . الأندية العلمية والأدبية ) .

٦ — واجبات المرء نحو الإنسانية :

المواساة . الرحمة والعطف . الرفق بالضعيف . حقوق الحيوان وواجب الرفق به . الملاجئ . المستشفيات .



## الباب الأول

### واجبات الإنسان نحو نفسه

لإنسان نحو نفسه حقوق وواجبات لحفظ كيانه ، والدفاع عنها ، ولحفظ كرامته وسمعته . وتلك الواجبات تنقسم إلى ثلاثة أقسام : مادية - وصحية وأدبية .

الواجبات المادية — من واجبات الإنسان نحو نفسه أن يكد ويشغل ، وألا يتكل في تحصيل رزقه على أحد ، بل يعتمد على نفسه ليكسب عيشه ، ومادة حياته ، ولكيلا يصير عاطلاً وكلاً على الهيئة الاجتماعية ، ففي العمل ما دام شريفاً فائدة جوهرية للإنسان ، وما اللذة إلا بعد التعب ، وأما البطالة والكسل فهما لا يقلان ضرراً عن شرور الرذائل ، واقتحام الشهوات ، وارتكاب الموبقات .

وعليه ألا يكون مبهذراً في أمر معاشه ، بل يكون معتدلاً ومقتصداً في نفقاته ليحفظ نفسه من الوقوع في الدين وذله ومضاره .

وعليه ألا يضيع ماله في لعب الميسر ( القمار ) أو المضاربات في القطن أو الأوراق المالية أو اليانصيب ( اللوترية ) فإنها نذير الخراب ، فضلاً عن أنها حرام .

## — ٨ —

الواجبات الصحية — أما واجباته الصحية فتكون : باتباع ومراعاة القوانين الصحية ، بمعنى أن يحافظ الإنسان على سلامة جسمه ، بتناول الغذاء الصحى الجيد ، وتعاطى المشروبات النقية الخالية من الغش المفيدة لصحته مع الامتناع عن المشروبات الروحية قاطبةً ( المضرّة بجسمه وعقله وماله وشرفه ) وكذا جميع أنواع المخدرات والمغيبات .

وعليه أن يلبس الملابس الصحية المتينة ، وأن يتحرى النظافة والطهارة في بدنه وملبسه ، وأن يتجنب الانتقال السريع من الحر إلى البارد ، وألا يعرض نفسه لتيار الهواء ، وأن يروض جسمه بالمشى والألعاب الرياضية التي تعود عليه بالقوة والعافية ، لأن سعادة الإنسان في حياته لا تكون إلا بمقدار محافظته على صحته ، وعنايته براحته ، وإن شئت فقل : السعادة هي الصحة .

الواجبات الأدبية — أما واجباته الأدبية فتكون :

أولاً — في الاستمرار على تغذية عقله بالعلوم والمعارف ، لأن الإنسان مهما بلغت قيمته ، وعظمت منزلته لا يزال محتاجاً إلى العلم في جميع أطوار حياته .

ثانياً — أن يعرف قدر نفسه ، لأن أفضل مزية للإنسان هي أن يعرف نفسه ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه .

وقد جاء في الأثر : « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .  
أى أن يعرف مبلغ علمه ، ومقدار مواهبه العقلية من ذكاء وفطنة  
وذاكرة وقريحة ، وقواه الجسدية والمادية ، ومقامه الأدبي ، ونفوذه ، ومركزه  
في الهيئة الاجتماعية .

وبالإجمال يعرف كل صفاته ومزاياه ، حتى لا يكون مخدوعاً بحب نفسه ،  
مغروراً بها ، مدّعيّاً بما ليس فيه ، ومن يقارن أفعال المرء العارف قدر نفسه ،  
بأفعال الشخص المغرور المدّعي ظهرت له قيمة تلك المزية ؛ فالأول يتكلم بما يعلم  
فيُحترم ، والثاني يهرف بما لا يعرف فيُحتقر ، وذلك يدعى ما فيه من المزايا  
فيحسن الظن به ، وهذا يدعى أكثر مما فيه ، فتكذبه شواهد الامتحان ،  
فيذل ويهان ، وذلك يسمى على قدر علمه وطاقته فينجح ، وهذا يسمى فوق  
طاقته فيخذل ويفشل .

وذلك يسمى عن علم وخبرة فينال على قدرهما ، وهذا يخطئ عشاء  
فيخيّب .

وهكذا تكون مساعي الأول في الغالب صائبة ، ومساعي الثاني خائبة .  
والناس يميزون بلا شك بين أفعال الاثنين ، فيمدحون الأول ويذمون  
الثاني .

ثالثاً - أن يكون محباً لنفسه ، أى مراعيّاً لخير نفسه ، دافعاً عنها كل ما يضره

ويؤذيه في حياته ؛ لأنه ليس أعز على الإنسان من نفسه ، ولولا حب النفس لما كان البقاء ، لأنه هو الدافع للمرء على السعى في طلب الرزق والارتقاء ، وتنازع البقاء .

ولكن يجب أن يقف به ذلك عند حد الاعتدال بحيث لا يدفعه للإساءة إلى الغير ، فإن ذلك رذيلة مكروهة تجر على صاحبها الوبال والخسران ؛ بل يجب أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه عملاً بقوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

رابعاً - أن يكون محترماً لنفسه ، ملتزماً ما يوجب احترامها عند الغير باتباع أحسن الآداب ، وانتهاج خير السبل في الأمور الاجتماعية لأن كل ما يبدو منه شائناً في كلامه أو زيه أو حركاته أو مخالفة جنسه أو خشونة طبعه ، أو شراسة خلقه ، ينقص من قدره ، ويحط من منزلته بقدر ما عنده من الرذائل مهما كانت ثروته أو رتبته أو جاهه .

خامساً - أن يقاوم نفسه وهواه ، وأن يحافظ على نفسه من الوقوع في بؤرة الشهوات والموبقات ؛ لأن الرجل الذي يدمن الخمر ، ويطرق بيوت الخفا والدعارة ، ويتعاطى الحشيش وغيره من أنواع السموم ، ليس في حكم الشرع والأدب برجل الهيئة الاجتماعية الذي يرجى خيره ؛ بل هو شر على المجتمع الإنساني لسكثرة ذنوبه ومساويه ومثل هذا يجب تجنبه تفادياً من ضرر أخلاقه المعدي كما يتجنب السليم الأجرب .

## - ١١ -

فواجب الإنسان نحو نفسه يقضى عليه ، حيال شرفه ، وإزاء فائذته ،  
ونفع أهله ومصلحة هيئته ، ألا يكون سكيراً ، ولا حشاشاً ، ولا محباً للفساد ؛  
بل يكون رجلاً مستقيماً شريفاً .

### الخلاصة

واجبات الإنسان نحو نفسه ، أى نحو جسمه وروحه .  
واجباته نحو جسمه تكون بمراعاة القوانين الصحية من حيث جودة الغذاء ،  
وجودة الهواء ، ونظافة البدن ، والرياضة وغيرها .  
واجباته نحو روحه تكون باستمراره على تغذية عقله بالمعارف وتعلم العلوم ،  
والابتعاد عن البطالة والكسل وأن يكبد ويشغل ، وألا يتكل على أحد في  
تحصيل رزقه ، بل يعتمد على نفسه .  
وأن يعرف لنفسه قدرها ، فلا يكون مغروراً ، ولا مدعياً فخوراً ، وأن  
يكون محباً لذاته ، والدفاع عن كيانه ؛ بحيث لا يضر أحداً غيره في جسمه  
أو ماله أو عرضه ، وأن يكون محترماً لنفسه ليكون محترماً عند غيره ، وأن  
يتغلب على نفسه وهواه ، ويبتعد عن ارتكاب المحرمات ، والوقوع في بؤرة  
الفساد والشهوات ، ليكون رجلاً مستقيماً شريفاً .

التربية الاجتماعية

للى فكرى

## ترقية الإنسان نفسه بنفسه

يجب على الإنسان أن يرقى نفسه بنفسه ، لأن الرجل إذا صغرت نفسه لم يرض لها من أحواله وأطواره إلا ما يشاكل منزلتها عنده ، فتراه صغيراً في علمه ، صغيراً في أدبه ، صغيراً في مروءته وحمته ، صغيراً في ميوله وأهوائه ، صغيراً في جميع شؤونه وأعماله ، فإن عظمت نفسه عظم في جانبها كل ما كان صغيراً في جانب النفس الصغيرة .

ولقد سأل أحد الأئمة العظماء ولده وكان نجيباً : يا بني ، أى غاية تطلب في حياتك ؟ وأى رجل من عظماء الرجال تحب أن تكون ؟ فأجابه : أحب أن أكون مثلك يا أبت .

فقال : ويحك يا بني ! لقد صغرت نفسك ، وسقطت همتك ، فلتبك على عقلك البواكي ، لقد قدرت لنفسى يا بني في مبدأ نشأتى أن أكون كهلى بن أبى طالب ، فازلت أجده وأكده حتى بلغت المنزلة التى تراها ، وبينى وبين على ما تعلم من الشأو البعيد ، والمدى المستطيل ، فهل يسرك وقد طلبت منزلتى أن يكون ما بينك وبينى من المدى مثل ما بينى وبين على ؟

وجاء فى المأثور عن معاوية رضى الله عنه أنه قال : هموا بعمالى الأمور لتعالوها ، فإنى لم أكن للخلافة أهلاً فهمت بها ففنتها .

## - ١٣ -

وجاء في التاريخ أن الرجل العظيم ( برناروت ) رأس الأسرة الحاكمة على السويد لم يكن في إبان أمره إلا عاملاً صغيراً في مصنع وكان ينجح إليه أثناء العمل أن هاتفاً يهتف في أذنه بكلمة ( ستكون ملكاً ) فطمق من حينه يعمل لتحقيق هذه النبوءة حتى صار ملكاً .

وكذا ( نابليون بونابرت ) وصل بنفسه من ضابط صغير إلى امبراطور فرنسا . وجاء أخيراً في الأخبار عن أمريكا : أن المستر هوفر ( رئيس الولايات المتحدة ) كان في بدء حياته بائعاً للصحف فجده وسعى وارتقى بنفسه حتى وصل إلى أعظم مركز في بلاده .

وكذا محمد علي باشا ( رأس الأسرة المالكة ) وصل بجده من رتبة صغيرة في الجيش إلى مركز : واليه مصر الأكبر ، ومؤسس دعائم نهضتها الحديثة .

وكان المرحوم عبد الله باشا فكري ( وزير المعارف سابقاً ) طالباً بالأزهر الشريف ، ثم كان كاتباً ، ولم يزل يطلب العلم في وقت فراغه ويرقى من منصب إلى منصب حتى ولى وزارة المعارف العمومية .

ونشأ رفاة بك رافع الطمطاوى فقيراً ، ثم غداً عالماً خفافاً من أعلام النهضة المصرية الحديثة بجده وقوة عزيمته ، وارتقى بنفسه .

ومن أعظم الرجال المعدودين في نهضة مصر العلمية المرحوم على باشا مبارك . وكان فقيراً وعهد إليه أبوه برعى الماشية ، ولكنه هرب وذهب إلى مدرسة ( الخانقاه ) وأخذ في طلب العلوم والمعارف حتى وصل به الأمر إلى

التربع فى دست الوزارة فكان وزيراً للأشغال والأوقاف والمعارف ، وحيّة هذا الرجل أخّر وأعلى مثال لترقية النفس بالنفس .

فيا طالب العلم كن على الهمة ، ولا يكن نظرك فى تاريخ عظماء الرجال نظراً يبعث فى قلبك الرهبة والهيبه ، فتتضاءل وتتصاغر ، كما يفعل الجبان المستطار ، حيناً يسمع قصة من قصص الحروب ، أو خرافة من خرافات الجن ، وحذارٍ أن يملك اليأس عليك قوتك وشجاعتك ، فتستسلم استسلام العاجز الضعيف وتقول : مَنْ لى بسم أصد به إلى السماء حتى أصل إلى قبة الفلك فأجالس فيها عظماء الرجال .

يا طالب العلم أنت لا تحتاج فى بلوغك الغاية التى بلغها المتقدمون الراقون النافعون من قبلك إلى خلق غير خلقك ، وجوّ غير جوّك ، وسماء وأرض غير سماءك وأرضك ، وعقل وأداة غير عقلك وأداتك ، ولكنك فى حاجة إلى نفس راقية كنفوسهم ، وهمة عالية كهممهم ، وأمل أوسع من رقعة الأرض ، وأرحب من صدر الحليم ، ولا يثبطنك ما يهمس به حاسدوك فى خلواتهم من وصفك بالسماجة ، فنعم الخلق هى إن كانت السبيل إلى بلوغ الغاية ، فامض فى وجهك ، ودعهم فى غيهم يعمهون .

جناحان عظيمات يطير بهما المتعلم إلى سماء الجد والشرف : علو الهمة ، والاعتماد على النفس ، والجهد والسعى .

فلترقية الإنسان نفسه بنفسه ، يجب أن يكون قوى الإرادة والعزيمة يجد



ويسعى لما فيه نفعه وتقدمه ، واثقاً بنفسه ، معتمداً عليها ، محترماً لها ، حافظاً  
لكرامتها ، شجاعاً مقداماً ، معتدلاً ، مدبراً في ماله ووقته .

### المرء حيث يحمل نفسه

كان ( كافور الإخشيدي ) وصاحبه عبيد أسودين ، فجىء بهما إلى  
قطائع ابن طولون صاحب الديار المصرية وقتئذ ليباعا في أسواقها ، فتمنى  
صاحبه أن يباع لطباخ حتى يملأ بطنه بما شاء ، وتمنى كافور أن يملك هذه  
المدينة ليحكم وينهى ويأمر .

وقد بلغ كل مناه ، فبيع صاحب كافور لطباخ ، وبيع كافور لأحد قواد  
المصريين فآظهر كفاءةً واقتداراً .

ولما مات مولاه قام مقامه واشتهر بذكائه وكال فطنته حتى صار رأس  
القواد ، وصاحب الكلمة عند الولاة ، وما زال يجتهد ويحسب حتى ملك مصر  
والشام والحرمين .

ثم مرّ يوماً بصاحبه فرآه عند الطباخ بحالة سيئة فقال لمن معه :  
لقد قعدت بهذا همته ، فكان كما ترون ، وطارت بي همتي فكنت كما  
ترون ، ولو جمعتني وإياه همة واحدة لجمعنا عمل واحد .

ولله در عمرو بن العاص حيث يقول : المرء حيث يحمل نفسه ، إن رفعها  
ارتفعت ، وإن وضعها انضعت .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فكأن طالباً في الناس أعلى المراتب

### الاعتماد على النفس

الحياة جهاد وكفاح ، ولا يفوز في معتركها إلا من ثابر على أداء عمله ، معتمداً على نفسه ، والاعتماد على النفس هو أن يباشر الإنسان أعماله بنفسه ، وينظر في أحواله وحده ، فلا يحتاج إلى معين يعينه ، أو شريك يشاركه ، ما لم تكن تلك الأعمال ، وهذه الأحوال ، مما تجب فيه المساعدة والإعانة ، فإن الإنسان محتاج إلى التعاون في أشياء كثيرة ، لا تبعث فيه خالق التواكل ، ولا تجعله من أهل الكسل إن اعتمد فيها على غيره .

والاعتماد على النفس أصل كل نجاح ، وأساس الرقي والصلاح ، يدعو صاحبه إلى الجِدِّ ، ويسوقه إلى النشاط ، ويقتل من نفسه خلق التواكل ، الذي أضر الناس كثيراً ، وحط من قدرهم ، ووضع من شأنهم .

فالواجب على المرء أن يتولى جميع أموره ، وألا يعول على غيره ، وأن يعتمد على نفسه ، كما قال الشاعر :

« ما حكت جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك »

وكما قال الطغرائي :

## - ١٧ -

« فإِنما رجل الدنيا واحداً من لا يعول في الدنيا على رجل »  
 « وقل من عاش في الدنيا على أمل واستنجد الجد إلا فاز بالأمل »  
 وليس من حرج في الاسترشاد بذوى العقول الراجحة ، والآراء الصائبة ،  
 ممن يعتقد فيهم الصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، فذلك يضيف  
 المرء عقولاً إلى عقله ، ويجمع آراء إلى رأيه ، غير أنه لا ينبغي أن يبلغ ذلك  
 منه مبلغ الكسالى العجزة ، فيفقد شخصيته ، ويذهب بقوته ونشاطه ،  
 والاعتماد على النفس من أسباب رقي الأمم وتقدمها ، فإذا وجد في الأمة أفراد  
 يعتمدون على أنفسهم ، ولا يحتاجون إلى مشاركة غيرهم ، تقدموا وتقدمت  
 بلادهم ، بكدهم واجتهادهم ، وارتقوا وارتقت أوطانهم ، وعزوا وعزت أمتهم .  
 فرق البلاد وانحطاطها ، وتقدمها وتأخرها ، كل ذلك مرتبط بالأفراد ،  
 وارتباطهم بقوة الاعتماد ، وما الأمة إلا جسم أعضاؤه الأفراد ، فالعامل الجدد  
 النشط ينشطه ، والخالل يضعفه ، فلو استؤصل الجهلاء ، وقطع دابر الكسالى ،  
 نما ذلك الجسم ، وترعرع وقوى واشتد ، وقدر على أن يرتفع بنفسه إلى ذروة  
 العلا والكمال .

فكل واحد من أفراد الأمة العاملين يعمل لنجاحها وتقدمها ، ورفقها  
 وفلاحها ، ينفعه ما ينفعها ، ويضره ما يضرها ، لا فرق في ذلك بين الصانع  
 الصغير ، والأمير الكبير ، فلولا الصغير ما كان الأمير ، ولولاها ما كانت  
 الأمة .

وإن كثيراً من العطاء والكبراء اكتسبوا عزم هذا ، باعتمادهم على أنفسهم ، وجدهم ونشاطهم ، ولم يكونوا من أولاد الأغنياء ، وأهل الثراء ، فرب عامل فقير معتمد على نفسه ، سبق الغنى الحامل المعتمد على غيره ، وكان نوراً يهتدى به مفاخروه ، ومن يخلفهم جيلاً بعد جيل .

فالغنى ليس شرطاً لنيل السعادة والمجد ، بل قد يكون سبباً في التأخر ، وعدم النجاح والسقوط في مهاوى الجهل ، لأن صاحبه قد يعتمد على ثروته ، فلا يعمل لمستقبله ، حتى إذا ذهبت تلك الثروة ، وبددت تلك الأموال ، ساءت حاله ، فكان من الخاسرين . وذلك جزاء من لم يعتمد على نفسه .

ومما يبعث هذا الخلق الطيب ، ( الاعتماد على النفس ) في نفوس الأفراد اطلاعهم على من اجتهدوا وجدوا ، معتمدين على أنفسهم ، غير مباينين بالشدائد ، ولا مكترئين بالنوائب ، حتى نالوا أعلى الرتب والألقاب ، واستحقوا غاية الإعجاب .

فالعاقول من اقتدى بالفضلاء والعطاء ، واعتمد على نفسه ، حتى يكون مثلهم ، وينال شرفهم .

— ١٩ —

عزيز النفس يعتمد على نفسه

دخل عمرو بن سعيد على معاوية بعد موت أبيه وعمرو يومئذ غلام فقال  
له معاوية : إلى من أوصى بك أبوك يا عمرو ؟  
قال : إن أبي أوصى إليّ ، ولم يوص بي  
قال : وبأي شيء أوصاك ؟  
قال : أوصاني ألا يفقد إخوانه إلا شخصه  
فقال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيد هذا سيكون نعم الخلف لأبيه .

## ذكر بعض من نبغوا من العرب

### باعتقادهم على أنفسهم

إن تاريخ العرب حافل بالأمثلة والشواهد على أن الاعتماد على النفس قد يصل بالإنسان إلى ما يقصر عنه جاهه وحسبه . وإليك ذكر بعض من نبغوا من العرب ، وأمم الشرق ، وداسوا الفقر الذي ولدوا فيه ، وجعلوه سائلاً لبيع ذرا الجند :

١ — أبو الطيب المتنبي كان أبوه سقاء ؛ ولكنه رقى بتوقد ذهنه ، وبلاغه شعره ، أسمى المراتب ، وجمعت حكمه فكانت مثل حكم أرسطاطاليس كبير الفلاسفة في اليونان

٢ — جرير الشاعر المشهور — كان أبوه فقيراً معدماً ، واقتد سأل رجل : من أشعر الناس ؟

فقال له : قم حتى أعرفك الجواب

فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه ( عطية ) وقد أخذ عنزاً فاعتقلها وجعل يمسضرعها ، فصاح به : اخرج يا أبتـ

فخرج شيخ دميم الخلقة ، رث الهيئة ، وقد سال ابن العنز على لحيته

فقال جرير للسائل : أشعر الناس ، من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً ، وقارعهم به فغلبهم جميعاً

## - ٢١ -

٣ - أبو تمام حبيب الطائي - نشأ بمصر ، وكان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع عمرو وقيل : إنه كان يخدم حائكاً ، ويعمل عنده بدمشق وكان أبوه خماراً بها

ثم قال الشعر البليغ ، وجمع الكتب النفيسة ، وكان واحد عصره في دياحة انظاره ، وصناعة شعره ، وحسن أسلوبه ، وله كتاب الحماسة الذي دل على إتقان معرفته بحسن اختياره

٤ - أبو بكر الرازي الطبيب المشهور - كان في شببته يضرب بالعود ، ثم أقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة ، فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها ، فصار إمام عصره في علم الطب ، وصنف فيه الكتب النافعة كالحوي ، والجامع ، وغيرها

٥ - ياقوت الحموي - المؤرخ المشهور صاحب كتاب معجم البلدان - أسر من بلاده صغيراً واشتراه تاجر ببغداد اسمه إبراهيم الحموي ، فلما كبر شغله بالأسفار في متاجره فأحرز أشنتات الفوائد التي دونها في مصنفاته الجليلة . ومعجم البلدان من أجل الكتب الموضوعة في علم تقويم البلدان ( الجغرافية )

٦ - المعز لدين الله - أول خلفاء الفاطميين ومؤسس القاهرة . يقال : انه لما دخل مصر قام له عالم جرىء من العلماء يسمى ابن طباطبا وقال له : إلى من ينتسب مولانا الأمير ؟ فقال له المعز : سنعتقد مجلساً يجمعكم ، ونقص غليكم نسبنا ، ولما استقر له الأمر جمع الناس بقصره وقام بينهم وجرده سيفه من غمده

## - ٢٢ -

ورفعه قائلا : هذا نسبي ، ثم نثر عليهم بذرًا من الذهب قائلا : وهذا حسي  
٧ - الأمير أبو شجاع - أسر صغيراً من بلاد الروم ، ثم اشتهر بالشجاعة  
والإقدام ، وصار من الأمراء العظام ، وهو الذي مدحه أبو الطيب المتنبي في  
قصيدته المشهورة التي في مطلعها :

« لا خيل عندك تهديها ولا مال      فليسمد النطق إن لم تسعد الحال »

٨ - ابن الزيات وزير المعتصم - كان أبوه زياتاً وكان هو كاتباً يباب  
المعتصم فاستوزره لأدبه وعلو همته وهو الذي مدحه البحتري بقوله :  
« وأرى الخلق مجمعين على      فضلك من سيد ومسود »

## الجد والسعي

إن نظام الحياة يتطلب السعي والجد ، ومصالح الحياة لا تقوم إلا باشتراك  
الأفراد ، حيث يقوم كل واحد بعمله ، فيجب على كل مخلوق أن يكد ويشغل  
ولا يتكسل في تحصيل رزقه على أحد ، بل يعتمد بعد اعتماده على الله ، على  
نفسه وقوته ، ليكسب عيشه ، ومادة حياته بعرق جبينه ، ولكيلا يصير  
عاطلاً ، وعالة على الهيئة الاجتماعية ، عملاً بقوله تعالى : « هُوَ الَّذِي جَعَلَ  
لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ »



وقوله ﷺ :

« ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده »

الرزق وإن كان مقسوماً ، ولكن السعي في طلبه أمر محتم على كل فرد ، والناس في ميدان الحياة يتسابقون إلى الرزق ، فأقوام أسبقهم ، وأكثرم سعياً أرقامهم ، وأسعدهم حالاً ، وأهدأهم بالاً ، وقد جاء في الأثر : « إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا »

وبعض الناس يغلو في التوكل ، والتسليم إلى القضاء والقدر ، حتى يكفر بنعمة الله ، فيعتقد أن لكل إنسان ما قسم له من سعادة أو شقاء ومن سعد أو نحس ، وأن المساعي والوسائط كلها عبث وباطل ، مع أن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته تنزهه عن الأغراض ، حث على السعي في طلب الرزق ، فقال تعالى « وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَى » وقال عز وجل : « وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » كما أن رسول الله ﷺ روى عن ربه ، أن الله يقول : يا عبدي حررتك يدك أضمن لك الرزق

ودعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى العمل وطلب الرزق ، كما روى في بعض الآثار : اطلبوا الرزق في خبايا الأرض

وقال عليه الصلاة والسلام : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وقال عمرو بن العاص : « اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

## - ٢٤ -

وجاء في الأثر : « إن الله يحب المؤمن المحترف »  
 وجاء أيضاً : « إن من الذنوب ذنباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام  
 ولا الحج ولا العمرة ، ويكفرها الهموم في طلب المعيشة »  
 وجاء في بعض الكتب السماوية « ابن آدم امدد يدك إلى باب من العمل  
 أفتح لك باباً من الرزق » وجميع الشرائع تحتم السعي للرزق ، وتأمر بالكسب  
 مع الرفق في الطلب ، والتوكل على الله في السعي ، ليكون الرجاء بالكسب  
 أقوى ، ولا تستئصل جرثومة اليأس أقطع ، والعزيمة على السعي أمضى  
 وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يحض الناس على السعي ، ويحثهم  
 على العمل والكسب فما يؤثر عنه أنه مرّ بأناس من أهل اليمن فقال لهم : من  
 أنتم ؟ فقالوا : متوكلون ، فقال : كذبتُم ، ما أنتم متوكلون ؛ إنما المتوكل رجل  
 ألقي حبه في الأرض وتوكل على الله ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :  
 يا معشر القوم ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق واستبقوا الخيرات ولا تكونوا  
 عيالاً على المسلمين

وقال أيضاً : تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة  
 وقال أيضاً : لولا هذه البيوع لصرتم عالة على الناس  
 وقال أيضاً : مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسئلة الناس ( أى سؤال  
 الناس ) وكان رضى الله عنه إذا رأى فتى فأعجبه حاله سأل عنه هل له حرفة ،  
 فإن قيل : لا . سقط من عينه  
 وكان يقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد

علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضةً ، والله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض

وقال أيضاً : يامعشر القوم التمسوا الرزق ولا تكونوا عالةً على الناس وقال بزرجمهر : إن يكن الشغل مجهدة ، فإن الفراغ مفسدة

وقال بعض الحكماء : اجعل الاجتهاد غنيمة صحتك ، والعمل فرصة فراغك ، فليس كل الزمان مؤاتياً لك ، ولا ما فات مستدركاً

وقال بعض السلف : إن الله تعالى جعل طلب الرزق مقصوداً على الخلق كله ، وأهل التحصيل والنظر يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرز وأهل العجز والكسل يطلبونه بأقبح وجوهه من السؤال والاتكال والخلابة ( الخديعة ) والاحتيال

وقال بعض العقلاء : لا تَمْضِ يومك في غير منفعة ، ولا تضع مالك في غير مصنعة ، فالعمر أقصر من أن ينفد في غير المنافع ، والمال أقصر من أن يصرف في غير الصنائع ، والماثل أجل من أن ينفى أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره ، وينفق أمواله فيما لا يحصل له ثوابه وأجره

وقال الشاعر :

« وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألدّ ذلوك في الدلاء »  
 « تبيء بملئها طوراً وطوراً تبيء بحمأة وقليل ماء »  
 « ولا تقعد على كسل التمني تحيل على المقدر والقضاء »

## - ٢٦ -

« فإن مقادر الرحمن تجري بأرزاق الرجال من السماء »  
 « ومقدور بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء »

وقال آخر :

« إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر »

وقال آخر :

« على المرء أن يسعى ويبذل جهده ويقضى إليه الخلق ما كان قاضياً »

وقال :

« دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان »  
 وجاء في الحكم : العاقل من يعتمد على عمله ، والجاهل من يعتمد على  
 أماله .

والنتيجة : أن حظ الإنسان من المكافأة والنجح في الدنيا والآخرة  
 سيكون على قدر ما يبذله من العمل والسعى ، خيراً أو شراً ، قليلاً أو كثيراً ،  
 وجاء هذا المعنى أيضاً : إن الله يعطي العبد على قدر همته ونهمته

وما ورد في السنة النبوية من التنويه بشأن العمل : أن النبي ﷺ كان  
 جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جِلْدٍ وقوة قد بكر يسعى  
 فقالوا : ويح هذا ! لو كان شبابه وجلده في سبيل الله أى في الطاعات  
 البدنية من صلاة وصيام وجهاد

— ٢٧ —

فقال ﷺ « لا تقولوا هذا ، فإنه إن كان خرج يسى على ولده صفاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسى على نفسه ليُعَفِّها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان »  
وسبيل الله كما يفهم من هذا الحديث - كل طريق يسلكه الإنسان في تحصيل ما به خيره وسعادته وهناؤه ، بشرط أن يكون سعيه مرتكزاً على نية صالحة ، وقصد كريم .

## حكاية الراعى جان

### مثال الجد والاجتهاد

جان فتى صغير ، كان أبوه راعياً يرعى قطعان بلده وخراف الأغنياء فيها ، فمات ، وجان يكاد يكون طفلاً لا يملك سوى كوخ صغير حقير واعمجتين ضعيفتين فلم يسلمه الأغنياء نعاجهن ليرعاها ، ولكنه رزق شيخاً شاباً فى الحروب ناصيته فكفله بعض الكفالة ومصرنه على رعى الخراف وتربيتها حتى جاء موعد معرض المقاطعة ، فذهب جان الصغير بنعجته إلى ذلك المعرض الذى يتسابق فيه الكبراء والأغنياء والعلماء وبعد الجمهور الفوز فى هذا المعرض فوزاً كبيراً يرف إلى صاحبه التهانى ويحتفون به الحفاوة الكبرى .

عرضت الخراف المسمنة فى ذلك المعرض ، لحكم لجان بالجائزة ، وحكم انعجته بالتفوق على سواها ، وعلق مدير المعرض على صدره الميدالية ، ووصل أنخبر إلى قريته ، فنهض أهلها نهضة الرجل الواحد للحفاوة بجان وإكرامه وإجلاله ، وأعدت الفتيات له الهدايا وعمل الفلمان له الأزاهير والتحف ، وقرع الشبن ناقوس الكنيسة ، وخرج رجال القرية وأمامهم عمدتها وشيوخها لمقابلة جان الراعى فخر القرية ، ولمقابلة نعجة جان التى كللت بالأزاهير والرياحين وسار جان الراعى الصغير فى هذا الجمع إلى كوخه ور بط نعجته كما يسير البطل المغوار إلى عاصمة الملك ومقر الغزاة الظافرين .

## - ٢٩ -

وصل جان إلى ذاك السكون الذى غادره خالياً خاوياً فإذا به ملآن بهدايا  
أهل القرية جزاء له على جده واجتهاده . فقد أهدى له كل رجل وكل امرأة  
شيئاً يروقه . فالمشروب والمأكول والأزاهير والملابس حتى الحذاء أهدته إلى  
جان إحدى السيدات لأن جان لم يكن يملك حذاء .

وهناك أمام كوخ جان وقفت الموسيقى تعزف بأطيب الألحان وأخذت  
فتيان القرية وفتياتها يرقصون ويطربون إكراماً للراعى الصغير فخر قريته ،  
وجاء لزيارته طائفة من كبار القرية الذين تقدموا إلى جان فهناؤه  
وعرضوا عليه رعاية أغنامهم بأجور عالية بعد أن كان يطلب منهم ذلك فيردونه  
ولا يصغون إلى طلبه .

هكذا كوفئت الفضيلة ، فضيلة العمل ، وبمثل هذا يحتفى أولئك القوم  
الذين تقدموا كثيراً بالمعاملين من أبنائهم ، وليس الاطلاع عندهم بالشعر والنثر  
فقط ، بل هو بالإجادة فى كل عمل من الأعمال ، ولا يحتقر العمل لذاته ؛ بل  
يعظم كل عمل لفنعه وفائدته .

الإصرام

### حسن نتيجة السعى والعمل

يحكى : أن أحد الأغنياء كان له أرض دخلها خمسمائة جنيه في السنة فكثرت عليه الديون بسبب إسرافه وتبذيره حتى التزم أن يبيع نصفها لأحد الفلاحين المجتهدين المدبرين ويرهن النصف الآخر .

وبعد مضي مدة أتى الفلاح إلى الغنى صاحب الأرض وسأله إذا كان يريد أن يبيعه بقية الأرض فدهش الغنى من سؤاله وقال له : هل تقدر أن تشتريها ؟ فقال الفلاح : أقدر إذا اتفقنا على الثمن . فقال الغنى : عجبا ! أخبرنى لماذا لم يكن إيراد هذه الأرض يكفينى ولم أدفع منه شيئا ؟ وأما أنت تدفع لى مائة جنيه سنويا ضمانا وقد صرت قادرا على مشتري الأرض كلها وليس لك مدة طويلة .

فأجابه الفلاح : السبب واضح يا سيدى . وهو أنك تجلس فى قصرك على بساط الراحة معتمداً على ثروتك وإيرادك وتقول لعمالك : اذهبوا للعمل ، ولكن أنا أقوم مبكراً من بيتى وأقول لولدى :

هيا بنا نسعى إلى النيط نحرث الأرض ونزرعها ونحصدها ونجنى ثمرها . أنت تنام على سرير الراحة ، وتصرف أموالك فى بحبوحتك ومسرتك ، وأنا أقوم صباحاً وأشتغل بنفسى وأدير حركة أعمالى معتمداً على الله فى كل الأمور ، ولا أصرف أموالى إلا فى تحسين أحوالى ، فنجعل الغنى من كلامه ، وعرف أن السعادة لا تنال إلا بالسعى والعمل وترك البطالة والكسل .



## البطالة والكسل

أما البطالة والكسل فهما لا يقلان ضرراً عن شرور الرذائل واقتحام الشهوات ، وارتكاب الموبقات ، كما قال الشاعر :

« إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أى مفسده »

وقال أحد العلماء : البطالة شر من الرذيلة ؛ بل هى أم الرذائل والشرور ، ومصدر الانحلال والاختلال ، كما أن الكسل سبب الاعتلال والنل والشقاء ، فقد يضع الرقيق ، ويذل العزيز ، وكمن غنى أصبح معدماً بكسله ، وكمن فقير انتقل من الفقر إلى الغنى بعمله وكده .

وقد نظم أحد الشعراء قصيدة فى وصف أحوال الشبان الكسالى تقتطف منها ما يأتى :

« لقد تجشمت فى شبابتنا الكسل	وفى بلاهى الهوى أمسى لهم عمل »
« أراهم فى القهاوى يصرفون سدى	وقتاً ثميناً سوام فيه يشتغل »
« سوام أدركوا فيه العلا وهم	لولا الجهاد إلى العلياء ما وصلوا »
« تُحيا ليالهم بالمنكرات وفى	إحياء تلك الليالى يقتل الأمل »
« إلى الملاهى صرقت كل همكم	شبابنا ليس هذا شأن من عقلوا »
« قصف وهو وسكر ميسر وزنا	تصيب أجسامكم من بعده العلل »
« أنتم أصحاب فى الأبدان لا عوج	فيكم ولا عرج كلا ولا شلل »
« عن النبوغ ترى ماذا يعوقكم ؟	وفى البطالة كل منكم بطل »

## - ٣٣ -

« أنتم تريدون أن ترقوا بلا تعب وأن يخر لديكم صاغراً زحل »  
 « وسائر الناس يقضون الحياة على جد وكد ولا شكوى ولا ملل »  
 وفي الحقيقة أن الإنسان في هذه الحياة لا يرقى ولا يسعد إلا بالكد  
 والعمل لا بالاستسلام إلى البطالة والكسل .

### سوء عاقبة الكسل

كان لرجل غنى ولد وحيد اسمه ( موسى ) وعنده وكيل على أملاكه له  
 ولد اسمه يوسف ، وكلا الولدين في عمر واحد وأحب بعضهما بعضاً محبةً شديدةً ،  
 لأنهما ربيبا معاً ، وأحب أبو موسى ابن وكيله يوسف وأدخله المدارس على  
 نفقته الخاصة .

وموسى هذا لم يكن يرغب في الدرس كثيراً ؛ أما يوسف فلم يقطع عن  
 الدرس حتى في أوقات الفراغ فاجتذب قلوب معلميه ورفقائه إليه .  
 وباجتهاده نبغ في دروسه ، وفاق أقرانه ، بخلاف موسى فإنه كان لا  
 يدرس ولا يصنى إلى إرشاد معلميه ، بل يصرف أوقاته في اللعب واللهو ، ومتى  
 حثه أحد على الدرس أجاب : إن لأبى أملاكاً واسعة ، وفي عزى أن أكون  
 فلاحاً ، وزد على ذلك فإنى الآن في أول الحياة وأماى سنون طويلة أستطيع  
 فيها تحصيل العلوم بأسرها في أى وقت اعتكفت فيه على المطالعة والدرس .

وكان أبوه يشجعه على هذا الفكر ، ولم يشأ أن يزججه أو يكدره وهكذا مضت عليه سنوات عديدة في المدرسة بلا فائدة ، ثم أخرجه والده من المدرسة وأراد أن يقيمه وكيلاً على أملاكه ، ولكن موسى اتخذ له أصحاباً من السفلة الأشقياء ، وتعلم لعب القمار ، وصار يلهو عن الأشغال بالملهي والطرب والبذخ ، فاجتهد أبوه أن يهذب أخلاقه فلم يقدر ، لأنه مضى عليه الوقت وأخيراً مات الأب وفي قلبه من الندامة والحسرة والأسف على تركه ابنه في الصغر بدون تعليم وتأديب ، مالا يوصف

وتوغل موسى في الشرور والإسراف بعد موت أبيه إلى درجة أوصلته إلى بيع أملاكه كلها حتى أمسى بلا مأوى . وكانت عاقبته وبالا وخسرانا أما يوسف رفيقه بالمدرسة فقد نجح وتقدم ، فالتفت إليه وساعده كثيراً ، وقبله في بيته طول حياته ، وأصبح السيد المسود بفضل جده واجتهاده ، وحقيقة : إن من جدٌ وجد ، وإن من كسل خاب وندم .

## قوة العزيمة

هي القوة التي تدفع الإنسان إلى الإقبال على الأعمال بلا تردد  
ينظر الإنسان إلى العمل في أول الأمر فيراه صعباً يستلزم جهداً ووقتاً  
طويلاً ، فيخاف منه قبل الشروع فيه ، ولذلك يتردد في الإقدام عليه ، وكما  
طال ترده استصعبه ووهن عزمه فيرجع عنه  
على أن هذه الصعوبة تزول عند مزاوله العمل ، والاستمرار فيه والثبات  
عليه ، حيث يألفه ويعتاده ، ويهتدى إلى طريقه القويم  
فإذا أقدمت يابني على عمل فلا تتردد فيه ، واعمل بقول الشاعر الحكيم :  
إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة      فإن فساد الرأى أن تتردداً  
وإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلاً      فإن فساد العزم أن تتقيداً  
فبذلك يسهل عليك كل صعب ، وتبلغ كل طلب  
ولقد حث الدين على الثبات في الأمور ، وقوة العزيمة فيها ، في قوله  
تعالى :

« فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ »

لأنه كثيراً ما تعرض بعض العوائق فتخورهم ضعاف العزائم ، فلا  
يتمون أمراً ، ولا يصلون إلى غاية ، بخلاف أرباب العزائم القوية فإنهم

يقابلونها بصدر رحب ، وعزيمة لا تقلّ ، وكلما عرض لهم عائق بذلوا النفس  
والنفس في تذليله حتى يتغلبوا عليه ، وينالوا بغيتهم ، علماً منهم أنه لا صعب  
مع الإجتهد ، وتوجه النفس والرغبة في العمل ، والدأب عليه ، والتدبر في كل  
شيء بوضعه الموضع اللائق به ، كما قال الشاعر :

لأستسهل الصعب أو أدرك المنى      فما انقادت الآمال إلا لصابر  
وما حال الأمم إلا كحال الأفراد ، فلا تسمو أمة ولا تعلو كلمتها إلا  
بالإنتاج والعمل المتواصل ، والاختراع والابتكار . ولن تجد مظهرأ أجلى  
ولا برهاناً أوضح ، تفرق به بين أمة راقية وأخرى منحلة ، بمقدار ما تجده  
من قوة الثبات ومضاء العزيمة ، فتجد الأفراد في الأولى يكدون ويجدون ،  
دون أن يلحقهم فتور أو خور في العزيمة ، وبذا يتم لهم الظفر والفوز أخيراً ،  
بعد سهر الليالي والكدح والنصب ، ويغمرون أسواق العالم بمبتكراتهم  
ومخترعاتهم ، بينما أفراد الثانية يتحمسون ويصيحون مع الصائحين ، ثم لا تزال  
تفتزعزائمهم رويداً رويداً حتى تنتهي الأعمال بالفشل ، وتصبح أثراً بعد عين ،  
ولله در القائل :

وقلّ من جدّ في أمرٍ يحاوله      واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

أما اليأس ، فحالة تعترى النفس فتثنيها عن عزمها ، وتثبط همتها ، وتحول  
بينها وبين النجاح ، وإذا تسرب اليأس إلى فؤاد شخص ، وتملك القنوط من  
قلبه ، قعد عن العمل ، وكفّ عن السير في سبل الحياة ، حتى تضيق به

— ٣٦ —

الأرض بما رحبت ، كما قال الحكيم : لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة ،  
وربما طلب الفرار من الحياة ، وأهلك نفسه تخلصاً منها فيذهب غير مأسوف  
عليه .

وقد حذر الله تعالى من هذه الخصلة الذميمة فقال : « وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ  
رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ »  
وقال جل شأنه : « وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ »

وقيل : قتل القنوط صاحبه

وقال الطغرائي :

« ولا تياسن من صنع ربك إنه ضمين بأن الله سوف يُبدل »

« فإن الليالي إذ يزول نعيمها تبشر أن الثنابات تزول »

وقال آخر :

« لاخير في اليأس كل الخير في الأمل أصل الشجاعة والإقدام في الرجل »

### قوة عزيمة الإسكندر

لقد أمر ( الإسكندر المقدوني ) أحد قواده بالإغارة على حصن أمني من  
عقاب الجو ، فخالفه القائد قائلاً : يا سيدي إن ذلك مما لا يستطيع .

فصاح الإسكندر في وجهه مغضباً : لا شيء في العالم محال على من يبذل

## - ٣٧ -

جهداً ، ويمضى عزمًا ، ولم يمتض غير يسير حتى قهر الإسكندر عدوه ، ودمر  
حصنه ، وأذل مُحماته

### نابليون وعزمه الماضي

يحكى أن ( نابليون بوناپرت ) امبراطور فرنسا ، كان يكره من الكلمات  
ثلاثًا : لا أقدر - لا أعرف - مستحيل

فكان جوابه للأولى : حاول ، وللثانية : تعلم ، وللثالثة : جرب ، ولم  
يرض ( نابليون ) لنفسه أن يكون عبداً حتى للعوارض الطبيعية التى لا قبلَ  
للإنسان بمقاومتها ومعالبتها

فلقد قيل له وهو يكتسح الممالك بجيشه الجرار : إن جبال الألب الشاهقة  
تعوقك عن المسير ، وتحول دون أمانيك

فأجاب على الفور : يجب أن تمتحى من الأرض

فمكذا كان ( نابليون ) وهكذا كانت إرادته وعزيمته التى عنت لها  
وجوه الجبابرة ، ودانت لها رقاب القياصرة

## الثقة بالنفس

الثقة بالنفس أول شرط للفوز في معترك الحياة ، وتيقن الظفر بالمراد منه .  
الثقة بالنفس فضيلة إذا أتاحت لصاحب العزيمة الصادقة كانت عوناً له في  
تذليل ما يعترضه من المصاعب

الثقة بالنفس تستدعى وجود الأمل ، والأمل يدفع الإنسان إلى العمل ،  
والإخلاص فيه ، والتفاني في إنجازه

وإذا كانت ثقة الإنسان بنفسه ضعيفة لم يجترئ على بذل مجهود ، أو  
صرف نقود ، وكانت نتيجته الخيبة والخسران

فجدير بالطامح إلى إحراز سبق في معترك الحياة ، أن يأخذ نفسه بالثقة  
بمستقبله ، وتحقيق مراده فيه ، وإلا عاد من جهاده في الحياة بما هو مقدر من  
الفشل للضعيف خائر العزيمة ، ذلك الذي إذا عبس الزمان في وجهه وبسر ،  
داخله الوهم بأنه شقي ، وأن الشقاء ملازم له ما دام حياً ، فإذا تحرك لعمل مآ  
وهو في أسر هذا الوهم الجائر آل جهده حتماً إلى الفشل والبوار

وخلق به أن يتدبر الحقيقة الآتية وهي : ان المرء إذا انخرقت أعماله عن  
الغاية التي يتطلع إليها ، لا يحسن به أن يتهم الحظ والطالع ويقول : ما ذا  
أعمل وحظي سيئ ؟ لأن الناس رجالان : رجل يضرب في الغرض الذي يسعى  
إليه بسهم همته غير هباب ولا وجل ، بضء عزمه ، واطمئنان نفسه ، وثقته بها



ورجل يتردد فيفشل ، ثم يتهم الحظ والبخت  
 فيجعل بهذا الأخير ألا يمهّد لليأس سبيلاً إلى نفسه ، إذا جاءت جهوده  
 بما لم يجر في ظنه من الفشل ، ولا يجزع إذا مسته خيبة ، بل يتعزى عنها  
 بالمقابلة بين حاله وما يقع في الكون من الحوادث والعبر

فيقول مثلاً : إن الرياح لا تهب من مهب واحد ، ولا تأتي دوماً بما  
 تشتهي السفن ، وإن المرء إذا أخطأه التوفيق مرةً ، كثيراً ما يصيبه مرات  
 أخرى ، إذا استأنف العمل عينه غير يأس ، واقتدى بالربان اليقظ في السلوك  
 بسفينته إلى المرسى الأمين بين الرياح المختلفة ، إلى غير هذا من التعزى المنشط  
 للهمة المثبت للإيمان

إن الثقة بالنفس للفوز في معترك الحياة المحفوفة بالمناعب والعقبات فضيلة  
 اختص بها أهل الإيمان وأصحاب العزيمة ، وهي يستفز صاحبها إلى الثقة بأهليته  
 والاعتماد على قوته ، فقد قال أحد الحكماء : من الخطأ إخماد جذوة الثقة  
 بالنفس في أفئدة الشبية ؛ لأنها من أقوم الشيم في المرء وأشرفها ، ولأن الاعتداد  
 بالنفس خير مظهر لثقة الإنسان بأهليته ، الثقة التي يترتب عليها النجاح في  
 الحياة والظفر بمطالبها العديدة .

حقاً ، إن اعتقاد المرء النجاح في عمله ضرب من الخيلاء ؛ ولكن ماذا  
 يضره إذا كان هو الذي يستفزه إلى الخطوة الأولى التي إذا جاءت بشيء

من النجاح ، حملته على الأخذ بالثقة في نفسه والاعتماد على مواهبه الذاتية .  
يستنتج من هذا كله أن بث روح الهمة لا يكون إلا بإنماء الثقة في  
النفس ، والاعتماد على القوى النفسية .

### مثال الثقة بالنفس

محمد طلعت حرب — مدير ومؤسس بنك مصر — هو المثل الأعلى للثقة  
بالنفس .

نعم ، إن الثقة بالنفس هي أكبر ميزة لهذا الرجل العظيم ، لهذه الشخصية  
الكبيرة البارزة التي وضعت الحجر الأول في بناء حرية مصر الاقتصادية .

فهو في الحق أكبر اقتصادي ، وأكبر رجل مالى فى مصر ؛ بل هو من  
الرجال الأفذاذ الذين يعيشون لأمتهم أكثر مما يعيشون لأنفسهم .

وهو المصرى الأول الذى اتخذ المال فناً ، فإذا لم تصدق فزيارة واحدة إلى  
( بنك مصر ) كفيلة بتبصديق ما نقول ، حيث تجد شبان مصر العاملين في  
سبيل حرية مصر من الوجهة الاقتصادية قائمين بأعمالهم خير قيام ، بكل دقة  
وأمانة وحسن نظام .

عرف طلعت حرب أن المال أعظم قوة على الاستقلال وسند للحرية ،

## - ٤١ -

وقوام للوحدة ، ونظام للجاعة ، فلم ينتظر حتى تسنح الفرص وإنما جاء بالفرص  
التي كانت في انتظاره ، ولم يتكلم أولاً ليعمل ثانياً وإنما عمل أولاً ، ثم لم يتكلم  
وجعل العمل يتحدث عن نفسه ، وجعل النفس تعمل لتزيد الناس حديثاً .

وقد فهم حقيقة الحال وعرف السبب والمآل ، فكان الرجل الحكيم ،  
الصادق لنفسه وللناس ، عامل الناس كباراً عقلاء ، فعاملوه كبيراً عاقلاً ، أدخل  
الناس في ثقته ، فأدخلوه في ثقتهم ، وأقاموه أول رجل فيهم ، موثوق به منهم  
ولولا ثقته بنفسه ، وقوة عزمته ، وحسن إدارته ، لما وصل إلى تنفيذ هذا  
المشروع الخطير ، ولما وصل البنك والشركات التابعة له إلى التقدم والنجاح

### التواكل ومضاره

لكل امرئ في هذه الحياة عمل يقوم به على قدر طاقته ، وهو مكلف  
بأدائه ؛ فإذا اتكل زيد على عمرو ، فكأنه أضاف عمله إلى عمل عمرو ،  
وهذا لا يستطيع أن يحمل أكثر من حمله ، ولا يؤدي عمليْن في وقت واحد ،  
فإذا اتكل كل شخص على الآخر أصبح الجميع متواكلين ، ووقفت حركة  
الأعمال ، واختل النظام ، وساءت الحال .

## - ٤٢ -

فاعلم يا بنى ، أنه ليس من أحد غيرك يقضى واجبك ، ويقوم بحاجتك مهما كانت زهيدة لا تكلف عناء ، وإن قضاها صاحبك فلا يحسن قضاءها مثلك .

وما من أحد يفرغ من أعماله ومساعيه الخاصة ليسعى ويعمل لغيره . فلا تتكل يا بنى فى تحصيل علومك ورزقك على أحد ؛ بل اسع إلى رزقك ، ولا تعتمد إلا على نفسك ، فتأكل العيش هنيئاً لذيذاً ، وترشف الشراب سائغاً ، وتنام على فراش الراحة والمسرة والهناء .

قال سيدنا على بن أبى طالب : إياك والاتكال على المنى فإنها بضائع الموتى .

وبالجملة فإن أعدى أعداء العمل التواكل الكاذب ، المقرون بالإهمال والتقاعد ، وترك السعى والحركة والنشاط ، واتخاذ الأسباب الظاهرة التى أمرنا الله ونبيه ﷺ بمراعاتها والسير على سنتها .

ويوضح ذلك ما كان من إرشاده ﷺ لذلك الأعرابى الذى أراد أن يسرح ناقته فلا يعقلها ، ولا يوثقها ، اتكالاً على الله مذموم ما للمتوكلين من الفضل ، فقال له ﷺ مفسراً معنى هذا الاتكال بأوجز عبارة ، وأطف إشارة : « اعقلها وتوكل » أى اجمع بين الأمرين بين اتخاذ السبب ، وبين الاتكال عليه سبحانه وتعالى فى أن يجعل ذلك السبب مؤدياً إلى حفظ الذاقة ، فلا يعتمد إليها لص يسرقها أو غلام عارم يحل وثاقها ويطلقها .

## — ٤٣ —

هذا هو التوكل الشرعى الصحيح : أن توجد أيها الإنسان عملك باتخاذ أسبابه ، ثم تنفخ فيه روح التوكل على الله فلا تقنط من توفيقه ، وكريم عنايته ، وخفى لطفه .

فإذا فعلت هذا شعرت إذ ذاك ببرد الأمل فى قلبك ، ولذة العمل فى نفسك .

أما التوكل من دون عمل ، والعمل من دون توكل ، فكلاهما ناقص التركيب ، ليس له من الفائدة والقيمة الشرعية أدنى نصيب ، بدليل قوله ﷺ : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خصاصاً وتروح بطاناً » تغدو أى تذهب مبكرة ، وخصاصاً جائعة ، وتروح أى ترجع بطاناً ، ممتلئة البطن ، فقد جعل الله للطير عملاً ، ولم يجعلها تكتفى بالتوكل فقط .

### سوء عاقبة التواكل

كان لرجل من أغنياء التجار ولد نجيب ، سرته من صغره على التجارة ببلده ، حتى عرفها جيداً ، ولما بلغ أشده أراد أن يعود على الأسفار ، فجهزه تجهيزاً يليق بأمثاله ، وأرسله حتى إذا كان على مسيرة أيام من بيت أبيه ، نزل ببعض المروج فى ليلة مقمرة ، فأبصر ثعلباً طريحاً قد أخذه الهرم وضعف عن الحركة ، فجعل يفكر فى أمره ، وهو يقول : كيف يرزق هذا الحيوان

— ٤٤ —

المسكين ؟ لا أظن إلا أنه يموت جوعاً ؛ وبينما هو كذلك ، إذ أقبل أسد  
وبقعه صيد ، ووقف قريباً من الثعلب ، وأكل مما معه إلى أن شبع وذهب ،  
ولم يرَ الغلام ولا الثعلب ، فعند ذلك طفق الثعلب يزحف زحف الكبير ،  
حتى انتهى إلى ما تركه الأسد ، فأكل منه كفايته ، والغلام يعجب من  
صنع الله في خلقه ، وما ساق إلى هذا الحيوان العاجز من الرزق ، وقال في  
نفسه : إذا كان المولى سبحانه وتعالى قد تكفل لخلقته بالأرزاق ، فلائى شيء  
احتمال المشاق وركوب البحار ، واقتحام الأخطار ، ثم انثنى إلى والده ، وأخبره  
بما رآه ، وأنه بسببه قد عدل عن السفر .

فقال له أبوه : يا بني ، لقد أخطأت النظر ، فإنما أردت أن تكون أسداً  
يأكل من فضلاتك الضعاف الكسالى الجياع ، لا أن تكون ثعلباً جائعاً ،  
تنتظر قوتك من فضلات غيرك . فقبل الولد نصيحة والده ، وعاد إلى ما كان  
فيه ، وعلم أن الرجل الحازم هو الذى يعمل ويكد ، ويعتمد فى كل أموره على  
نفسه ، لا على بنى جنسه ، وأنشد يقول :

« فإنما رجل الدينيسا وواحدھا من لا يعول فى الدنيا على رجل »  
« وقل من عاش فى الدنيا على أمل واستنجد الجد إلا فاز بالأمل »

حقاً ، ما من شيء ينهض بالمرء من حضيض الفقر والخسة إلى أوج الغنى  
والمجد مثل جده وسعيه وراء خير نفسه .

## — ٤٥ —

انظروا رحمكم الله إلى فئة العاطلين من العمل تجدوا أن هذه الفئة هي إحدى سيئات النظام الاجتماعي ، بل هي شر على ذلك المجتمع ، وهي لا تزال إحدى المعضلات التي يحاول المصلحون في كل وقت حلها وعلاجها .

و بالحرى إن فئة العاطلين من الأعمال الذين حرموا من وسائل الكسب قوة ضائعة سدى ؛ لأن المجتمع الإنسانى لا يعرف كيف يستخدمها وكيف يفيدها ؟

فأى نفس لا يزعمها أن تجد في أغلب المدن والقرى جمهوراً كبيراً من العاطلين ؟ وأى قلب لا يتفجع لمنظر الشاب عاطلاً من لذة العمل محروماً من نعمة الكسب ؟

## الكرامة

لكل إنسان في هذه الحياة كرامة ، يجب عليه صيانتها ، والمحافظة عليها ، وعدم التساهل فيها ؛ لأنه بها يعيش مكرماً معززاً ، وإلا عاش ذليلاً محتقراً . وكرامة الإنسان ، هي عزة نفسه ، أى إكرامها ووضعها في المقام اللائق بها ، وهذا يستلزم أن يعرف الإنسان قدر نفسه عملاً بالأثر :

« رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .

## - ٤٦ -

وهى وسط بين الكبرياء والضعفة ، وهى ضرورية لاكتساب مودة الناس .

ولا تكتسب مودة الصديق إلا إذا تجلت له محاسنك ومحامدك التى هى « أنت » فيستجيبها فيك ، ويميل بسببها إليك .

وهى لا تتجلى له كما هى إلا إذا لاءمت المقام الذى أنت فيه ، وملأته تمامًا ، ولم تزد عليه ، لأنك إن كنت متكبراً كنت فى مقام من هو أعظم منك ، وإذا ذاك يرى صاحبك أن تلك الحماد والحسن قليلة عليك فيحتقرك لهذا النقص أو بالحرى يكرهك لادعاء الرفعة الباطلة .

وإن كنت متضعاً ، كنت فى مقام من هو أدنى منك ، وإذا ذاك توهم محاسنك ومحامدك وهمية لا حقيقية ، لأنها تظهر كثيرة عليك ، وأليق من هو فوقك منك ، فيكرهك لما يتوهمه من ريائك ، وبالحرى يسخر بك لابتذالك .

والله حافظه على كرامتك ومكانتك لنفسك ، يجب أولاً : المحافظة على فوقك كلها ، فلا تفقد منها شيئاً ، إلا ما يقضى التسامح أن تهبه لصديقك من طيب خاطر ، فإن تركت حقاً لك لا يحسب لك ولا يعرف تسامحاً منك ، حتى إذا تكرر ذلك منك كنت مبتذلاً مستهاناً . وإن ادعيت أكثر من حقوقك حسبت طماعاً فتبغض .



## - ٤٧ -

ثانياً - أن تقوم بما يجب عليك لغيرك ، وأن تعتذر عما لم تستطع القيام به من واجباتك ، فإن قت بأكثر مما يجب عليك حسبت منزلاً ، وإن لم تقم بكل ما يجب عليك حسبت مقصراً .

فلا يرضيك أيها الإنسان أن تضع نفسك في موضع ينزلك من عيون إخوانك ، فينظرون إليك نظراً متهمان ، ويعاملونك معاملة تنطوي على الاحتقار .

ذلك لأنك لك كرامة تر بأبها أن تهينها ، ونفساً عزيزة تنزهها عن أن تشينها .

وليس هناك شيء أذهب بالكرامة من النقص والتسفل .

فمن النقص والتسفل مخالطة السفهاء ، ومعاشرة الأذنياء ، فإن الطبع يسرق من الطبع ، والمرء لا يعرف إلا بقرينه ، كما جاء في الأمثال : قل لي من تعاشر؟ أقل لك من أنت .

وكما قال الشاعر :

« إذا كنت في قوم فصاحب خيــــــــــــــــارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى »

« عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدى »

## — ٤٨ —

وقد تكون بريئاً ، ولكنك باختلاطك بقرناء السوء تضع نفسك موضع الشبهات ، وتكون متهماً بأنك منهم ، والعقل من ير بأ بنفسه عن موضع الزلل .

ومن الأشياء التي تذهب بالكرامة كثرة المزاح ، فإنه يدعو إلى التطرف في الكلام ، والمهجر في القول ، والخروج عن حد الأدب ، وهو من الحبوب الاجتماعية الكبيرة ، المزرية بالكرامة ، المضیعة للهبة والشرف ، كما قال أحد الحكماء :

المزاح يأكل الهبة كما تأكل النار الحطب ، وقول آخر : من قلّ عقله ، كثر هزله ، ومن كثر ضحكته ، قلّت هيئته .

## احترام النفس

إن احترام النفس من أهم القروض التي يجب على الإنسان أدائها ، لأنه كما يجب المرء نفسه ويحافظ عليها ، ويتقى البرد والحر لأجلها ، ويسعى ويجد ليضمن رفاهيتها وتنعمها ، ويخرج إلى المنزهات والخلوات لرياضتها وزهتها ، ويذهب إلى محال الأنس والطرب لسرورها وانشراحها ، فإنه يجب عليه أن يحترمها ، ويعطيها حقها من الإكرام والاعتبار .

## - ٤٩ -

وليس الغرض من احترام النفس وإكرامها الترفع عن الناس والتعظيم عليهم ، أو العطرسة وشموخ الأنف ، بل الابتعاد عن كل ما يشينها من إعطاء قسطها من الإحترام والإكرام . وكما أن الإنسان يسر خاطره ، وينشرح فؤاده ، عند ما يرى الناس يحترمونه ويحبلونه ، يعتبر هذا من الواجبات المفروضة عليهم : فإنه خليق به وأحرى أن يكون في مقدمة الذين يحترمونه ويحبلونه ، فيحترم هو أيضاً نفسه

والمقصود من احترام النفس : أن الإنسان لا يتذلل ، ولا يجبن ، ولا يحط من قدر نفسه ولا يزرى بشرفه ومقامه ، وأن يفصل فصلاً تاماً بين التواضع واحترام النفس ، ويجعل حداً فاصلاً يقف كلاهما أمامه ولا يتعداهما

لأن التواضع بمعناه السامى لا يفيد إذلال النفس وتحقيرها ، وتعويدها الجبن والاستماتة ، ولا ينافى الشهامة وارتفاع الرأس والأنفة وعزة النفس ، ولا هو من العوامل التى تدفع الإنسان إلى الخط بقدر نفسه ، ووضعها في مركز أقل من درجته ومقامه ؛ بل هو إحترام للنفس حليف للانسانية صديق للكرم والحلم شقيق للطف والظرف ، رفيق للحنو والرافة وهو أيضاً نقيض للكبر والخيلاء عدو للتيه والعطرسة ، مبعض للأبهة والفخر

وبالإجمال فإن الذى يعتقد أن عدم إحترام النفس هو إنكار الذات أو التواضع يعد مخطئاً

والخلاصة أن احترام النفس صفة كمال ، بها تتفاوت أقدار الرجال ، بها ترفع النفس عن مدانة الدنيا ، بها تستطيب دون الذل كؤوس المنايا ، بها أبانت الشريعة الإسلامية الغراء فضل الأحرار على الأرقاء ، بها جعلت الرجال قوامين على النساء ، بها حظرت على الشريقات الافتتان بغير الأكفاء .

## عدم التبذل

التبذل هو الانحطاط ، وتصغير النفس ، بالخضوع والإلحاح في الطلب والمسألة ، وفي ذلك إراقة لماء الوجه ، وذهاب بالكرامة ، وضياح للهيبة والاحترام .

ومن التبذل كثرة الإعجاب بما يشاهده الإنسان من الأشياء ، فإن ذلك يشعر بصغر نفسه ، كما أن الحسد أيضاً من دلائل التبذل ، لأنه يدل على نفس وضيعة حقيرة ، تستصغر شأنها ، وتعظم ما عند الناس .

ومن التبذل سؤال الناس عن أشياء لك بها حاجة ، فإن في ذلك إعظاماً للناس ، وتحقيراً لك دونهم .

وليس أذهب بالاحترام من تطلب زيادة الاحترام ، فإن الإنسان لينقص قدره بقدر ما يتكلف من تكبر ، وما يتطلب من احترام .

قال الامام على كرم الله وجهه فى نصيحته لابنه الحسن :  
أكرم نفسك عن كل دينية وإن ساقطت إلى الرغائب ، فإنك لن تعترض  
بما تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك . وقد جعلك الله حرّاً .

وقال هاشم :  
ونفسك أكرمها فإنك إن تهين عليك فلن تلقى لها الذهر مكرماً  
وقال آخر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهواناً  
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن  
عليك بها فاطلب لنفسك مسكناً  
وياك والسكنى بمنزل ذلة يعدّ مسيئاً فيه من كان محسناً  
وقال عنتره العبسى :

لا تسقى ماء الحية بذلة بل فاسقنى بالعز كأس الجنظل  
ماء الحية بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

- ٥٢ -

## حكايات وأمثال في عزة النفس كريم النفس خير من كريم المال

سُئِلَ حاتم الطائي عن أى إنسان أعظم منه كرمًا وأفضل نفسًا وأحسن  
شيمًا ؟

فقال : ذبحت يوماً أربعين حلوبة للأضياف ، ثم سرت في البیداء أريد  
أمراً ، فبلغت أجمة فيها رجل يحتطب .

فقلت له : أما سمعت بكرم حاتم طيٍّ وسماحته ؟

قال : بلى .

قلت : هلا استضافك ؟

قال : شككتني أمي لوأنه استضافني وقبلت ضيافته ، ودعاني فأجبت  
دعوته ، فإنني ما دمت أستطيع الكسب بعرق جبيني ، وتعب يميني ، فمن  
العار أن يكون لكريم يد أغضى لها حين يغضب .

« ولا خير في مال عليه ألية ولا في يمين عوقدت بالمآثم »

فقلت للمحتطب : أنا حاتم ، وأنت ورب الكعبة أعلى مني كعباً  
في الكرم ، وأقرب إلى المروءة ، وأسبق إلى محاسن الشيم .

## كريم النفس يصونها عن ذل السؤال

كان بعض السقائين ينشد أثناء سيره في الطريق ، وهو حامل قربة ،  
قول الشاعر :

« وأكرم نفسى إنى إن أهنتها      وحقت لم تكرم على أحد بعدى »  
فسمعه الأصمى ، وأراد المزاح معه ، فقال له : وعن أى شىء أكرمت  
نفسك ، وهذه حرفة دينية ؟ فأجابه فى الحال : إنى أكرمتها عن ذل السؤال ،  
وعن الوقوف على باب لئيم مثلك ، فأسكته .

## عزيز النفس لا يطيق الهوان

كان سليمان بن وانوس ، رجلاً جليلاً أديباً ، وكان وزيراً عند الأ  
عبد الله صاحب الأندلس من بنى أمية ، فدخل عليه يوماً وكان عظيم اللحية  
فلما رآه الأمير مقبلاً جعل يهجوهُ بأبيات تدل على الاحت  
له سليمان وقد غضب : أيها الأمير ، إن الناس يرغبون ف  
عن أنفسهم الضيم ، وأما إذا صارت حالتهم للذل ، فلن  
عنكم ، فإن حاتم بيننا وبينها ، فلنا قبور تسعنا ولا تقدر  
وبينها .

ثم خرج من غير أن يسلم ونهض ، فغضب الأمير ، وأمر بعزله عن الوزارة ، ورفع دسته ( مجلسه ) الذي كان يجلس عليه ، وبقي كذلك مدة .

ثم إن الأمير حزن على فقدته لعفافه ، وأمانته ، ونصحه ، وفضل رأيه فقال للوزراء : لقد حزنت لفقد سليمان ، وإن أردت استرجاعه وتبرأ منا كان ذلك غضاضةً علينا ، فوددت أن يبدأنا بالرغبة .

فقال له الوزير أبو محمد بن الوليد : إن أذنت لي بالمسير إليه أستنهضه إلى هذا ، فأذن له ، فنهض إلى دار سليمان واستأذن له ، وكانت رتبة الوزارة بالأندلس أيام بنى أمية ألا يقوم الوزير إلا لوزير مثله ، فإنه كان يتلقاه وينزله معه على سررتته ولا يحجبه لحظة .

فأبطأ الإذن على أبي محمد حينئذ ثم أذن له ، فدخل عليه ، فوجده قاعداً ، فلم يترشح له ولا قام إليه .

فقال له أبو محمد : ما هذا الكبير ؟ عهدى بك وأنت وزير السلطان وفي أبهة رضاه ، تنلقاني على قدم ، وترشح لي عن صدر مجلسك وأنت الآن في موجدته ( غضبه ) بضد ذلك .

فقال له : نعم ، لأننى كنت حينئذ عبداً ذليلاً مثلك ، أما الآن فأنا حر عزيز النفس .

فيئس أبو محمد منه ، وخرج ولم يكلمه ، ورجع إلى الأمير فأخبره ، فابتدأ الأمير بالإرسال إليه ، وردده إلى أفضل مما كان عليه لشرفه وعزة نفسه .



## علو الهمة وشرف النفس

حكى أن الأمير عمارة بن حمزة كان في بعض الأيام جالساً في مجلس الخليفة المنصور أبي جعفر الدوانيقي ، وكان يوم نظره في المظالم ، فنهض رجل على قدميه وقال : يا أمير المؤمنين أنا مظلوم .

فقال : من ظلمك ؟

فقال : عمارة بن حمزة اغتصب ضياعي ، وابتز ملكي وعقاري .

فأمر المنصور أن يقوم من موضعه ويساوي خصمه للمحاكمة .

فقال عمارة بن حمزة : يا أمير المؤمنين ، إن كانت الضياع له فما أعارضه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ومالي حاجة في محاكمته ومماثلته ولا أبيع مكانى الذى أكرمنى به أمير المؤمنين بضياع .

فتعجب الأكابر الحاضرون من علو همته ، وشرف نفسه ومروءته .

« التبر المسبوك »

## حكايات بديمة عن كرم النفس

قال تميم بن عدى اليربوعى : كنت مع عبد الله بن العباس عند منصرفه من دمشق ، فسألته في بعض الأيام وقلت له : بماذا يتم عقل الرجل ؟ فقال : إذا صنع المعروف مبتدئاً به ، وجاد بما هو محتاج إليه وتجاوز عن الزلة ،

— ٥٦ —

وجازى على المكرمة ، وتجنب مواضع الاعتذار فقد تم عقله . فحفظت ذلك منه ، وألصقته بقلبي .

ثم بعد أيام نزلنا منزلاً ، فطلبنا طعاماً لم نجده ، ولا قدرنا عليه ، فإن زياداً كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة في جمع كثير فأتوا على ما كان فيه من الطعام .

فقال عبد الله لوكيله : اخرج إلى هذه البرية ، فلعلك تجد بها راعياً معه طعام .

فمضى الوكيل ومعه غلمان فأطالوا التوقف ؛ فلما كادوا يرجعون لاح لهم خباء ، فأمّوه فوجدوا فيه عجوزاً فقالوا لها : هل عندك طعام نبتاعه منك ؟ فقالت : أما طعام بيع فلا ؛ ولكن عندي أكلة لى ، وأولادى أمتن حاجة إليها .

قالوا : وأين أولادك ؟ قالت : فى رعيهم ، وهذا وقت عودتهم . قالوا : فما أعددت لهم ؟ قالت خبزة هى تحت ملتها أنتظر بها أن يحيثوا . قالوا : فجودى لنا بنصفها . قالت : لا . ولكن بكلها .

قالوا : ولم منعت النصف ، وجدت بالكل ، ولا خبز عندك غيرها ؟ قالت : إن إعطاء الشطر من خبزة نقيصة ، وإعطاء الكل فضيلة ، فأنا أمتنع ما ينقصنى ، وأجود بما يرفعنى .

فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم إليها ، فلما أتوا عبد الله أخبروه خبر المعجوز .

فقال : ارجعوا إليها فاحملوها في دعة وأحضروها .  
 فرجعوا إليها وقالوا لها : إن صاحبنا أحب أن يراك .  
 قالت : ومن هو صاحبكم ؟ قالوا : عبد الله بن العباس .  
 قالت : ما أعرف هذا الاسم . قالوا : العباس بن عبد المطلب ، وهو عم النبي ﷺ . قالت : والله هذا الشرف العالى ، قومي أنصاره .  
 قالوا : نعم . قالت : فما يريد منى ؟ قالوا : يريد أن يكافئك على ما كان منك .

قالت : لقد أفسد الهاشمي ما أثل له ابن عمه عليه السلام ، والله لو كان ما فعلت معروفا لما أخذت عليه ثواباً ، وإنما هو شيء يجب على كل إنسان أن يفعله .

قالوا : فإنه يجب أن يراك ، ويسمع كلامك .  
 قالت : أسير إليه ؛ لأنى أحب أن أرى رجلاً من جناح النبي ﷺ وعضواً من أعضائه ، فلما سارت إليه رحب بها وأدنى مجلسها .  
 وقال : ممن أنت ؟ قالت : من كلب بن وبرة .  
 قال : كيف حالك ؟ قالت : لم يبق من الدنيا ما يفرح إلا وقد بلغتته ،

وإني الآن أعيش بالقناعة ، وأصون القرابة ، وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباحاً ومساءً .

قال : أخبريني ما الذي أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبرة ؟

قالت : أعددت لهم قول العربي :

« ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكّل »

فأعجبه قولها ، فقال لبعض غلمانه : انطلق إلى خباتها ، فإذا أقبل بنوها فجيء بهم .

فقال للغلام : انطلق إلى بناء البيت ، فإنهم ثلاثة ، فإذا رأيتهم تجدد أحدهم دائماً النظر نحو الأرض ؛ عليه شعار الوقار ، فإذا تكلم أفصح ، وإذا طلب أنجح ، والآخر حديد النظر ، كثير الحذر ، إذا وعد فعل ، وإن ظلم قتل ، والآخر كأنه شعلة نار ، وكأنه يطلب بشار ، فذاك الموت المائت ، والداء السكايت ، فإذا رأيت هذه الصفة فيهم ، فقل لهم عني : لا تجلسوا حتى تأتونى .

فانطلق الغلام فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمده ، حتى جاءوا فأدناهم عبد الله وقال :

إني لم أبعث إليكم وإلى والدتكم ، إلا لأصلح من أمركم ، وأصنع ما يجب لكم .

— ٥٩ —

فقالوا : هذا لا يكون إلا عن مسألة ، أو مكافأة فعل جميل تقدم ، ولم  
يصدر منا واحدة منها ؛ فإن كنت أردت التكرم مبتدئاً فعرفوك مشكور ،  
وبرك مقبول مبرور ، فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرة من النوق .  
فقال لهم العجوز : ليقبل كل واحد منكم بيتاً من قوله .

فقال الأكبر :

« شهدت عليك بحسن المقال وصدق النعال وصدق الخبر »

فقال الأوسط :

« تبرعت بالبذل قبل السؤال فعال كريم عظيم الخطر »

فقال الأصغر :

« وحق لمن كان ذا فعله بأن يسترق رقاب البشر »

فقال العجوز :

« فعمرك الله من ماجد ووقيت ما عشت شرّ القدر  
ثم ودّعوه وانصرفوا .

قال تميم اليربوعي : فالتفت إلى وقال لى : يا تميم ، وددت لو وجدت  
مزيداً فى ابتداء المعروف إلى هذه المرأة وبنيتها ، وجعل يتأوه من تقصيره عن  
مراده فى ذلك .

## — ٦٠ —

قلت له : قد أحسنت وأرجحت ، وقد شهد فعلك بما سبق من قولك ،  
وأنت أتم عقلاً ، وأكل مروءة .

« المقعد الفريد للملك السعيد »

### الشجاعة

الشجاعة مواجهة الألم أو الخطر عند الحاجة بثبات ، وليست مرادفة لعدم  
الخوف كما يظن بعض الناس ، فالذي يرى النتائج ، ويخاف من وقوعها ، ثم  
يواجهها بثبات ، رجل شجاع ، وما دام الإنسان يعمل في موقفه خير ما يعمل ،  
فهو شجاع .

فالقائد الذي يقف في خط النار فيرتعش ، ويخاف أن ينزل به الموت ،  
ثم يضبط نفسه ويؤدي عمله كما ينبغي فهو قائد شجاع ، بل هو شجاع أيضاً إذا  
رأى أن خير عمل يعمل أن يتجنب الخطر ، وأن الواجب عليه أن ينسحب  
بجنوده حيث لا خطر ، فإن هو أضع في موقفه رشده ، أو ترك موقفاً يجب  
أن يقفه ، أو فرّ بجنوده من خطر كان يجب عليه أن يواجهه فهو جبان ،  
فليست الشجاعة تعتمد على الإقدام والإحجام ، ولا على الخوف وعدمه ، إنما  
تعتمد على ضبط النفس وعمل ما ينبغي ، فإن ضبط الشخص نفسه ، وعمل  
ما يجب أن يعمل في مثل موقفه رغم خطر ألامه ، ورغم ما يشعر به من  
خوف ، فهو شجاع وإلا فلا .

وليس بالحمود أن يتجرد الإنسان من كل خوف ، فقد يكون الخوف

## - ٦١ -

فضيلة ، وعدمه رذيلة ، فالخوف عند إمضاء عقد سياسى مثلا ، أو إنهاء أمر خطير فضيلة ؛ إذ هو يحمله على الروية حتى يختمر رأيه ، وفضيلة أن يخاف الإنسان من ثلم عرضه وشرفه .

فليس بشجاع من يدخل الحانة ويشرب جهاراً ، أو يقامر على ملاء من الناس غير هيب ولا وجل ، فذلك ضعف في الشعور لا شجاعة .

إنما الجبن المذموم ، والخوف المردول ، أن يبالغ الإنسان في الخوف أو يهول في الشيء المخوف .

فمثلا كل إنسان عرضة لكَلْبٍ كَلْبٍ بعضه ، أو سلك ترام يصعقه ، أو سيارة أو قطار يدهمه ، أو نار تشب في بيته ، أو مكروه ينال منه ، كل هذه أشياء تخيف ، ولكن الجبان يبالغ في الخوف منها ، ويخشى جد الخشية من وقوعها ، ثم يحمله خوفه على اجتناب العمل ، فلا يركب مركباً مثلاً خوف أن يفرق به ، ولا يرحل عن وطنه إذا لم يجد عملاً خوف أن يدركه الموت .

ولكن الشجاع لا يفكر كثيراً في احتمال الشر ، ثم إذا وقع لم يطر قلبه شعاعاً ، بل يصبر له ويتحملة بثبات ، إن مرض لا يضاعف مرضه بومه ، وإذا نزل به مكروه قابله بجأش رابط ، فحقف من شدته .

وبالجملة فالشجاع ليس بالمتهور الطائش الذي لا يخاف مما ينبغي أن يخاف منه ، ولا بالجبان الذي يخاف مما لا يخاف منه .

ولست الشجاعة مقصورة على حمل السلاح ومشاهدة الحروب ؛ بل إن كثيراً من الأعمال اليومية يحتاج إلى شجاعة لا تقل عن شجاعة الجنود ، فرجال المطافي والأطباء ، وعمال المناجم ، وصيادو الأسماك في البحار عند اشتداد تلاطم الأمواج ، والمرضات اللاتي يتعرضن للأخطار بتمريض المصابين بالأمراض المعدية ، وربانو السفن البخارية كل هؤلاء وأمثالهم شجعان يتحملون الأخطار كما يتحمل الجنود ، ويقابلون الشدائد بصبر وثبات .

ومن أكبر مظاهر الشجاعة حضور الذهن عند الشدائد ، فشجاع من إذا عراه خطب لم يذهب برشده ، بل يقابله برزانة وثبات ، ويتصرف فيه بذهن حاضر ، وعقل غير مشتت

قد يرى إنسان ناراً تلتهم بيته ، أولصاً يغشى منزله ، أو قطاراً يكاد يهشم رجلاً ، أو سفينة أشرفت على الفرق ، فإن فقد رشده ، وضاع صوابه ، وحر طرفه ، ووله عقله ، ولم يدر ماذا يفعل كان جباناً ، وإن هو ملك نفسه ، وثبت قلبه ، وتصرف في الأمر على أحسن وجه كان شجاعاً حقاً .

كالذي حكى عن عبد الملك بن مروان : أنه أتاه في يوم واحد ، خبر مقتل ابنه زياد ، وهزيمة جيشه ، ودخول ابن الزبير فلسطين ، وقيام ثورة في دمشق ، ومسير ملك الروم إلى الشام ، فما تزعزع ولا طاش ، وقد رؤى في هذا اليوم ثابت الجأش ، ثابت الجنان ، غير مقطب الوجه ، ثم شغل ملك



## — ٦٣ —

الروم ببال يؤديه إليه ، ووجه جيشاً إلى فلسطين فاستردها ، وسار إلى دمشق  
فأسكن فتنها .  
الأخلاق  
للأستاذ أحمد أمين

### الإقدام

من المعلوم أن السعى في طلب الرزق كالغزو والجهاد ، ولذا قال النبي ﷺ :  
عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .

فلا يحظى بنيل المعالي ، واكتساب الشرف إلا الحازم المقدم ، كما أنه  
لا ينال الغنيمة إلا الشجاع الجريء الذي يقدم عليها بكل قوة ونشاط .

وأما الجبان المحجم فليس أهلاً للغزو فيحرم من الكسب والتقدم ، كما  
أن البليد ليس بأهل لنيل مآربه .

ولابد لطالب المعالي من استعداد يوصله لغرضه ، كعلوم ومعارف وآداب  
حتى يقوم بالدفاع عن نفسه لدى من يريد منازعته ومناقشته ، كما أنه لا بد  
للشجاع من آلة حرب يدافع بها عن نفسه أمام أعدائه .

فالواجب على كل فرد من أفراد المجتمع الإنساني السعى في طلب العلوم  
والمعارف بهمة ونشاط ، وأن يقدم على المعيشة واكتساب المفاخر بحزم وتبصر ،  
ليقوم بخدمة نفسه وأهله ووطنه .

## أمثلة في الشجاعة

( نابليون بونابرت )

امبراطور فرنسا « ١٧٦٩ — ١٨٢١ »

من أعظم من سجل التاريخ أسماءهم لبطولتهم وشجاعتهم ( نابليون بونابرت ) قائد فرنسا العظيم ، وامبراطورها الجليل ، الذي لم يقف في سبيله أى عبة ، ولم تعترض طريقه أى صعوبة ، وكان يكره من الكلمات ثلاثاً : لا أقدر ، لأعرف ، مستحيل .

فكان جوابه للأولى : حاول ، وللثانية : تعلم ، وللثالثة : جرب ولم يرض ( نابليون ) لنفسه أن يكون عبداً حتى للعوارض الطبيعية التي لا قبل للإنسان بمقاومتها ومغالبتها .

فلقد قيل له - وهو يكتسح الممالك في جيشه الجرار - : إن جبال الألب الشاهقة تعوقك عن المسير ، وتحول دون أمانيك .

فأجاب على الفور : يجب أن تمحى من الأرض .

ولقد حل الوباء برجاله وأخذ يفتك بهم أثناء الحملة على مصر فكان ( نابليون ) يعود المرضى منهم ، ويحادثهم دون أن يدع للعدوى وأخطارها سبيلا إلى فكره فيستولى عليه الجبن والجزع ، وكانت تلك مجازفة ومخاطرة منه ،

غير أنه أحب أن يرى القوم أن ذا المهمة العالية ، والعزم الصادق ، قد يقف الموت حياله هلعاً مذعوراً .

فمكذا كان ( نابليون ) وهكذا كانت إرادته التي عنفت لها وجوه الجبابة ، ودانت وخضعت لها رقاب القياصرة ؛ ولولا أن اليأس وصل إلى قلبه حين غلب على أمره في واقعة ( واترلوا ) نخرت صخور ( سنت هيلانة ) أمام بأسه وشجاعته .

### صلاح الدين الأيوبي

هو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من أكبر ملوك المسلمين همّة ، وأكثرهم شوكة ، وأشدّهم صولة ، وأبعدهم صيتاً .

ولد في سنة ٥٣٢ هـ وتربى في كنف أبيه نجم الدين حتى ترعرع ، فدخل في خدمة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام ، وتدرّب معه على أمور السياسة ، وطال باعه فيها .

نم سيّره مولاه إلى مصر ليساعد واليها . ولما كانت سنة ٥٦٧ هـ مات العاضد لدين الله والى مصر في ذلك الزمان ، فقام صلاح الدين مقامه ، ولم يلبث أن استقل بها واستولى على بلاد الشام والعراق واليمن واشتهر بمقاتلة الإفريج الطامعين في الاستيلاء على الأرض المقدسة .

ومن نوادره معهم : أنه رأى يوماً ملكهم ( قلب الأسد ) يقاتل راجلاً ( ٥ - سمير رابع )

فأرسل له جواداً يركبه مع رسالة يقول له فيها : مقامك أرفع غندى أن أراك  
تقاتلني راجلاً . وقد مات بدمشق سنة ٥٨٩ هـ .

ومن مآثره بمصر : بناء مدرسة مجاورة لضريح الإمام الشافعي رضي الله  
عنه ، ومدرسة بجوار المشهد الحسيني ، وبني مدرسة بالقدس ، وبني مدرسة  
بمصر المالكية ، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة ، ولم ينسب شيئاً منها إلى  
اسمه ، وليس باسمه إلا المدرسة الصلاحية بدمشق : وكان مع هذا الملك العظيم ،  
والسطوة الحربية . كريم النفس ، رقيق القلب ، كثير التواضع واللفظ ، كثير  
الوفاء ، يأمن الناس ظلمه لعدله .

وكان يحب العلم والعلماء ، ويقر بهم إليهم ، ويحسن إليهم .

### تيمورلنك

الملقب بصاحب قران « أى ملك العالم »

أما ( تيمورلنك ) فيعد من ذوى الشجاعة والهمة العالية . وقد روى أنه  
ولد ويَدَاهُ مفتوحتان مملوءتان بالدماء . وكان منذ طفولته مشغولاً بتذليل الخيول  
الصعبة القيادة ، وصيد الوحوش الضارية ، ولم يكن يناهز الثانية عشرة من  
عمره حتى خاض غمار الحروب ، فأظهر من البأس والشجاعة ما أكسبه المهابة  
والاحترام بين قومه وذوى قرابته .

ثم تولى زعامة قبيلته بعد وفاة أبيه ، وولى وجهه نحو الفتوحات ففتح

خوارزم ، وخراسان ، وفارس ، وجنوب روسيا ، وبلاد الهند ، وسورية ،  
 وخراب بغداد ، ودمر (جورجية) أكثر من مرة ، ثم التقى بالسلطان (بايزيد)  
 العثماني في معركة دموية ساحقة انتهت بهزيمة الجيش التركي وأسر السلطان .

ثم دعاه ( تيمورلنك ) إلى عاصمة ملكه ( سمرقند ) بعد غيبة سبع سنين  
 أخضع بها الممالك فأخذ يعمل على ترقية الأنظمة الداخلية في ملكه : فبنى  
 المدارس ، وأقام دور العلم ، وشيد المستشفيات ، وقضى بين الناس بالحق في  
 ظلاماتهم ، ولم يحجب عنه عظيماً أو حقيراً ، غير أن محبة الفتح قد شغلت  
 مكاناً من قلبه ، وامتزجت بلحمه ودمه ، فلم يستطع عنها صبراً ، فإنه كان  
 يطمح إلى امتلاك العالم كله وأن يكون هو ملكاً له وسلطاناً عليه ، ولذا كان  
 يلقب « بصاحب قران » أي ملك العالم .

وكان يقول : « لا يجوز أن يكون في الأرض إلا ملك واحد ، كما أنه  
 ليس في العالم إلا إله واحد » فلما أن رأى بلاد الغرب قد دانت له وخضعت  
 لحكمه أراد أن يمتشق الحسام في بلاد الشرق فجهاز جيشاً عرمرماً وسار به إلى  
 بلاد الشمس المشرقة من الصين واليابان غير أن المنية فاجأته في الطريق فقطعت  
 أسباب أمله وحالت دون أمانيه .

## إبراهيم باشا

من أعظم القواد بسالة وإقداماً ( إبراهيم باشا بن محمد على باشا ) فقد كان مثلاً للبطولة الحقّة في جميع حروبه : حارب الترك مرتين فظفر فيهما جميعاً ، ولولا وقوف الدول في وجهه لكانت الدولة التركية كلها في قبضته ، ولتغيرت صفحة عظيمة من صفحات التاريخ .

ولم تكن حربه مع الوهابيين بأقل دلالة على البطولة والبسالة ، فقد كانوا مستميتين في الدفاع عن مبدئهم الديني ، وعن وطنهم فضلاً عن أنه حاربهم في ديارهم ، فهزم جيوشهم ، وأسر زعيمهم عبد الله بن سعود سنة ١٨١٨ ، وخلع سلطان تركيا على إبراهيم باشا خلع شرف مكافأة له ، ومنحه الرتب والألقاب اعترافاً بفضله وشجاعته .

## الشجاعة الأدبية

لما تقدم الناس في المدينة لم يكونوا في حاجة كبرى إلى الشجاعة البدنية كما كانوا يحتاجون إليها أيام بدواتهم ، فظهر للشجاعة معنى جديد يسمونه : « الشجاعة الأدبية » يعنون بها أن يبدي الإنسان رأيه ، وما يعتقد أنه الحق ، مهما ظن الناس به ، أو تقولوا عليه ، في غضب عظيم ، أو أمير ، يخاف من تحمل ألم يصيبه في سبيل قبول حق يقوله ، أو مبدأ هام ينشره .

فلو رأى في مسألة غير ما يراه علماء وقته أو من حوله من الناس ، أو خالف  
حاكماً أو عظيماً جاهر برأيه غاضباً بصره عما يناله من الأذى يقول الحق بأدب  
وإن تألم منه الناس ، ويعترف بالخطأ وإن نالته عقوبة ، ويرفض العمل بما  
لا يراه صواباً ولو لم يقع رفضه موقعاً حسناً .

والتاريخ مملوء بكثير من الناس ضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل قول  
الحق ونصرته ، وصبروا على الآلام عشقاً للحق وهياماً به ، واستعذبوا طعم  
الرياء تنزل بهم ؛ لأنهم يحبون الحق أكثر مما يحبون أنفسهم ؛ ومنهم الأنبياء  
والمرسلون ، والشهداء ، ونوابغ العلماء ، فقد أودوا في الحق فتحملوا الأذى ،  
وباعوا أنفسهم وأموالهم مرضاةً له .

كالذي حكى عن رسول الله ﷺ وقد جاء إليه عمه أبو طالب ينصحه  
بالعدول عن دعوة الناس فقال : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر  
في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته .

ومن هؤلاء (سقراط) الفيلسوف اليوناني قد علم شبان (أثينا) ما وصل  
إليه علمه ، وبذل جهده في تثقيف عقولهم وتقويم أخلاقهم ، فلما بلغ سن  
السبعين اتهم بأنه يجحد آلهة اليونان ويضلل الشبان فحكم عليه بالإعدام  
( سنة ٣٩٩ ق م ) وكان في استطاعته أن ينجو بنفسه إذا هو تعهد أن ينقطع  
عن التعليم ، ولكنه أصر على قول الحق وأضاع نفسه .

## — ٧٠ —

وفي تاريخ العرب كثير من أمثال ذلك: فابن رشد الفيلسوف الشهير المتوفى سنة ٥٩٥ هـ اضطر من أجل اشتغاله بالفلسفة وسجن ونفى فلم يعبأ بذلك كاه . وابن تيمية أحد الفقهاء المشهورين المتوفى سنة ٧٣٨ هـ أداه اجتهاده إلى مخالفة فقهاء عصره في بعض المسائل فوشوا به إلى السلطان فسجنه فظل يكتب الرسائل في سجنه يؤيد بها مذهبه ، ويدحض بها حجج معارضييه .

وفي العصور الحديثة لولا أن قوماً من العلماء ضحوا كثيراً في قول الحق ما تقدم العلم والمدنية إلى الحد الذي نراه .

فواجب أن نقف بإزاء الحق نصرح به ، وندافع عنه ونتمسقه ونتحمل الآلام في سبيله ، ونتخذ من ذكرنا مثلاً صالحاً في حياتنا .

ومن هذا النوع من الشجعان من يهجر لذاته وراحته ، ويتحمل الألم لخير الناس وإسعادهم ؛ فمن يرى الأمراض التي تفتك ببنى الإنسان ويخصص حياته لمعالجتها ، ويضحى بكثير من مصلحته الذاتية لمصلحة أمته ، ويصبر على ما يناله من الشدائد ، ويتغلب على ما يصادفه من العقبات كان أشجع من جندي في خط القتال .

والخلاصة ليس المراد من الشجاعة تقلد السلاح ، ورمي النفس في المخاوف ، والمخاطرة بها في المهالك ، ومعارضة كل ذى قوة وبطش ، سواء أكان ذلك بالحق أم بالباطل ؛ بل الشجاعة أن يأتي الإنسان إلى الحق فيطلبه ،



## - ٧١ -

ولا يزال يؤيده ، ويدافع عنه ، حتى ينال مقصوده ، فلا يثنيه عن عزمه  
ملائة أحده ، أو تعصب جماعة عليه ، ولا يورثه طول الزمن في انتظار  
ما يريد ، ويتمناه .

ليست الشجاعة أيها الشبان بذاة اللسان ، وتطاول الأقران ، وترك  
الإحسان إلى الإخوان ، وفقد الرحمة والحنان ، من قلب الإنسان ولكن  
الشجاعة أن تفعلوا الخيرات ، وأن تكونوا يداً واحدةً على من عاداكم ، وأن  
تتحلوا بالجد والعمل حتى تسعدوا وتسعد بكم بلادكم .

واعلموا أن الشجاعة الأدبية هي أعلى مراتب الشجاعة ، وهي قول الحق ،  
والسعي وراء الحق ، مهما كانت الحوادث التي تحيط بالإنسان ، وتوحى إليه  
أن يكون عادلاً أميناً ، مخالفاً لهوى النفس ، شديد الحرص على القيام بما  
يفرضه عليه الواجب .

فالرجل إذا قوى ضميره ، وظهرت عليه علامة الشجاعة الأدبية كان  
رابط الجأش في أعظم المواقف ، حاضر الجنان في كل وقت .

تلك هي الشجاعة الأدبية التي ينال أصحابها من أجليها الألقاب والتبجيل  
والشرف الرفيع . قال أحد الشعراء الأدباء في وصف الشجاعة :

ليس الشجاع الذي يحمى فريسته      يوم النزال ونار الحرب تشتعل  
بل الذي كفَّ عن نيل الحرام كما      يقضى العفاف فذاك الفارس البطل

وقال آخر :

ليس من يقطع طرقاً بطلاً إنما من يتقى الله البطل

وقال آخر :

إن الشجاعة أن ترضى إذا غضبوا أوردك الشر بالخير الذى يجب  
من يمنع النفس شراً وهو يمكنه فهو الشجاع الذى يحيا به الأدب

### جزاء الشجاعة

لما كان الفرنسيون يحاصرون مدينة ( طولون ) كان ( نابليون بونابرت ) قائد المدفعية ( الطبجية ) فشرع فى إقامة بطرية من المدافع لحصار المدينة مقتحماً نيران العدو ؛ ثم بدا له أن يصدر أمراً لرجاله ، فطلب ضابطاً من ضباط الذين يعرفون الكتابة ، فبرز فتى من الصفوف وجعل يكتب ما يلقيه ياه ( بونابرت ) والرصاص يهطل حولهما كال مطر .

ولما انتهى من كتابة الأمر وقعت بجانبه رصاصة فأثارت التراب حتى تغطى به القرطاس ، فقال الفتى ضاحكاً : لقد أحسنوا صنفاً فإنهم أغنونا عن تجفيف هذه الكتابة .

ولما رأى ( نابليون بونابرت ) ثبات جنان هذا الفتى وصبره على المكاره وجه أنظاره إليه ، وجعل يرقيه من منصب إلى منصب حتى صار من أعظم أركان حرب الامبراطور .

### شجاعة امرأة عربية

أسر ضِرَار بن الأَزْوََر في وقعة أجنادين ( وقعة عظيمة بين المسلمين والروم في فلسطين ) فتوجه خالد بن الوليد لخلاصه ، فلما أدرك العدو حمل فارس من فرسانه على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم ( جيشهم ) وحطم مواكبهم ، وقتل منهم رجالاً ، وجندل أبطالاً ، واخترق القوم غير مكثرث .  
فكثر قلق الناس عليه ؛ ثم خرج وسانه يقطر دماً ، وبعد أن أبلى بلاءً حسناً كشف عن لثامه ، فإذا هو : ( خولة بنت الأزور ) تقاتل لتخلص أخاها من الإِسَار .

## حكايات وأمثال في الشجاعة الأدبية الشجاع لا يخشى في الحق لومة لائم

قال الربيع حاجب أبي جعفر المنصور : ما رأيت رجلاً أحضر جناناً ،  
ولا أربط جاشاً من رجل رُفِعَ إلى المنصور على أن عنده ودائع وأموالاً لبني  
أمية وأمرني بإحضاره ، فأحضرتة ودخلت به إليه .

فقال له المنصور : قد رُفِعَ إلينا خبر الودائع والأموال التي عندك لبني أمية  
فأخرجها لنا .

قال : يا أمير المؤمنين أوارث أنت ؟

قال المنصور : لا .

قال الرجل : أنت لهم وصي ؟

قال : لا .

فقال له الرجل : إذاً فما سبب سؤالك عما في يدي من ذلك ؟

فأطرق المنصور ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقال للرجل : إن بني أمية ظلموا  
المسلمين في هذه الأموال ، وأنا وكيلهم في حقهم ، فأريد أن آخذ أموالهم  
وأجعلها في بيت مالهم .

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين ، يلزم في ذلك إقامة البينة العادلة على  
أن الذي في يدي لبني أمية هو ما خاتوه وظلموه واغتصبوه من أموال المسلمين ؛

فإبى بنى أمية كان لهم أموال غير أموال المسلمين .  
فعاد المنصور وأطرق إلى الأرض ساعةً ، ثم رفع رأسه والتفت إلى وقال  
لى : يا ربيع ما وجب على الرجل عندنا شيء .

ثم ان المنصور التفت إلى الرجل وبشَّ به متبسماً في وجهه وقال له : هل  
لك من حاجة فأقضيها لك ؟

فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، حاجتى أن تنفذ كتابى على البريد إلى أهلى  
فى الشام ليسكنوا إلى سلامتى ، فقد راعهم إشخاصى من عندهم ، ثم أسألك  
حاجة أخرى يا أمير المؤمنين .

فقال له : وما هى ؟

فقال : أريد من كرم أمير المؤمنين ، أن يجمع بينى وبين من سعى بى  
عنده ، فوالله ما عندى لبنى أمية شيء ، ولا فى يدى مال ولا وديعة ، ولا فى  
معرفتى أن لهم عند أحد شيئاً ؛ ولكنى لما مثلت بين يديك ، وسألتنى ، رأيت  
ما قلته أقرب إلى الخلاص والنجاة .

فالتفت أمير المؤمنين المنصور إلى وقال لى : يا ربيع اجمع بينه وبين من  
سعى به .

قال الربيع : فأخذت الرجل وجمعت به بالذى سعى به . فحين رآه الرجل  
قال : هذا غلامى ضرب على ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق بها منى .

فلما سمع المنصور ذلك هدهده ، وشدد عليه ، وأمر بتعذيبه ، فأقر عند

## - ٧٦ -

ذلك الغلام بصدق كلام الرجل ، وأنه غلامه ، وأنه أخذ المال الذي ذكره مولاه وأبق به ، وسعى بمولاه ليجري عليه أمر الله ، ويسلم هو من الوقوع في يده .

فالتفت المنصور إلى الرجل وقال : نسألك الصّبح عنه .  
فقال الرجل : يا أمير المؤمنين صفحت عن جرمه ، وأبرأت ذمته من المال ، وأعطيته ثلاثة آلاف دينار أخرى .

فقال المنصور : ما على ما فعلت من الكرم مزيد .  
فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، إن هذا حق كلامك ، ثم استأذن وانصرف .  
وكان المنصور بعد ذلك يذكره ويعجب ويقول : ما رأيت قط مثل هذا الرجل يا ربيع .

### الخليفة المعتصم وتميم بن جميل

روى أحمد بن أبي داود القاضي ، قال : ما رأيت رجلاً عُرض على الموت فلم يكثر به إلا تميم بن جميل الخارجى ، كان قد خرج على المعتصم ، ورأيت أنه قد جرى به أسيراً ، فأدخل عليه في يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلساً عاماً ودعا بالسيف والنطع ، فلما مثل بين يديه ، نظر إليه المعتصم فأعجبه شكله وقده ، ورآه يمشی إلى الموت غير مكترث به ، فأطال الفكرة فيه ، ثم استنطقه لينظر في عقله وبلاغته فقال : يا تميم ، إن كان لك عذرات به ؟

— ٧٧ —

فقال : أما إذا أذن أمير المؤمنين ، جبر الله به صدع الدين ، ولم شعث  
المسلمين ، وأخذ شهاب الباطل ، وأنا سبيل الحق ، فالذئوب يا أمير المؤمنين  
تحرس الألسن ، وتصدع الأفئدة ، وأيم الله لقد عظمت الجريمة ، وانقطعت  
الحجة ، وساء الظن ، ولم يبق إلا العفو ، وهو الأليق بشيمك الطاهرة ، ثم  
أنشد :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً      يراقبني من حيث لا أتلفت  
وأكثر ظني أنك اليوم قاتلي      وأنى امرئى مما قضى الله يقلت  
ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة      وسيف المنايا بين عينيه مصلت ؟  
وما جزعى من أن أموت وإننى      لأعلم أن الموت شئ مؤقت  
ولكن خلفى صبية قد تركتهم      وأكبادهم من حسرة تنفتت  
كأنى أراهم حين أنى إليهم      وقد لطموا تلك الحدود وصوتوا  
فإن عشت عاشوا سالمين بعبطة      أذود الردى عنهم وإن مت موتوا  
وكم قاتل لا يبعد الله داره      وآخر جذلان يسر ويشمت

فبكى المعتصم وقال : إن من البيان لسحراً ، ثم قال : كاد والله ياتيم  
أن يسبق السيف العذل ، وقد وهبتك لله ولصبيتك ، وأعطاه خمسين ألف  
درهم .

## الاعتدال

الاعتدال هو وسط بين رذيلتين ، هما الشره ، وخمود الميل ، فالشره هو الانهماك في الذات والسلوك بها طريقاً لا ينبغي ، والخمود هو الإعراض عن الاذات الجميلة النفسية والجسمية التي يحتاج إليها البدن والنفس ، ويبيحها الشرع والعقل .

فلا يسمى الشخص عفيفاً إلا إذا اعتدل في لذاته الجسمية من مأكل ومشرب ونحوها ، وفي انفعالاته النفسية ، فلم يهيج ، ولم يغضب لأقل الدواعي ، ولم يفرط في الحزن إذا فقد عزيزاً ، أو نزح عن وطنه ، إلى أمثال هذا ، وبذلك يكون الإنسان سيد نفسه ، لا عبد شهواته توجهه كما تشاء .

والاعتدال هو التوسط في الأمور ، وهو خير دستور يتبع في الأقوال والأفعال لمن يريد أن يعيش في نعيم وراحة بال ، وما أحسن ما قيل :

حب التناهي غلط      خير الأمور الوسط

والاعتدال يكون في التعب كما يكون في الراحة .

فكل إفراط في العمل جسدياً كان أو عقلياً يتعب الجسد والعقل ، ثم إن توالى العمل ، ولم تتخلله راحة كافية ، كانت عاقبته وخيمة ، فينحل الجسم ، ويختل العقل ، ويحصد الإنسان ثمار إفراطه أسفاً وندماً ، فالذى يفرط



## - ٧٩ -

فى الجرى يقع معنى عليه ، والذى يفرط فى الدرس بكل دماغه ولا يعود يفهم شيئاً ، والذى يفرط فى النظر إلى لون جميل تشبع عينه منه فتتعب ولا تعود تميز ذلك اللون .

والذى يفرط فى أكل الحلوى يسأمها وتشمئز نفسه منها ، وسبب ذلك كله تعب الأعضاء والأعصاب .

أما الراحة فلازمة للإنسان لزوماً لا محيص عنه ، لكنها إذا زادت عما يقتضيه الجسم بطؤ سير الدم فيه ، و بطؤ التنفس أيضاً فيتعب الجسم من البطالة كما يتعب من العمل .

ولذلك تجد الكسلان القليل الحركة يتشاءب ويتمطى ، لكى يحرك جسمه ، ويجرى الدم فيه ، ولسان حاله يقول : إنى تعب من الراحة وشاعر باحتياجى إلى العمل .

ولا يقف ضرر الراحة عند هذا الحد ؛ بل يألفها الجسم رويداً رويداً ويرتاح إليها ، فيقل نشاطه ، حتى إذا اضطرب بعد ذلك إلى عمل جسدى عنيف ، أو شغل عقلى شاق أضناه التعب حالاً ، وهذا يشعر به كل امرئ من نفسه إذا انقطع عن العمل الجسمانى والشغل العقلى مدة طويلة ، ثم عاد إليهما ، فإنه يشعر بتعب كثير فى أوائل الأمر من أقل جهد .

وعليه ، فالاعتدال فى الراحة لازم كالأعتدال فى التعب ، أى أن الإفراط والتفريط مضران على حد سواء ، وخير الأمور الاعتدال بينهما .

## — ٨٠ —

ومن الناس متشائمون ، لا ينظرون إلى العالم إلا بمنظار أسود ، فيرون  
النعم جميعاً ، والسرور حزناً وغماً ألياً .

ومنهم متفائلون ، يبالغون في رؤية ما يسردون ما يحيط به من ألم .  
ولكن الاعتدال في النظر إلى الأشياء بحسب طبيعتها دون تأثر بالانفعالات  
النفسية هو النجاح والسعادة .

ومن الناس من يبالغون في الزهد والتعسف ، ويرون الفضيلة في كبح  
جراح الشهوات ، ومنهم من يرى إطلاق العنان للنفس ، فينغمس في اللذات  
والسرور .

ولا تعمر الدنيا بالزهد ، كما أنها لا تنتظم بالانغماس في اللذات ، لأن فيها  
بذور الانحطاط ، وعوامل الاختلال والانحلال .

ولكن الحكمة في الاعتدال والتوسط ، فيأخذ الإنسان من اللذات  
ما لا يعقبه الندم والحسرة ، ويتعدى عن اللذات التي تؤدي إلى الهلاك وتكون  
سبباً في ضياع الدنيا والدين ، ومخالفة رب العالمين .

قال الإمام علي كرم الله وجهه كلمة جامعة في الاعتدال :

أعجب ما في الإنسان قلبه ، وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافها .  
فإن سنج الرجاء أذله الطمع ، وإن هاجه الطمع أذله الحرص ، وإن  
ملكه اليأس قتله الأسف ، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن

## - ٨١ -

سعد بالرضا نسي التحفظ ، وإن أتاه الخوف شغله الحذر ، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرّة ( الغفلة ) ، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع ، وإن استفاد مالا أطعاه الغنى ، وإن عضته فاقة بلغ به البلاء ، وإن جهد به الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة .

فكل تقصير به مضر ، وكل إفراط له قاتل ، فما أحسن الاعتدال !

### طبيب هارون الرشيد وعلى بن الحسين

يحكى : أن الملك هارون الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق ، فاجتمع ذلك الطبيب يوماً مع على بن الحسين بن واقد عند الرشيد ، فقال الطبيب لعلى : إن العلم قسمان ، علم أبدان ، وعلم أديان ، وليس في كتابكم من علم الطب شيء .

فقال له على : إن الله تعالى قد جمع الطب كله في نصف آية من كتابه . فقال الطبيب : وما هو نصف الآية ؟

فقال له على : هو قوله تعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » . أ: اعتدلوا في الأكل والشرب .

فقال له النصراني : إن نبيكم لم يرو عنه شيء في الطب .  
( ٦ - سمير رابع )

## — ٨٢ —

فقال له علي : قد جمع رسولنا ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة .

فقال الطبيب : وما هي ؟

فقرأ عليه الحديث الآتي :

قال ﷺ : المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء ، وأعط كل بدن ما عودته .

فقال الطبيب النصراني عند ذلك : ما ترك كتابكم ، ولانيكم (الجالينوس) شيئاً من الطب .

### أمثال في الاعتدال

١ — شكا بعضهم ( لسقراط ) ما يجده من قلة الشهية للطعام ، وعدم الاستلذاذ بألذ الماء كولات .

فقال له سقراط : عندي لذلك علاج شاف ، وهو أن تعتدل في الماء كل وتقلل من الألوان ، فتستلذ بما تأكله ، وتقل نفقاتك ، ويعتدل مزاجك .

٢ — ودعا سقراط جماعة للطعام، فلما رأى بعض أخصائه سذاجة طعامه، وقلة الألوان التي أعدها لهم لامه وقال له : كان الأجدر بك أن تزيد اهتمامك بالاستعداد لضيوفك .

فقال سقراط : إن كان ضيوفي عقلاء فعلى المائدة ما يكفيهم ، وإن لم يكونوا عقلاء فعلى المائدة أكثر مما يستحقون .

### الاقتصاد

الاقتصاد باعتبار أنه « علم الاقتصاد » هو تدبير المال ، وتقليبه في الوجود المختلفة ، ليفرز وينمو ، وهو من أشهر العلوم العصرية ، ومن أهم ما يعنى به الاجتماعيون والإداريون من بين علوم الحضارة والعمران ، في هذه الأزمان ، وهو خارج عن موضوع كتابنا هذا .

والاقتصاد باعتباره فضيلة من الفضائل الخلقية ، هو الإبقاء على شيء من المال وحفظه لأيام الاحتياج إليه بعد انفاق جملة المال .

ومعنى الاقتصاد : القصد في النفقة ، وهو العدل فيها ، والتوسط بين الإسراف والتقتير ، فلا يجارى الإنسان من هو أغنى منه في إسرافه وتبذيره ، فيقع في أسر الاستدانة ، ويصبح فقيراً معدماً ، فينبذه كل من رآه ، ويبغضه كل من علم أمره ، ولا يبخل على نفسه وأهله في الإنفاق أو يشح بالإحسان على البائسين والمحتاجين ، فيكون عرضة إلى ضرر اجتماعهم ، وهدفاً إلى سوء عاقبة حرمتهم ، فيعيش ولا رأفة عنده ولا اطمئنان ، ويكون معتدلاً في إنفاقه وصرفه ، مقتصدًا بقدر الإمكان لمكافحة مصائب الزمان ، وطوارق الحدثنان

## — ٨٤ —

وبما أن المرء يجهل أحوال الزمان ، ولا يأمن صروف الأيام ، ولا يدري ما إذا كانت غبطته تدوم ، أو باب رزقه يبقى مفتوحاً ، كان حقاً عليه أن يستعد للأيام قبل وصولها إليه ، وأن يتدارك الإعسار قبل الوقوع فيه ، بأن يجمع في أيام إيساره ، ما يقاوم به إعساره ، وذلك بالاقتصاد في المعيشة .  
وقد ورد هذا المعنى في الحديث الشريف ، وهو قوله ﷺ :

« رحم الله امراً كسب طيباً ، وأنفق قصداً ، وقدم فضلاً ليوم فقره وحاجته » .

« كسب طيباً » أى من الرزق الحلال الطيب « وأنفق قصداً » أى عدلاً من غير تقتير ولا إسراف « وقدم فضلاً » أى بقية يبقئها من نفقاته يدخرها إلى أن يقدمها لنفسه في أيام مجزه وشيخوخته التى يرافقها غالباً الفقر والحاجة .

فما أحسن هذا الأدب الشرعى ! وما أشد حاجة الناس إليه على اختلاف طبقاتهم وأدوارهم وأطوارهم !

والاقتصاد على هذه الصورة التى علمنا إياها الشارع الحكيم من الواجبات الشخصية التى ينبغى أن يراعيها الإنسان فى واجب الكسب من التجارة ، والزراعة ، والصناعة .

فلا يدخل عليه المال من هنا ، ثم يطلق يده فيه فيبدده ويتلفه ويخسر الوسيلة التى يكون بها نيل الخيرات ، وفعل المكرمات ، والفوز بال رغبات ،

## — ٨٥ —

كما يبحث عليه من جهة ثانية ألا يشح ، أى يجمع المال ويحرص عليه إلى حد  
التقتير على نفسه وعياله فى ضرورات معيشتهم ، فيصبح كأنه فقير حقيقة ، وهو  
غنى اسماً وصورةً ، كما قال الشاعر :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله      مخافة فقر فالذى صنع الفقر

### ذكر ما قيل فى الاقتصاد

من الآيات الخاصة على العدل فى النفقة قوله تعالى :

« وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ .  
«وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»  
« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ  
فَتَقْعَدَ مَالُومًا مُحْسُورًا » .

والأحاديث الحاثية على الاقتصاد كثيرة . منها قوله ﷺ :

« من اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله » .

« ما عال من اقتصد » ومعنى ( عال ) افتقر واحتاج .

« التدبير نصف المعيشة » .

« ما أحسن القصد فى الغنى ، وما أحسن القصد فى الفقر ، وما أحسن

القصد فى العبادة » .

## — ٨٦ —

« الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة » .

وأثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه على الاقتصاد بقوله : ما عال مقتصد ولا يعيل .

وقال : إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الله يحب القصد والتقدير ويكره السرف والتبذير .

وقال على كرم الله وجهه : دع الإسراف مقتصداً ، واذكر في اليوم غداً .

وقال معاوية : حسن التقدير نصف الكسب ، وهو قوام المعيشة .

وقال الأصمعي : من اقتصد في الغنى والفقر ، فقد استعد لنوائب الدهر .

وقال شيشرون : الاقتصاد خير مصادر الثروة في الأسرة والمملكة .

وقال أحد علماء الاقتصاد : من ربى ابنه على الاقتصاد أفاده أكثر مما يترك له ثروة وافرة ، وقال أحد الشعراء :

« أنفق بقدر ما استنفدت ولا تسرف وعش صاح عيش مقتصد »  
« من كان فيما استفاد مقتصداً لم يفتقر بعدها إلى أحد »

وصفة القول : أن الاقتصاد ، واستفضال شيء من النفقة ، أساس التدبير المنزلى ، ومن أول الواجبات الشخصية ، وهو الملجأ الأمين الذى يلجأ إليه



أرباب الأسر فيجدون فيه الهدوء والراحة والسرور وحرية التمتع بالنعيم والخيرات التي أفاضها الخالق تعالى عليهم .

قال بعض كتاب العرب : قد عاينت الأمور وعانيتا ، ثم بعد تفكير عميق في الحياة لم أجد سوى أمرين ربما جلبا السعادة : الاعتدال في مطالب النفس ، وحسن التصرف في الثروة .

وجاء في الأنباء : أن بعض الأوربيين والشرقيين لم يعنوا بجمع المال للهو واللعب والتفاخر والتكاثر ، بل ادخروه واقتصدوه لتعليم أنفسهم وأولادهم ، وإنشاء المدارس ، ومكافأة العلماء ، ومساعدة الفقراء ، وإسعاف المصابين ، وإقامة الملاجئ ، وبناء المستشفيات ، وكل رأينا وسمعنا من أناس منهم يوصون بأموالهم ، التي اقتصدوها وأعدوها لأعمال البر والخير والإحسان ، أن تصرف في هذا الغرض الشريف ، غرض رقي الأمة وسعادتها . فمثل هذا يكون الاقتصاد في المال ، ومثل هذا فليعمل العاملون .

### مثال في الاقتصاد

يروى عن المستر ( اسمث ) مخترع المطرقة البخارية : أنه كان يعمل في مصنع ويقصد في نفقاته ، وبشترى بما يزيد آلات ليعمل بنفسه ، ولم يمض عليه ثلاث سنوات في ذلك المصنع حتى اشترى دكاناً وعمل فيه سنتين .

## - ٨٨ -

ثم انتقل إلى معمل كبير وما زالت أعماله تنسج حتى بلغت ثروته مبلغاً عظيماً .

### مثال آخر

قال أحد أعضاء البرلمان الإنجليزي : كنت في حادثة سنى أعمل في منجم من مناجم الفحم الحجري ، وأقصد من أجرى صيفاً لأتعم شتاء ، وما زلت كذلك حتى انسعت معارفى ، ووصلت إلى مركزى فى البرلمان .

### مثال آخر

قال بعضهم : زرت أحد معامل النسيج ، فوجدت فيه أربعة آلاف عامل يعملون معاً فى بناء واحد ، وكان معى أحد أصدقائى ، فلما التقينا بصاحب المعمل التفت صديقى إلىّ وقال لى مشيراً إليه : إن كلانا كان أجيراً فى هذا المعمل منذ خمس وعشرين سنة ، والآن صار المعمل كله ملكاً له باجتهاده واقتصاده ، فقال صاحب المعمل : إن امتلاكى لهذا المعمل لم يتوقف كله على اجتهدى واقتصادى ؛ بل على اجتهد زوجتى واقتصادها أيضاً ، فإننى لما تزوجت منها كانت تعمل فيه ، وكانت أجرتها سبعة قروش كل يوم .

وحقيقة كم من أناس كانوا في أول حياتهم من العمال الأصاغر؟ وهم الآن يملكون المعامل الكبيرة والأملاك الواسعة بفضل اجتهداهم واقتصادهم .  
هذا وقد ذكرنا أمثلة كثيرة في الاقتصاد في الجزء الثالث من كتاب السمير .

## قواعد الاقتصاد

القاعدة الأولى : ادخر شيئاً من دخلك مهما قل ، فإن كل من يدخر من دخله يصير غنياً ، ولو كان دخله قليلاً ، أما من ينفق أكثر من دخله فحكمه حكم القاصر السفیه ، والغالب أن جميع الشرائع تعتبره كذلك ، وتحكم بأن يقام قيم عليه ينظر في شؤونه ويدبر أموره .

القاعدة الثانية : ادفع ما عليك نقداً ، ولا تكن مديناً لأحد ، واعلم أن الدين باب الخراب ، ومن دخله لا يأمن أن يُخدع أو يُخدع .

القاعدة الثالثة : لا تنفق اعتماداً على ربح واصل آجل ، فإن كل ما لم تحصل عليه بالفعل فانت في خطر من عدم الحصول عليه ، ومن ينفق أموالاً قبل ما تصل إلى يده فلا ينجو من الدين والفقر .

القاعدة الرابعة : اكتب كل دخلك وكل خرجك ، وراجعه مرة بعد أخرى .

القاعدة الخامسة : اعمل ميزانية دقيقة لكل سنة قبل الدخول فيها ، حتى يمكنك أن تقتصد من مالك الذى بيدك اليوم ما يقوم بحاجاتك ويزيد عليها فى الغد

القاعدة السادسة : إياك والإنفاق فإن الذى تتلفه تخسره ولا ينفع به أحد .

القاعدة السابعة : راقب كل أعمالك بنفسك فإن كنت من أهل الإمارة فما أنت بأعظم من ( فردريك الكبير ) ملك ( بروسيا ) ولا من ( واشنطن ) محرر ( أمريكا ) فإن كلا منهما كان يعرف كل ما فى بيته وكل ما ينفق فيه ؛ وإن كنت من أهل الأعمال فلا يتعب لك أحد وأنت متغافل عنه كما يتعب وأنت تراقبه ، وقد جاء فى الأمثال : لا يهتم فى العمل إلا صاحبه ، ولا يراقب الشيء إلا عين صاحبه .

القاعدة الثامنة : لا تشتري شيئاً لا تكون محتاجاً إليه بفكرة كونه رخيصاً أو غير بالغ حد قيمته ، فإنه فى الواقع ونفس الأمر يكون غالباً لعدم احتياجك إليه .

ولا تشتري شيئاً خارجاً عن حد إيرادك ميلاً منك إلى النظاهر والمباهاة والمفاخرة الباطلة ، فإن هذا مما يقوض ثروتك ، ويكون سبباً لتأخرك .

## - ٩١ -

القاعدة التاسعة : انظر دائماً في أمور مستقبلك ، واعمل حساباً لما عساه أن ينزل بك من نكبات الدهر ، لاتخاذ الاحتياطات اللازمة للتغلب عليها ، فإن من تبصر في العواقب يكون في أمان وراحة بال .

### تدبير الوقت

« إذا فاتني يوم ولم أصطنع يبدأ ولم أكتسب علماً فاذاك من عمري »  
 الزمن كالمال ، كلاهما يجب الاقتصاد فيه وتديبره ، وإن كان المال يمكن جمعه وادخاره لوقت الحاجة بخلاف الزمن .  
 قيمة الزمن كقيمة الوقت ، كلاهما قيمته في حُسن إنفاقه ، وحُسن استعماله قالبيخيل الذي لا ينفق من ماله إلا ما يسد رمقه . فقير كما إذا كانت أمواله مزيقة ، كذلك من لم ينفق زمنه فيما يزيد في سعادته وسعادة الناس فعمره مزيق .

إننا نعيش في زمن محدود ، ليل ونهار يتعاقبان بانتظام ، ليس يطنى أحدهما على الآخر ، وحياة مقسمة تقسماً محدوداً : صِباً ، فشاباً ، فسكولة / فشيخوخة ، ولكل قسم عمل خاص لا يليق أن يعمل في غيره ، كالزراع إذا فات أوانه لا يصح أن يزرع في غيره .  
 وحياة محدودة فإذا جاء الأجل فلا مفر من الموت .

وما فات من الزمن لا يعود ، فالصبا إذا فات فات أبداً ، والشباب إذا مرّ مرّاً أبداً ، والزمن المفقود لا يعود أبداً .

وإذا كان الزمن محدوداً ، وكان لا يمكن أن يمد فيه أو يقصر ، وكانت قيمته في حسن إنفاقه وجب أن نحافظ عليه ، ونستعمله أحسن استعمال وليس للانتفاع بالزمن ، والمحافظة عليه ، إلا طريق واحد ، ذلك أن يكون لك غرض في الحياة ترضى عنه الأخلاق فتتفق زمنك في الوصول إليه .

وضياع الزمن لسببين : الأول ألا يكون للانسان غرض يسعى إليه .  
قال عمر بن الخطاب : إني لأكره أن أرى أحداً سبهاً ، لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة .

فما أضيع زمن قارئ يقرأ ما يقع في يده من الكتب من غير أن يكون له غرض معين كببحث موضوع خاص أو دراسة مسألة خاصة ؟

وما أتعب من يمشى في الطريق لا لغرض ، يسير من شارع لشارع ، وينتقل من حانوت لآخر لا لغرض معين !

وتحديده الغرض يوفر من الزمن الشيء الكثير ، ويسير الإنسان في الحياة على هدى ، كلما صادقه أمور عرف كيف ينتخب منها ما يغذى غرضه ، ويتجنب ما لا يتفق معه ، إن الذين لا يحددون أغراضهم ويتركون الزمن يمر عليهم كما يمر على الجراد قلما يصدر عنهم خير كبير أو يأتون بعمل عظيم

## - ٩٣ -

والإنسان بلا غرض كالسفينة في البحر بلا مقصد متروكة في يد الأمواج تلعب بها ؛ ويلاحظ أن أكثر الناس عملاً أو سعيهم زمناً ، ذلك لأنهم محدودو الغرض فهم يوجهون أعمالهم قبله ، ولا يصرفون زمنهم في التردد والاختبار ، ولا يكونون كرة في يد الظروف تلعب بهم كما تشاء ، بل هم الذين يخلقون الظروف ويتصرفون. فيها حسب أغراضهم في الحياة .

الثاني - مما يضع الزمن أن يكون للإنسان غرض محدود ولكنه لا يخلص لغرضه فلا يجِدُ الوصول إليه ، ولا يعمل ما يتفق معه .  
« عن كتاب الأخلاق »

هذا وإن ضياع الوقت لا يوازيه شيء آخر سواء مهما كان نفيساً .  
فإذا فرطت في متاع عزيز ، أو تحفة ثمينة ، أمكنك استردادها بضرب من ضروب الحيل ، أما إذا فرطت في ساعة من عمرك وأضعتها بدون أن تكسب بها خيراً أو محمداً لا يمكنك استرداد تلك الساعة ولو بذلت في سبيلها ملء الأرض ذهباً . فالوقت إذاً أثمن من الذهب وأعز منه . نعم الوقت ثمين جداً ، وإذا مضى لا يعود ، وجاء في الأمثال : الوقت من ذهب ، فإذا أضعت منه شيئاً فكأنك أضعت جزءاً من مالك ، فإذا كنت تكسب ريالاً مثلاً في اليوم وتركت الشغل يوماً واحداً فكأنك خسرت هذا الريال .

## — ٩٤ —

ولقد أصاب صفي الدين الخلي حيث قال :

« حياتك رأس المال والعلم ربحه وأخلاق أشراف بهن تصدر »  
 « وموسمك الأيام خلقتك حازماً وإلا فذو التفريط لا شك يخسر »  
 « ومن ضيع الأوقات ضاعت حياته وعاش فقيراً جاهلاً ليس يشكر »  
 « ودع غائباً من فائت ومؤمل فوقتك سيف قاطع ليس يعذر »  
 حقاً ان الوقت كالسيف ، إذا لم تقطعه بالأعمال النافعة قطعك بالآسى  
 والأسف .

ومن المعلوم أن الحياة جهاد وكد ، فكل يوم من أيام حياتك عمل فإذا  
 لم تعمل في يومك عمله ضاعت عليك فائدته وقال أحد الشعراء :  
 « ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل إلى غد إن يوم العاجزين غد »  
 وجاء في الحكم : لا تؤخر إلى الغد ما تقدر أن تعمله اليوم ، لأنك إذا  
 أخرت عمل يوم إلى يوم آخر اجتمع عندك عمل يومين فيصعب عليك القيام  
 بهما ، أما إذا أمضيت في كل يوم عمله أرحت نفسك ، واكتسبت قيمة  
 وقتك .

وليس من المحافظة على الوقت تخصيص جميعه للعمل ، بل تقسيمه تقسيماً  
 مناسباً لحاجات الإنسان حتى تصيب الراحة والسرور قسماً منه لأنهما لازمان  
 للحياة أيضاً .



— ٩٥ —

إن لبدنك عليك حقاً ، ولذلك قد رأت الشرائع والحكومات أن  
تخصص يوماً في الأسبوع للراحة من الأعمال وتجديد القوى واستعداد  
لاستئناف العمل ، فجعلت يوم الجمعة عطلة عند المسلمين ، ويوم السبت عند  
اليهود ، ويوم الأحد عند المسيحيين .

( سبل النجاح )  
للمؤلف

كاتب بليغ يندب وقتاً أضاعه  
ويحث على المحافظة على الزمن

الوقت هو التبر الثمين ، ولكننا نتلقاه غير مكترئين ، نبدد الأعوام واحداً  
بعد واحد ، لا نستفيد منها نفعاً ، ولا نحسن فيها صنفاً .

فقل لمن يصرف الأيام ، بين الأوهام والأحلام ، إن كنت تجهل مقدار  
ما تضيع من الزمن ، فقف بالقبور ملتصقاً من سكانها برهة من الوقت ، تعلم  
أنه العزيز الذي لا يملك ، فن أضاعه واشترى به ثمناً قليلاً فأولئك من  
الخاسرين .

## - ٩٦ -

ألا أن الطبيعة لحكيم مذهب الأفكار ، بدروس الاعتبار ، وإنا لنموت في كل حين ثم نحيا ، ثم نعود أمواتاً ، فلنا في كل يوم عمر جديد ، ولكن أكثرنا لا يشعرون .

تمرُّ بنا الأوقات سراعاً ، وتكر الأيام تبعاً ، فنذهل عن تعاقبها كالحقد بالكرة الدائرة يحسبها ساكنة ، أو كالمغتسل في النهر يمر به الماء جارية فلا يميز بين منصرفه وآتيه ، والحق إنا لفي ضلال ميين .

لم يكفنا القعود ، عن شراء الوقت المفقود ، حتى نشري بكل نفيس ما يضيع به الوجود .

نبدد كنوز الأيام غير شاكرين ، فإذا بدا الشاغل قلنا ما أبطأ الزمان متحركاً ، وما أثقله نزيراً ، والتمسنا إلى الفرار منه سبيلاً ، ولا نفر إلا من أنفسنا ، فالزمان عين الوجود .

نملّ البقاء ، ونرجو الفناء ، فإذا جاء نذيره ، وددنا لو نكون من الخالدين .  
ويتمثل لنا الوقت شبيحاً ثقیل الوطأة ، فإذا تولى رأينا طائراً عظيم الجناحين ، فنسعى في طلبه ، فلا ندرك له أثراً ، فنعود عنه آسفين .

فما سرُّ هذا التناقض ؟ وما بالنسا نرى اليوم الحاضر بغيضاً ، فإذا انقضى بكيناه وقلنا : إن الزمان بمثله لضنين ، ولا يضن الزمان بالأيام ، وإنا نحن بها مسرفون ، وما كان ندمنا إلا عقاباً على الإسراف ، كذلك يجزى المفرطون .

تفيض علينا الأوقات ، فننفق منها بغير حساب ، ثم نحثها على المسير ،  
فإذا انصرفت ناديناها غير مسمعين ، فنحن نسعى إلى الموت ، ثم نفر منه ،  
كهاشقة حمقاء تغاضب من تهواه سعياً إلى الهجر ، فإذا رامه أتته مستغفرةً  
أنها من الثائبات .

ونملّ الأعمال ، ولا راحة إلّا بالأعمال ، فالهناء ثمرة لا تنبت إلا في حقول  
الأشغال ، والحياة إن لم تكن مقرونة بالهناء ، فهي عين العناء .

فقل لمن يلتبس الملاهي لصرف ما يحسبه بطيئاً من وقته السريع : أى  
هذا المسترجل طفلاً ، المسترجل كهلاً ، القاعد عن النعمة سهواً ، نراك تحسب  
اللهو حياة ، فهل تحسب الموت لهواً ؟

تنام ملء عينيك على وساد الفساد ، تحت ظلال الوبال ، ولا تسمع حركة  
الوجود ، كأنك ممن اتجروا ، فاكثفتهم الأنواء تجر سحاباً ، تمطر عذاباً ، فخر  
دويها بأذانهم فهم لا يسمعون .

ففيه طرف الفكرة ، من رفدة العقلة ، واحرص على يومك ، حرص  
البخيل على الدرهم ، فر بما سرت النعمة تحت جناح ساعة منه وأنت لا تعلم .  
وأعد بما تعد من الفضل ما صار من وقتك منسياً ، فثائرة تعيد مائت  
الزمن حياً .

واعلم أن من أضاع شيئاً من الوقت ، فقد سرق الثبر ، بل سلب العمر ،  
وكان من القتلة الظالمين .  
من منتخبات  
أديب إسحاق

## جزاء عدم المحافظة على الوقت

اقتربت سفينة من جزيرة جميلة فقال ( الربان ) أى الرئيس : من أراد  
النزول من الركاب فليزل ، وعليهم أن يرجعوا عند ما يرق الجرس  
في الغروب ، لأنه حينئذ يرفع المرساة ويستمر في سياحته ، فانقسم الناس إلى  
خمس جماعات :

١ - فسكنت الأولى على ظهر السفينة ؛ لأنهم كانوا يخشون أن يضلوا  
في الجزيرة .

٢ - وتجولت الجماعة الثانية في الغابات ، وتمتعوا بروائح الزهور وأكلوا  
من الفاكهة اللذيذة ، ورجعوا إلى السفينة فرحين منتعشين .

٣ - وتجولت الثالثة بعيداً ، ورجعوا إلى الشاطئ في عين الوقت الذى  
كان فيه الملاحون يرفعون المرساة ، وكانوا يخشون أن يكونوا قد تأخروا عن  
الميعاد المعين .

٤ - وأبطأت الجماعة الرابعة ، وتوانت حتى سمعوا الجرس يذق فلم يهمهم ذلك ، بل قالوا : لاجاجة إلى السرعة ، فالربان لا يذهب بدوننا غير أن السفينة أخذت تتحرك ، فخاض القوم الحق في الماء ، وشاجر بعضهم بعضاً عند ما كانوا يتسلقون بجهد على جانب السفينة

٥ - وأما الجماعة الخامسة فأكلوا وشربوا واكثروا من الأكل والشرب ، ولم يعرفوا أين يقفون ، فغلبهم النوم ، فلم يسمعوا صوت الجرس ولم يعرفوا أن السفينة أقلت

ثم استيقظوا في ظلمة الليل ، فارتبكوا وهلكوا ، وذهبوا ضحية عدم محافظتهم على الوقت المحدد لقيام السفينة ، ولسان حالهم يقول :

« أنلهو وأيامنا تذهب ونلعب والدهر لا يلعب »

### مثال الرجل المحافظ على وقته

روى أن ملكاً ركب في موكب ، عظيم فهرع الناس أفواجا لينظروه ، فمرَّ بصانع ، فرآه مكباً على شغلته ولم يلتفت إليه ، ولم يرفع رأسه للسلام عليه فوقف الملك عنده وقال : كل الناس ينظرون إليّ إلا أنت فما السبب ؟ فقال الرجل : أيها الملك ، أدام الله ملكك ، إنى رأيت الأيام تمر مرّ السحاب ، وتسير سير الشهاب ، وما رأيت أنفع ولا أبقى للمرء من عمل ينتفع به في حياته ، وينتفع به الناس ، فها أنا أبذل غاية جهدى في إتقان عملي ، والحفاظة على وقتي

فسرّ الملك من جوابه ، وأمر له بجائزة

ومن أمثلة المحافظة على الوقت والاستفادة منه ما يأتي :

كان الصاحب بن عباد وزيراً جليلاً لمؤيد الدولة أبي المنصور بن بُويه بعد أبي الفضل بن العميد ، ولم تقعه أعمال الوزارة أو مصاحبة مؤيد الدولة عن تأليف كتاب المحيط في سبعة مجلدات والكافي في الرسائل ، وجملة كتب غزيرة الفائدة تدل على تقديره لوقته وعدم إضاعة شيء منه

وكان أحد رؤساء الجمهورية الأمريكية ، وهو صخير السن ، يقفم العطلة الدراسية فيقضيها في العمل ، فيربح ما يساعده على شراء الكتب ، وتعلم العلوم

وكان المستر ( اسمث ) المخترع العظيم ، يعمل كل يوم بعد الظهر وبعد الفراغ من دروسه في معمل أبيه

ويحكى : أن ( كسرى أنوشروان ) ملك الفرس مرّ على شيخ كبير في السن ، يغرس النخل ، والمعروف أن النخل لا يطرح ثمرأ إلا بعد زمنٍ طويل ، فدهش الملك من تقدير هذا الشيخ الفاني ، لقيمة الوقت وعدم إضاعته سدى

وكان ( غلادستون ) السياسي المشهور ، والخطيب الإنجليزي على سعة علمه ، وشدة ذكائه ، وفصاحة قلمه ولسانه ، لا يتخلو يده في أي وقت من الأوقات ، من كتابة يقتل بها الوقت ، إذا ركب قطاراً أو مركبة

## - ١٠١ -

وكان ( إسحاق نيوتن ) المستنبط العظيم ، يشغل وقت فراغه ، وهو تلميذ بصنع الآلات الصغيرة ، فكان التلاميذ يسمعون صوت المذار وطرق القدوم من مخدعه

وكان ( استيفنس ) مبتكر الآلة البخارية أجيراً ، غير أنه كان يشغل وقته بدرس الحساب والمساحة ، ويحل مسائلهما بقطعة من الطباشير على جوانب مركبات الفحم ، في جوف الليل

وكان ( ابن رشد ) الفيلسوف العظيم ، يقضى ليله في التأليف والتحرير ولم ينقطع عن ذلك إلا في ليلتين ، ليلة عرسه وليلة وفاة أبيه

وكان ( ياقوت الحموي ) تاجراً ، يشتغل في البلاد ، ويطوف بالمدن والأمصار ، غير أنه لم يرض لنفسه أن يضيع الفرص التي أتاحت له ، فأخذ يدون كل ما شاهده من الأماكن ، ويصف أخلاق ساكنيها حتى جمع كتابه المشهور ، ( معجم البلدان ) فكان أعظم كتاب في علم تخطيط البلدان ، وأخلاق الشعوب

وكان ( ابن الصابوني ) خازناً لمكتبة في بغداد ، فعزّ عليه أن يجد الناس ينتفعون بها دونه ، وأبى أن يكون أميناً على كتب يجهل ما فيها ، ومن ثم أخذ يجتهد في قراءتها ويعنى بالتدقيق في مسائلها ، حتى ألف كتاب ( مجمع الآداب ) في خمسين مجلداً ( ودر الأصداف ) في عشرين مجلداً

## - ١٠٢ -

### واجب الانسان نحو أسرته

تتكون الأسرة عادة من أب وأم وإخوة ، وأقرب الناس اليهم  
ثم الخدم

وشأن الإنسان في أسرته كشأن العضو في جسمه ؛ فكما أن الإنسان  
لا يتمكن من القيام بأعماله ، إلا إذا تعاونت أعضاء جسمه ، وقام كل  
فرد فيها بعمل

فإذا لم يقوم رب البيت بالنفقة على الأسرة ، وربة البيت بإدارته وتديره  
حاق به الفناء . وإذا خرج الأولاد عن طاعة والديهم ، وهجروا دروسهم ،  
وانصرفوا إلى اللهو واللعب ، فقد كتب عليهم الشقاء وعلى أسرهم النذل والعناء  
والسرّ في بقاء الأسرة ، وارتفاع شأنها ، ودوام سعادتها ، إنما يكون في  
تعاون أفرادها وقيام كل بواجبه

ولفتكم الآن على واجب الإنسان نحو أبويه



## واجبه نحو والديه

الواجبات المطلوبة نحو الوالدين هي : الحب - الشكر - الطاعة - الاحترام - البرّ

١- أما الحب ، فعاطفة فطرية أوجدتها القدرة الربانية ، في قلب الولد ، فإن لم يشعر الولد في دور الطفولة ، بأنه منجذب بميل طبيعي لحبة والديه المملوءين عطفًا وحنانًا عليه ، فانه يشعر بذلك إذا شبّ ، وكلما ازداد إدراكه وشعوره بالحبّة ، حتى إذا بلغ أشده تحولت محبته لأهله شفقة ، فيعمل لسعادتهم كما كانوا هم يعملون لسعادته

٢- أما شكره لهما ، فيجب ألا يحده حد ، ولا يحصيه عد ، لأنهما سبب وجوده في الحياة الدنيا ، وهما اللذان ربياه وأحبّاه حبًّا جمًّا ، وأقلّ ثمن على ذلك الشكر ، وعليه أن يقرن هذا الشكر بالعمل لنفعهما ، وتخفيف أعباء الحياة عنهما ، فهو عدتهما في الحياة ، وفلذة كبدهما ، وموضع رجائهما وهنائهما ، ومحل عنايتهما

وأن يكون أداؤه حق الشكر ، وقيامه بمفروض العمل ، بلا من ولا ضجر ، بل بالعطف والصبر ، لأن هذا لا يعادل مصادفاه من المشاق العظيمة في تربيته منذ ولد إلى أن صار شابًا يكسب المال بجده ونشاطه بفضل رضائهما وحبهما ودعائهما وتشجيعهما عقله بالعلم والأدب فيجب عليه أن يعاملهما بالإحسان عملاً بقوله تعالى :

## - ١٠٤ -

« وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ  
عِنْدَكَ الْكَبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ  
قَوْلًا كَرِيمًا ، وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا  
كَمَا رَّبَّنَا نِي صَغِيرًا » .

وقال تعالى : « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا » إلى آخر الآية .  
وأوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بالأمهات ، وكرر ذلك ثلاثاً ، ثم  
أوصى بالآباء .

وقال أيضاً : « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

٣ - أما طاعته لهما ، فهي دليل على إخلاصه وحبّه ، فواجب عليه أن  
يطيعهما ، وأن يخفض لهما الجناح في السر والعلانية ، وأن يعمل بنصائحهما ،  
وأن يعتقد كل الاعتقاد بأن الفوز والنجاح في امتثال أوامرهما ، والخيبة  
والخسران في مخالفتهما ، لأنهما أعرف منه بالمنافع والمضار ، وأكثر خبرة بأمور  
الدنيا ، ولا يهمهما إلا نفعه وراحته وسعادته .

٤ - أما احترامه النبوي لهما فيكون برعاية الأدب نحوها في قوله وعمله ،  
فلا يعاملهما معاملة الأنداد النظراء ، بل معاملة الصغير للكبير ، حتى إذا بلغا  
من الكبر عتياً ، وجب عليه احتمال ما يبدو، منهما متهما كان مخالفاً للعقل، والصبر  
مع التعطف في إرشادهما إلى جادة الحق والصواب .

## - ١٠٥ -

فمن رزق ابناً شكوراً مطيعاً ، محباً لأبويه محترماً لهما ، فقد نال نصيباً عظيماً من نعيم الدنيا وثواب الآخرة .

هـ - أما البر بالوالدين ، فإذا بلغا الكبر ، وصارا عاجزين عن العمل ، كان لهما عوناً ، وحاطهما بعنايته ، وأنفق في حاجتهما ما يستطيع إنفاقه جزاءً لسالف برهما ، وعظيم فضلهما .

إن الولد البار بأبويه ، الخالص لهما في الطاعة ، يستقبل من ذريته أبرّ الأبناء ، وأوفاهم له ، وأعطفهم عليه ، جزاءً وفقاً لطاعته السالفة ، وبرّه السابق ، وكما يدين الفتي يدان .

وقال عليه الصلاة والسلام : « برّوا آباءكم تبركم أبناؤكم » .  
ومهما بالغ الإبن في إكرام أبويه فلن يستوفي واجب البرّ .

- ١٠٦ -

## أمثال وحكايات في فضل الوالدین أنت ومالك لأبيك

قیل : إن رجلاً جاء إلى النبی ﷺ فقال له :  
یا رسول الله إن أبی أخذ مالی .

فقال له المصطفى علیه الصلاة والسلام : اذهب فائتني بأبيك .  
فلما جاء الشيخ قال له النبی ﷺ : ما بال أبك يشكوك ، أترید أن  
تأخذ ماله ؟

فقال له : سله یا رسول الله . هل أنفقه إلا على إحدى عَمَّاته أو خالاته  
أو على نفسه ؟

فقال له النبی ﷺ : دعنا من هذا ، أخبرني عن شيء قلته في نفسك  
ما سمعته أذنك ؟

فقال الشيخ : والله یا رسول الله ، ما يزال الله يزيدني بك يقيناً ، لقد  
قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذنای .

فقال النبی ﷺ : قل فأنا أسمع .

فقال الشيخ :

غذوتك مولوداً وعُلمتْك يافعاً      تعملُ بما أحضو عليك وتنهل  
إذا ليلة ضافت بك السقم لم أبت      لسقمك إلا ساهراً أتمل

## — ١٠٧ —

« كَأَنِّي أَنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بالَّذِي طُرِقتَ بِهِ دُونِي وَعِينِي تَهْمَلُ »  
 « تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَأَنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ وَقْتَ مُؤْجَلٍ »  
 « فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَ وَالغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيهِ أَوْمِلُ »  
 « جَعَلْتَ جِزَائِي غَلَاظَةً وَفُظَاظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ النِّعَمُ الْمُتَفَضِّلُ »  
 « فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبَوَتِي فَعَلْتَ كَمَا الجَارُ الجَاوِرُ يَفْعَلُ »  
 فَيَنْتِزِعُ أَخَذَ النَّبِيَّ ﷺ بِتَلَايِبِ الوَلَدِ وَسَلَّمَهُ لَوَالِدِهِ قَائِلًا لَهُ : أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَيِّكَ .

### حنان الآباء

أَقْبَلَ غَلامٌ مِنَ العَرَبِ عَلَى المَنْصُورِ فَسَأَلَهُ عَنْ أَبِيهِ .  
 فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ : مَرَضَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ كُذِّبَ ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ  
 كُذِّبَ ، وَتَرَكَ رَحِمَهُ اللهُ مِنَ المَالِ كُذِّبَ .  
 فَانْتَهَرَهُ الرَّبِيعُ فِي المَجَاسِ وَقَالَ لَهُ :  
 مَا هَذَا الحَقُّ ؟ كَيْفَ وَأَنْتَ مَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ تَوَالِي بالدَّعَاءِ لَهُ ؟  
 فَقَالَ لَهُ الأَعْرَابِيُّ : لَا لَوْعَ عَلَيْكَ وَلَا عَتَبَ ، لِأَنَّكَ لَمْ تَتَذَوَّقْ حَنَانَ الآبَاءِ .  
 لِأَنَّ الرَّبِيعَ كَانَ مَوْلَى المَنْصُورِ وَلَا يَعْرِفُ لَهُ أَبَ .

— ١٠٨ —

## ما أحسن الولد البارّ بأمه !

كان زين العابدين كثير البرّ بأمه حتى قيل له :  
أنت أبرّ الناس بأمك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة واحدة .  
فقال : أخاف أن تسبق يدي إلى ما تسبق إليه عيناها فأكون قد عقيتها

## استوصوا بأمكم خيراً

كان في بلاد العرب ، رجل حكيم ، رزق أولاداً كثيرين ، عاش  
بينهم عيشةً راضيةً ، وهم يجلونه ، ويحذون حذوه في الاستقامة ، فلما شعر  
بقرب ارتحاله من دار الفناء ، أحضر أولاده وخاطبهم أمام أمهم قائلاً :  
يا أولادى - إني راحل إلى الدار الآخرة ، وما أحضرتكم إلا لأبائكم  
وصيتي هذه ، فاحفظوها عني ، واجملوها قبلتكم تؤمونها صباح مساء ، فإنها  
خير ما ترثونه بعدى .

فقالوا : وما هي وصيتك يا أبانا شفاك الله ؟

قال : أن تتقوا الله الذى يبقى ، وما سواه يفنى ، ويوفر صغيركم كبيركم ،  
فإن هذا مما وصى به الله عباده ، وأن تقبلوا على الأشغال النافعة إقبال الظمان  
على الماء العذب ، فإنها تعلى قدركم ، وتكفل لكم حسن المستقبل بين أهل الزمان .

## — ١٠٩ —

يا أولادى - استوصوا بأمكم خيراً ، أحبوا وأكرموا ، وأمدوها بجميع ما يلزمها فى حياتها ، حتى لا تذهب نفسها حسرة على فقدى ، واجعلوا تعبها من أجلكم وأتم صغار نصب أعينكم وأتم كبار .

يا أولادى - آسوا المحتاج بالطعام ، وأفسوا السلام ، وأكثروا من البشاشة ولين الجانب ، تناولوا المجد من الأقارب والأجانب .

يا أولادى - كونوا متحدين ، ولا تنازعوا فتنشأوا ، وتذهب ربحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين .  
بحر الآداب

ج ٢ - ص ٨٠

## مكافأة الولد البار بوالديه

مما يروى أن ( فريدريك الكبير ) فى صبيحة يوم قرع الجرس يدعو غلامه فلم يحضر ، فدقه ثمانية وثلاثة فلم يجد أحداً ، فتعجب من ذلك ، وقصد غرفة الغلام ، فوجده مستغرقاً فى النوم ، ووقع بصره على رسالة بارزة من جيبه ، فدخلته الرغبة فى استطلاع أمرها ، فأخذها وقرأها ، وهى رسالة إلى الغلام من أمه ، تشكر له حبه البنوى وعنايته الشديدة بها ، وإرساله إليها ما توفر عنده من الدراهم .

فتأثر الملك بما وقف عليه ، ومضى إلى مقصورته ، وعاد منها بصرة من النقود وودسها بخفة في جيب الغلام ، ثم خرج وقرع الجرس بعنف ، حتى هبَّ الغلام من نومه مذعوراً ، وأسرع إلى مقصورة الملك ، فوقف وقد استولى عليه الخوف والحجل ، فامتدت يده من غير قصد إلى جيبه ، فانقض كمن لدغته عقرب .

هذا والملك ينظر إليه ، فسأله عما أصابه .

فقال وهو متلعثم : إنه وجد في جيبه صرة لا يدري من أين أتته ، ويخشى أن تكون يد عدوٍّ أرادت له ضرراً ، فعملت على مكيدة له . فسكن الملك روعه ، وطيب خاطره ، وأخبره بأنه وقف بدون قصد على جليلة أسرته ، وأنه أراد أن يحازيه على برّه بوالدته ، فوضع له الصرة ، ثم أوصاه أن يبقى على ما كان عليه مع أمه ، فوعده أن لا يغفل عنها ، بل يواصلها بالإحسان .

## واجب الإنسان نحو إخوته

إن أخاك الذي والده والدك ، وأمّه أمك ، ودمه دمك ، ولحمه من لحمك ، ولعنتك من لعنتك ، ودينه دينك ، لهو جدير باهتمامك ومعاونتك إياه ، وله حقوق عليك ، ورجاء فيك ، فلا تبخل عليه بالعناية والالتفات إلى مصالحه ، والاهتمام بها كاهتمامك بمصالحك الخاصة .



## - ١١١ -

قال الله تعالى في محكم كتابه : « قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِ هَرُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا » .

وقال الله عز وجل : « قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ » .  
قال سليمان : وأما الأخ فللشدة يولد .

وجاء في الأمثال العامة : أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب ، بيانا لشدة الصلة بين الإخوة .  
وقال الشاعر العربي :

« أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مِنْ لَا أَخَا لَهُ      كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بَغِيرِ سِلَاحٍ »  
دليلاً على أن الأخ هو الساعد الأيمن لأخيه ، بل هو السلاح الذي يدافع به في معترك الحياة .

وعلى الأخ واجبات كثيرة نحو إخوته :

١ - فيجب عليه محبتهم ، واحترامهم ، وحسن معاملتهم ، لأنهم أقرب الناس إليه بعد أبويه ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، عملاً بالحديث الشريف :  
« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .

## - ١١٢ -

٢ - عليه أن يعتبر الأخ الأكبر في منزلة الوالد ، فيعامله بالأدب والمعروف ، وأن يذعن لنصائح ، ويعمل بإرشاداته النافعة

٣ - عليه أن يعامل إخوته الأصغر باللطف والإحسان ، وأن ينفق عليهم ، ولا يتسبب في ضررهم أو أذاهم ، وأن يكون لهم مثال الاحترام والوقار ، وعنوان الاستقامة والاعتبار ، فلا يشتمهم ، ولا يأخذ من أيديهم شيئاً بغير رضاهم ، لأن ذلك يسوءهم ويغضب والدهم ، وله إذا رأى منهم أمراً غير لائق ، أو خارجاً عن حد الأدب أن ينهاهم عنه باللطف واللين ، وأن يعرفهم ضرره ، ويرشدهم إلى طريق الخير والصواب

٤ - يجب أن يكون عضداً ونصيراً لإخوته في كل ملعة ، غير منتظر في ذلك سؤالاً منهم ، بل يساعدهم بما في قدرته ، وأن يسعى لما فيه مصلحتهم على قدر طاقته ، وعليه أيضاً المحافظة على أسرار إخوته ، وأن لا ينقل عنهم شيئاً يلحق بهم ضرراً ، وإلا كان عدواً لهم ، وأن يكون صادقاً معهم قولاً وفعلًا

٥ - ليتجنب الأخ معادات إخوته ، والوقوع معهم في مشاغبات أو مخاصمات أو مناقشات ، طمعاً في ميراث أو ثروة ( يرثها عن والديه ) فيقضى وقته ، وينفق ماله في الطعن والفساد ، وبذلك يسىء إلى نفسه وإلى إخوته ، وإلى سمعة أبيهم ، ويحط من شرف أسرته . وليكن على الدوام معهم ، في وفاق واتحاد ، لا في نزاع واختلاف ، ليعيش معهم في راحة ومسرة وهناء ، عملاً بقوله تعالى :

## - ١١٣ -

« وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » .

### الحب الأخرى الخالص

كانت مدينة أورشليم « بيت المقدس » أرضاً تزرع ، وكان مكان المعبود حقل لشفيقين ، ورثاه عن أبيهما ، وكان أحدهما متزوجاً وله عدة أولاد ، والآخر عزباً ، وكانا يزرعان الحقل معاً ، ويقسمان المحصول بينهما نصفين ، ففي سنة ما زرعاه قحاً ، وبعد حصده جعلاه حزمين متساويتين وتركاهما

ففي المساء جاس الأعزب ، يفكر ويقول في نفسه : إن أخى له زوجة وأولاد وكلهم يأكلون من حزمة ، فليس من العدل أن يخصني مثل ما يخصه ، فلا ذهبن لأضع من حزمتي جانباً في حزمته ؛ ثم قام وفعل ما كان يفكر فيه ، وفي ذلك المساء ، كان المتزوج يقول لزوجته إن أخى الصغير يعيش فريداً ، فلا أنيس له في وحدته ، ولا معين له في معيشته ، ولا معزى له في تعبته ، فليس من العدل أن يأخذ مثل ما نأخذ ، فلنذهبي ولتضحي في حزمته قحاً من حزمتنا ، فأطاعته زوجته في ذلك ، وقاما وفعلا ما كانا يقولان

( ٨ - سمير - رابع )

## — ١١٤ —

وفى الصباح ذهب الشقيقان إلى الحقل ليرى كل ما صنعه ، فدهش لما  
وجدا الحزمتين لم تنقصا ولم تزيدا ، فلم يبد كل منهما أقل إشارة للآخر وكررا  
صنيعهما مراراً ، وحدث ما حدث حتى اتفق أنه ذات يوم ، ذهب الاثنان فى  
وقت واحد ليكشف كل عن هذا السر المكنون فتقابلا مصادفةً ، وهما  
يحملان القمح ، فسأل كل عن مجيء الآخر وعرف قصده ، وذلك ما حمل أهل  
(أورشليم) على أن يشيدوا فى ذلك المكان بيتاً لعبادة الله ليكون مباركاً ،  
حيث كان لشقيقين صالحين متحابين قلبيهما على قلب رجل واحد . وهكذا  
يكون الحب الأخوى

## الإخوان أفضل من المال

لما مرض (قيس بن عباد) استبطأ إخوانه فى العيادة ، فسأل عنهم  
فقيل له : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين  
فقال : أخزى الله مالا يمنع عنى الإخوان من الزيارة ، ثم أمر من يتنادى  
من كان لقيس عنده مال ، فهو منه فى حل فكسرت عتبة بابه فى العشي  
لكثرة العواد

## هكذا تكون الأخوة الصادقة

ننقل للناس خبراً يرتاحون إليه ، وهو عمل من أسمى وأشرف ماسطرته  
تواريخ الأمم ، ويحق للإنسان أن يفخر به على مدى الزمان وهو أنه أصيب  
أحد الإخوان ، في مدينة ( شيكاغو ) بأمريكا بسرطان في فخذه ، وامتد حتى  
غطى مسافة ١٤٥ مائة وخمسة وأربعين قيراطاً مربعاً ، فاضطر الجراح أن  
يستأصل هذه البقعة كلها من الجلد ، وأراد تغطيتها بجلد حيوان فلم ينجح ، ولما  
رأى أنه لا بد من استعمال جلد الإنسان لهذه الغاية ، أخبر إخوان المصاب ،  
فتبرعوا جميعاً ، بأن يقدم كل منهم قيراطاً مربعاً من جلده ، وكان عددهم يربو  
على الثلاثمائة فسألهم أن يستعدوا لهذه العملية ، بأن يأكلوا الأغذية النافعة ،  
مدة أسبوع ففعلوا حتى إذا جاء يوم العملية ، اجتمعوا جميعهم في المستشفى  
وانتخب الأطباء ، العدد اللازم منهم وقسموهم إلى فرق ، وكانوا يدخلون كل  
فرقة إلى حجرة المريض ، الذي كان تحت فعل التخدرات ويتقدم كل رجل على  
حدة ، فيعزى الأطباء ذراعه ، ثم يقطعون قيراطاً مربعاً من جلده ويضعونه على  
رجل المصاب ، وهكذا حتى غطوا المائة والخمسة والأربعين قيراطاً ، التي كان  
اللحم قد جرد عنها وقد عجب الأطباء ، من شهامة هؤلاء الإخوان الكرام ،  
وصبرهم على تحمل هذه العملية ، بدون أن يتعاطوا شيئاً من التخدرات ، أما  
الأخ المصاب ، فحصل له الشفاء على أثر ذلك

## - ١١٦ -

فهيكذا تكون الأخوة الصادقة ، والشجاعة النادرة ولقد أصاب من قال :  
 « إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك »  
 وقال آخر :

« كم من أخ لك لم يلده أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يحفوكا »  
 وقد جاء في مجمع الأمثال : رب أخ لم تلده أمك

## واجبات الإنسان نحو أقاربه

( صلة الرحم )

من أحب أن يبسط له في رزقه ، وأن ينسأ له في أثره ، فليصل رحمه  
 رواه البخارى « حديث شريف »

أقاربك هم : عمك وخالك وعمتك وخالتك ، وأبناء وبنات العم والخال ،  
 والأصهار ، وهم أولى الناس بمحبتك واحترامك ، لأنهم أقرب الناس إليك ،  
 بعد والديك وإخوتك ، ومحبتهم كحبهم أنفسهم ويريدون سعادتك ،  
 وراحتك ومسررتك ، فيجب عليك :

١ - أن تعامل الكبار من أقاربك ، معاملة لك لوالديك ، والصغار منهم  
 معاملة لك لإخوتك ، وأن تساوى بينهم في المودة ، ولا تتكلم على الفراة ، فتقطع

## - ١١٧ -

عنهم مودتك ، لأن القرابة تحتاج إلى المودة ، بخلاف المودة ، فإنها لا تحتاج إلى القرابة ، وبإدراك عيادة من يمرض منهم ، ومواساة ضعيفهم ، وشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم ، وقم خير قيام ، بما يكلفونك به مع بذل الجهد ، في حسن إتمامه .

٢ - إن مساعدة ذوى القربى واجبة ، تدعوك إليها الشفقة ، ورابطة القرابة ، ولكن ليس من البرّ مساعدة الكسلان ، وتشجيعه على البطالة والكسل ، إنما البرّ مساعدة من نقصته أسباب الكسب ، قال الله تعالى : « وَأَرْزُقُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ » .

٣ - إذا نلت منصباً رفيعاً ، في خدمة الحكومة ، أو المصالح العامة ، فعليك حقوق وواجبات للذين استأمنوك ووضعوك في هذا المنصب ، فليكن نظرك في اختيار المستخدمين الذين يكونون تحت إدارتك وإشرافك إلى الأهلية والكفاءة لا إلى القرابة ، لأن الاندفاع مع العاطفة البشرية كثيراً ما يعرض المصالح الخصوصية والمصالح العامة للخطر والضياع ، لأن كثيراً من الشؤون الموكولة إلى أقارب ذوى المناصب وأخصائهم الذين لا يعلمون من واجباتهم غير قبض الرواتب والانهماك في تدبير أمورهم الخاصة تكون مهمة وأعمالها مرتبكة .

وفي ذلك تبعة كبيرة على المدير المسئول عنها فضلاً عما يصيبه من الطعن والقدح في شرفه وذمته .

## - ١١٨ -

٤ - عليك أن تحافظ جهديك على توثيق عرى الحبة والاتحاد بين جميع أفراد الأسرة، واحذر من حصول منازعات منزلية تقضى على أسرتك بالتفريق والخراب .

قال الله تعالى : « وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » الآية .

٥ - عليك بزيارة أقاربك ، وصلة رحمك ، من وقت لآخر حيث جعلها رسول الله ﷺ سبباً في سعة الرزق ، وفاتحة الخير وزيادته .  
وسأل معاوية عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن المروءة . فقال : هي تقوى الله وصلة الرحم .

وقال رجل لابنه في بعض وصاياه : يا بني لا تقطع القريب وإن أساء ، فإن المرء لا يأكل لحمه وإن جاع .

وما أحسن قول الشاعر :

« إنى ليمنعنى من قطع ذى رحم رأى أصيل وعقل غير ذى وسم »

« إن لان لنت وإن دبت عقارب ملأت كفيه من صفح ومن كرم »

فمن وصل رحمه ألف بين قلبه وقلوبهم ، فتصفوله ضمائرهم ، وتحسن سرايرهم ، ويحبونه ويفقدونه بأنفسهم .



## مثال في صلة الرحم

كان المرحوم السيد عبد الله نديم الكاتب المشهور ، والأديب الوطني الغيور برةً بأولديه وذوى قرابته يصل من قطعه ، ويصل رحمه ، فقد كان يتسلم مرتبه من مصر والآستانة فلا يعضى زمن طويل على ذلك حتى يكون قد وزعه جميعه على الفقراء من ذوى رحمه ، ولا يحوجهم إلى الطلب منه ، ولا ياجئهم إلى سؤال غيره .

وكان كذلك المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الكبير والإمام الشهير كان محسناً للفقراء والبهائسين ، معيناً للضعفاء والمحتاجين .  
وكان ينفق راتبه على أقاربه ، فلم يبق على شيء منه ؛ ولذا مات فقيراً ولم يترك سوى الذكرى الطيبة والأثر الحمود .

## واجب الإنسان نحو الخدم

قد خلق الله الناس أحراراً لا عبيداً ، وجعل بعضهم فوق بعض درجات ، وأخبر أن أكرمهم عند الله أتقاهم .

فالخدم وإن كانوا مكلفين بخدمة الإنسان ، ولكن ليس له أن يعاملهم بالإهانة والاستبداد والإساءة ، فلا يصح أن يؤذى أحداً منهم ، ولا يهينه بكلام عنيف مؤلم ؛ بل يجب معاملتهم بالرفق والإحسان إليهم ، والمفوع عن

## - ١٢٠ -

هفواتهم ، والتزام الأدب والوقار عند مخاطبتهم ، فيحفظ الإنسان مكانته ومنزلته عندهم ، واعتبار الخادم عوناً ونصيراً لا عبداً ذليلاً .

ويجب عدم تكليفهم من الأعمال فوق طاقتهم ، فإن ذلك يزرع الضغينة في قلوبهم ، ويجعلهم يقومون بها كرهاً ، وفي هذا ما فيه من الخسارة .

ويجب عدم شتم أحد منهم ، واجتباب المزاح معهم ؛ لأن هذا مما يحبط من قدر الإنسان في نظرهم ، ويجعلهم يحقرونه ، ويجرئهم عليه ، وربما سمع منهم كلاماً لا يليق أن يسمعه فضلاً عن أن مخالطة الخدم تؤدي في الغالب إلى سوء الخلق وفساد التربية .

واعلم أن الخدم مفاتيح أسرار البيوت ، ينقلون ما يسمعون وما يرون ، فحاذر أن تلتقي أمامهم أمراً يتعلق بداخلية بيتك ، أو أن تطلعهم على حالتك وثروتك ، وكن رقيقاً عليهم في كل ما يفعلون ، فبذلك تأمن مكرهم وشرهم ، وتطمئن على نفسك وأمتعتك ومالك .

ويجب العناية بالخدم حين مرضهم ، وشملهم بالعطف ، وكلمات التشجيع ، والإيفاق عليهم حتى يتم شفاؤهم ، فبذلك يحفظون الجليل ، ويقومون بالشكر الجزيل .

وإذا حات بأحدهم كارثة ، كأن أصيب بوفدة أحد من أقاربه وجب مواساته في مصابه ، ومساعدته بقدر الإمكان ، فبذلك تكتسب إخلاصهم ومحبتهم ، ويتفانون في خدمتك .

## - ١٢١ -

ويجب عدم التأخير في دفع أجورهم الشهرية ، فإن مطالبتهم بمتاخر  
 اتعابهم مما يحيط من قدر المخدمين كما أنه لا يصح الاقتراض منهم  
 ويجب عند وقوع خطأ منهم عدم توبيخهم أو تأنيبهم أمام الغرباء ، لأن  
 ذلك يؤلمهم إيلاماً شديداً لأفائدة منه سوى إيفار صدورهم فضلاً عن أن ذلك  
 يزعج الزائرين

وكذلك يجب عدم البخل عليهم بكلمة شكر على ما يحسنونه من الأعمال

### مثال العطف على الخدم

كان أحد الأسراء يتفقد مزارعه فرّ بفلاح قصير القامة حافي القدمين  
 عارى البدن وهو يشتغل في حرث الأرض ، فتقدم إليه وهو منشرج الصدر ،  
 مبتسم النحر ، وحياء ولاطفه ، وأحسن إليه وانصرف شاكرًا له همته في الزراعة  
 فرأى من بعض حاشيته امتعاضاً من منظر ذلك الفلاح ، فقال له الأمير : إن  
 هذا الفلاح المسكين إنسان مثلنا ، يقوم هو وأمثاله بالزراعة التي عليها مدار  
 حياتنا ، ورقى بلادنا ، فنحن مدينون له وواجب علينا احترامه ، واعتباره  
 إنساناً ، يستحق العطف والإحسان ، متى كان مستقيماً أميناً  
 وكان لأحد المهندسين الأغنياء خادم أمين صالح فكان يحبه ويكرمه  
 ويحترمه ويأتمنه على ماله وعرضه ، حتى إنه أوصى قبل وفاته بأن يدفن معه في  
 قبره وما ذلك إلا لصلاحه وتقواه

— ١٢٢ —

## عفو المأمون وحله على خادمه

كان للمأمون خادم يتولى وضوؤه فكان يسرق الكاسيات فبلغ ذلك  
للمأمون فعاتبه

وقال له يوماً وهو يوضؤه : ويلك لم تسرق هذه الكاسات ؟ لو كنت  
أتيتني بها حينما سرقتها لكنت اشتريتها منك  
فقال له الخادم : فلتشتري هذه التي بين يديك  
فقال : بكم ؟

قال : بدينارين

قال المأمون : اعطوه دينارين

قال الخادم : هذا الآن في أمان

## عفو أبي جعفر المنصور عن خادمه وعتقه

كان خادم أبي جعفر المنصور يصب الماء على يديه فسقط الابريق على  
سيده فقال الخادم : والكاظمين الغيظ  
فقال الأمير : كظمت غيظي  
فقال الخادم : والعافين عن الناس

— ١٢٣ —

فقال الأمير : شفوت عنك  
فقال الخادم : والله يجب الحسين  
فقال الأمير : اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى

---

## الخادم الأمين والسيد الكريم

حكى أنه كان المستر (مندل) الموسيقي الجرمانى الشهير خادم أمين قضى  
فى خدمته سنين عديدة بمدينة (ليبسيك) وكانت أخلاق الخادم المذكور قد  
تهذبت على أخلاق مولاه الحسنة حتى صار على جانب عظيم من رقة القلب  
واللطف وحب الخير وفعله  
وكان الخادم يعول والدته وإخوته ويقدم لهم كل شهر قيمة ريالين  
من أجرته

فى ذات يوم ورد على والدته كتاب ففتحته وقرأته فإذا هو من المستر  
(مندل) معلم ابنها يخبرها فيه أن ابنها مريض طريق الفراش ويريد مشاهدتها  
وبداخل المكتوب تحويل على البريد بعشرة ريالات مصاريف السفر ،  
فتكدرت الوالدة من هذا الخبر ، وضاعت نفسها ، وبادرت فى الحال وذهبت ؛  
ولكن مع الأسف قبل أن تصل بيومين مات ابنها ودفن وحرمت من رؤيته

## - ١٢٤ -

ولما وصلت تلقاها المستر (مزدل) ولطفها وعزها على فقد ولدها وأبقاها عنده أياماً ، وزار معها قبر ابنها حيث ذرفت دموع الحزن والأسى ، وعادت تنذب سوء حالها وابنها معاً

ثم لما عازمت على الرجوع إلى بيتها منحها السيد الكريم ٩٥ ريالاً كان قد وفرها ابنها من أجرته وحفظها عنده ، وقال لها : إنه سيتبع العادة التي عودها بإياها ابنها في حياته وهو في خدمته ، ويتعهد بأن يرسل لها ريالين في كل شهر مادامت حية ، وفاءً بوعده ، وجزاءً لأمانته ولدها

---

### الخادمة الشكورة

جار الزمان على امرأة كانت ذات ثروة في أول حياتها فذهب بكل ما ملكت يدها ، حتى لم يبق لها أحد ينظر إليها أو يعتنى بها ، وتركها جميع أهلها وأصدقائها إلا خادماتها الأمينات فإتبعها لازمتها في أيام ضيقها مع أنها قالت لها مراراً أن تذهب وتبحث لها عن عمل فكانت تجيبها الخادمة إنى لا أتركك حتى الموت ، فإن مت أموت معك وإن حييت أجوع معك ، ثم قالت لمولانا : إن لك على أيادي بيضاء لا أنساها مادمت حية ، أنا الآن أملك ٢٥ ليرة حفظها من أجرتي فأعولك بها ومتى أنفقتها كلها أذهب وأشتعل أيضاً وأقدم لك ما تحتاجين إليه فقرحت السيدة بكلام الخادمة وشكرت لها فضلها

## - ١٢٥ -

وهكذا بقيت تلك الخادمة الأمانة سنتين كاملتين تعول سيدتها حتى ماتت

وقبل موت السيدة بقليل مات أحد أقاربها ولم يكن له وارث سواها فضبطت الحكومة أمواله . ولما وقفت على قصة الخادمة واعالتها مولاتها في أيامها الأخيرة أرسلت للخادمة وأعطتها كل نكحة ذلك الرجل المتوفى وقالت لها : إنها أحق بها من غيرها ، وهكذا رد الله عليها أضعاف الأضعاف جزاء إحسانها لسيدتها

## الخادم الأمين الوفي

كان لأحد الكتاب المشهورين خادم أمين يتناول أربعة جنهيات شهرياً وقد حكم على سيده بالنفي من بلده إلى بلدة أجنبية فأخذ هذا الخادم يرسل إلى سيده جنهين شهرياً من مرتبه النليل حتى أنعم الله عليه بالعودة إلى بلده ، وتعين في مركز كبير في الحكومة فلم ينس هذا الرجل العظيم خادمه الأمين الوفي

فأحضره عنده وعينه في وظيفة تليق به ، بعد أن قدم مذكرة بين فيها سابق جميله معه حينما كان بالنفي وأخذ يواليه بفضلته وإنعامه وفاءً لجميله ؛ ولما توفي هذا الرجل العظيم على فاقة ولم يترك لأولاده معاشاً يقوم بحاجتهم فكّر

— ١٢٦ —

هذا الخادم الأمين في أن يساعدهم بشيء قليل من راتبه اعترافاً بفضل سيده  
عليه جزاء لإنعامه . وما جزاء الإحسان إلا الإحسان

---

## واجب الانسان نحو المدرسة

المدرسة كعبة يؤمها الطلاب ، لدراسة العلوم والآداب  
والمدرسة أسرة كبيرة أو مملكة صغيرة ، لها ناظر يرعى أمورها ، ويدير  
شؤونها ، ويحفظ نظامها ، ويرقى بها إلى مدارج السكال والفلاح ، ومدرسون  
يقومون بتعليم النشء وتنمية مداركهم ، وتغذية نفوسهم ، بمكارم الأخلاق  
وثمرات العلوم ، بما يصلح شأنهم ، ويقوّم اعوجاجهم ، وضابط يصون نظام  
المدرسة ، ويتفقد أعمال الخدم ، وغيرها من الشؤون المدرسية  
وكل مدرسة لها نظام تسير عليه ، وقوانين يكلف التلاميذ باتباعها



## احترام نظم المدرسة وقوانينها

معنى النظام فى المدارس سير جميع الأعمال المدرسية فيها بترتيب محكم ؛  
وكأن الشجرة تعرف بشمرها كذلك يعرف النظام فى المدرسة بأثره فى التلاميذ  
وفى المدرسين

فنجاح التعليم متوقف على نظام التلاميذ ، لأنه إذا سار النظام بينهم جنوا  
بسببه فى ساعة بقليل عناء مالا يجنونه بغيره فى ساعتين

فتدريب المتعلمين على الطاعة وتعويدهم الخضوع للنظام ، والاحترام  
للقانون ، والاعتراف بسلطانه ، حتى لاتصدر إلا الأفعال التى يكون بينها  
وبين القانون توافق تام ، من ألزم الضروريات لحياة مدرسية منظمة سعيدة

والنظام المحكم الذى يكون الأخلاق وينمىها هو الذى يكون مرماه تخريج  
تلاميذ نشأوا على أنهم : ١ — لا يرون عاراً فى السؤال عما يجولون ، ٢ —  
لا يرون من الخط من كرامتهم أن يعلمهم أى إنسان ، ٣ — يحبون عملهم  
ويسعون له ويهتمون باتقائه ، ٤ — يخضعون للقانون حباً فى النظام ، لا خوفاً  
من العقاب

ولما كان الغرض من النظام المدرسى هو تكوين الأخلاق الفاضلة حتى  
تلازم الشخص بعد أدوار تربيتة ، وجب إذن أن ترشد إرادته وهو صغير حتى  
تكون فيما بعد قوية تعشق الحق وتعمل لتصل إلى الصواب

## - ١٢٨ -

فأهم عوامل النظام للتلميذ الطاعة ، ولا يكون العمل في المدرسة ممكناً إلا بها ، بشرط أن تكون طاعة حقيقية منشؤها الإحساس بالواجب والحكم على النفس ، لاطاعة الاسترقاق التي منشؤها جبروت السلطة والخوف من العقاب ، فنتيجتها في النهاية الإكثار من عدد المنافقين ، ولا الطاعة العمياء كطاعة الجنود في الجيش فنتيجتها على الأقل ضعف الإرادة ولكي يسود النظام بين التلاميذ يجب أن يعرفوا واجباتهم في المدرسة نحو المعلمين ( المربين ) ونحو رفقائهم وأصدقائهم

### واجبات التلميذ في المدرسة نحو المعلمين والمربين

على التلميذ كثير من الواجبات الضرورية لحفظ مستقبله ، وليكون عضواً عاملاً نافعاً في الهيئة الاجتماعية

١ - فأول واجب عليه ، المحافظة على الوقت ، أى الحضور إلى المدرسة في المواعيد المقررة ؛ لأن التلميذ الذي يتأخر عن وقت الدراسة تفوته الفائدة ، ويصعب عليه الحصول عليها ، فيتأخر عن أقرانه

وبما أن قوانين المدرسة من حيث تقسيم الأوقات تراعى القوتين العقلية والجسدية ، فعلى التلميذ العمل بموجبها بالدقة لئلا يختل النظام المدرسى

## - ١٢٩ -

٢ - عليه الإصغاء إلى الدروس ، والنصائح التي تلقى على سمعه ، لأن التلميذ الذي لا يعبر معمله أذنًا صاغية لا ينجح ، ولا يكتسب شيئًا من دراسته ، ويزدوق مرارة الحياة .

أما التلميذ الذي يلتفت وينعم النظر في دقائق ما يحيط به فمداركه تكون أتم وأرق ، ويبلغ غاية من المعرفة لا يدركها سواه .

٣ - يجب على التلميذ ، وهو في المكتب ، أن يتباعد كل التباعد عن الجلبة ، وعن الاهتزاز وقت القراءة ، وألا ينتقل من محل بدون استئذان المدرس أو أمره . وإذا وجه المدرس إليه سؤالاً وجب عليه أن يقوم واقعاً ( المادة ٨١ من قانون نظام المدارس ) .

٤ - لا يجوز أن يتفوه التلميذ بكلام غير لائق ، أو بألفاظ فاحشة أو يشير بإشارة خارجة عن حد الحشمة والأدب لأحد ، سواء كان من التلاميذ أو من غيرهم من مستخدمي المدرسة وخدمتها ، ومن وقع منه أمر من هذا القبيل يعاقب عقاباً شديداً عملاً بقانون نظام المدارس ( المادة ٨٢ ) .

٥ - يجب على التلميذ أن يسلك مسلكاً حسناً داخل المدرسة وخارجها ، بحيث إذا وجد في محال مغايرة للآداب ، أو عمل عملاً غير حميد ، تصدر الوزارة أمراً برفته بناء على طلب ناظر المدرسة كما جاء في قانون نظام المدارس .

٦ - لما كان بعض التلاميذ لا يستعملون الأدب في مسيرهم إلى منازلهم ( ٩ - سمر رابع )

بعد الانصراف من المدرسة ، وحيث إن ذلك مخالف للتربية ومناف للأدب ، إذ يقتضى أن أمثالهم يكونون قدوةً حسنةً للأهالى فى أقوالهم وأفعالهم ، كان من الواجب عليهم استعمال مكارم الأخلاق داخل المدرسة وخارجها ، عملاً بقانون نظام المدارس ومنشور الوزارة الصادر بتاريخ ٢٤ إبريل سنة ١٨٩٨ رقم ٤٦٤ ٧ - ممنوع منعاً باتاً اجتماع التلاميذ اجتماعاً من شأنه حصول مظاهره داخل المدرسة أو خارجها كما أنه محظور عليهم الاشتراك فى أى مظاهره كانت عملاً بالمادة ٨٦ من قانون نظام المدارس .

٨ - يجب على التلميذ أن يتواضع لمعلمه ، وأن يطلب الثواب والشرف بخدمة ، فإنه وإن كان ليس من أخلاق المؤمن التملق ؛ لكنه فى طلب العلم محمود ، فقد ورد : ليس من أخلاق المؤمن التملق والحسد إلا فى طلب العلم .  
قال شوقى أمير الشعراء :

قم للمعلم وفه التبجيلا — كاد المعلم أن يكون رسولا  
أعلمت أشرف أو أجل من الذى بينى وبينى وينشئ أنفساً وعقولا ؟

٩ - ليس على التلاميذ للمعلم واجب الطاعة فقط ، بل عليهم أن يحترموه ويخلصوا له احترامهم وإخلاصهم لآبائهم .

وليت شعرى أيها التلاميذ ، من أحق بالاحترام والإخلاص من رجل وقف حياته على تعليمكم وتهذيبكم ، وإعدادكم للدخول فى مصاف الرجال ؟

## - ١٣١ -

من أولى بالحبّة من ذلك الرجل الذى يحلى لسك أسرار الحياة ، فتأمنوا  
مواقع الزلل ؟

فالرجل الواجب احترامه ، ومحبته ، والإخلاص له ، هو المعلم لأنه أب  
ثان ؛ ولأن الأب يربى البدن ، والمعلم يربى الروح .

١٠ - الواجب على التلميذ هو الاعتماد على النفس ، لأن المعلم لا يستطيع  
أن يرافق التلميذ إلى النهاية ؛ بل يسير معه فى بداية الطريق ويدربه على العمل  
إلى أن يصير قادراً على الاعتماد على نفسه فى أعمال حياته .

فالتلميذ الذى يعتمد على معلمه يخرج إلى العالم وقواه العقلية ومواهبه  
الطبيعية ضعيفة خاملة ، بخلاف التلميذ المجتهد الذى يهتم بملاحظة الجزئيات  
والكليات بعين البصيرة ، فيشب قادراً على معرفة كنه الأمور قادراً على  
تكييفها وتوجيهها إلى صالح الإنسانية وغيرها .

١١ - أن يكون حرّ الفكر ، صريح الضمير ، لأن الرياء أحط آفات  
الأخلاق . والتلميذ المرائى المداهن المتملق ، الذى يتذلل لإرضاء رؤسائه وتبرير  
أعماله بين رفقاءه ، يدل فعله على لؤمه وعلى انحطاط صفاته الأخلاقية بلا مرأى ،  
ويصبح كالأجرب تعاف مصاحبته ، ولا يؤمن جانبه ، ولا تصدق كلمته ، ولا  
تحترم عواطفه ، ولا يكون نصيبه مهما بذل سوى الاحتقار والتعاسة .

— ١٣٢ —

## مثال من احترام المعلمين والتواضع لهم (الاسكندر ومؤدبه)

قيل للإسكندر : ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟  
قال : لأن أبى سبب حياتى الفانية ، ومؤدبى سبب حياتى الباقية .

## الكسائى وولدا الرشيد

كان الكسائى يؤدب الأمين والمأمون ، ابنى هارون الرشيد ، فأراد يوماً النهوض من عندهما ، فابتدرا إلى نعله ليقدهماها له ، فتنازعا أيهما يقدمها له ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة .  
فلما رفع الخبر إلى الرشيد وجهه إلى الكسائى ، فلما دخل عليه قال : مَنْ أعز الناس ؟

قال : لا أعلم أعز من أمير المؤمنين .

قال : بلى ؛ إن أعز الناس مَنْ إذا نهض تقاثل على تقديم نعله له ولياً عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة .  
فأخذ الكسائى يعتذر حاسباً أنه أخطأ .

## - ١٣٣ -

فقال الرشيد : لو منعتهما من ذلك لأوجعتك لوماً وعتباً ، ولألزمتك ذنباً ، وما وضع ما فعلا من شرفهما ، بل رفع من قدرهما ، وبين عن جوهرها .  
ولقد تبينت خيلة الفراسة بفعلهما ، فليس يكبر المرء ، وإن كان كبيراً عن ثلاث : تواضعه لسلطانته ولوالديه ولعلمه .  
ثم قال : وقد عوضتهما بما فعلا عشرين ألف دينار ، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما .

---

### المأمون ومؤدبه ( أبو محمد اليزيد )

لقد برهن أبناء العظماء والملوك قديماً على محبتهم لأساتذتهم واحترامهم وهاء ما قال أبو محمد اليزيد مؤدب المأمون .  
قال : كنت أودب المأمون بن هارون الرشيد ، وهو في كنفالة سعيد الجوهري ، فجئت دار الخلافة وسعيد قادم إليها ، فوجهت إلى المأمون بعض خدمه يعلمه بمكاني ، فأبطأ عليّ ، ثم وجهت آخر فأبطأ ، فقلت لسعيد : إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر . فقال : أجل ؛ ومع هذا فإنه إذا فارقك تهجم على خدمه ، ولقوا منه أذى شديداً ، فقومه بالأدب .  
فلما خرج ، تناولته ببعض التآديب فبكي .

## — ١٣٤ —

وبينما هو يبكي ، ويدلك عينه من البكاء ، إذ قيل جعفر بن يحيى الوزير قد أقبل ، فأخذ مفديلاً فمسح عينيه ، وجمع ثيابه ، وقام إلى فراشه ، فقعده عليه متربماً ، ثم قال : ليدخل ، فأقبل عليه بوجهه وحده حتى أضحكته وضحك إليه ، فلما هم بالحركة دعا المأمون بدابة جعفر ، ودعا غلماناً فمسحوا بين يديه . ثم سأل عنى فجئت ، فقال : خذ على بقية حزبي فقلت : أيها الأمير أطل الله بقاءك ، لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى ، ولو فعلت لتنكر لي .

فقال : تراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذا ، فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه على أنى أحتاج إلى أدب ، خذ في أمرك ، عافاك الله ، فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً ، ولو عدت إلى تأديبي مائة مرة .  
فله در المأمون ، وأحسن بأدبه وكريم خلقه ، وتعظيمه لمؤدبه .

### الوائق ومؤدبه

دخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق ، فأظهر إكرامه ، وأكثر إعتناؤه ، فقبل له :



— ١٣٥ —

من هذا يأمر المؤمنين ؟  
قال : هذا أول من فتح لسانى بذكر الله ، وأدنانى من رحمة الله

## إكرام المعلم واحترامه

أشرفت الملسكة ( لوزيا ) ذات يوم من شباك قصرها وأبصرت شيخاً يتوكأ على عصاه ، وقد أضناه الكبر ، وعليه من الوقار والهيبة ما يجعل الناظر المتأمل فى ملامحه يعتبر ذات هذا الشيخ ويحترمه ، وبقيت تتأمل فيه ، وتتبعه بنظرها ، كى تعرف أين يقصد حتى وقف أمام باب القصر ، فأخبرت الخدم أن يأتوها به

فلما مثل لديها ، فرحت برؤيته كثيراً ، خصوصاً لما عرفت أنه معلمها فى صغرها ، وقدمت له من الإكرام والاعتبار ما يليق بزازركريم ؛ ولما سأله عن سبب قدومه إلى المدينة ، أجابها : إني علمت أن أياى أوشكت على النهاية ، فأحببت أن أشاهد تلميذتى مرة أخرى فى هذا العالم

فلما سمع زوجها هذا الكلام أجلس الشيخ بجانبه ، ولاطفه كثيراً ودعاه للغداء معه ، فأكل معهما على المائدة ، ثم أهدته الملسكة رسمها فى إطار مرصع بالحجارة الثمينة

ولما أراد الرجوع أرسله الحاكم بعربته الخاصة ، وطلب إليه أن يزورهم عندما تمسكه الفرصة

فاقتدوا أيها الطلبة بمثل هذه الملسكة ، وأحبوا معلمكم وأكرمواهم واصفوا  
إلى ما يرشدونكم إليه . « الروضة الأنيسة »

### واجب التلميذ نحو رفاقه

المدرسة كالأسرة ، رؤساؤها المعلمون ، وأعضاؤها التلاميذ ، فالواجب  
على كل تلميذ أن يعامل رفقائه التلاميذ معاملة الإخوة ، فإن لم تربطهم رابطة  
القرابة ، فإن بينه وبينهم من روابط الجنسية والوطنية والمعاشرة ما يستوجب  
ذلك .

فيأزم أن يعاشر تلاميذ مدرسته عموماً ، وتلاميذ مكتبه خصوصاً بالأدب  
والمعروف ، وأن يعتبرهم في منزلة إخوته ؛ لأنهم يشاركونه في حياته المدرسية .  
ومن حسن المعاملة أن يتكلم معهم بحلم ، وأن يقابلهم بلطف وبشاشة  
وأن يظهر الفرح بفرحهم ، والكدر بكدرهم .

وإذا رأى من أحد رفقائه التلاميذ ما يغاير الأدب ، فليبتعد عنه  
بالمعروف ، لئلا تسرى إليه عدوى أخلاقه ، فيصيبه ما أصابه من قلة الأدب  
وسوء الخلق .

وينبغي له ألا يتكبر على إخوانه ، ولا يفتخر بنفسه أمامهم ، أو بما يملكه  
والده ، أو بشيء من طعامه أو لباسه أو أدواته ، بل يجب أن يتعود التواضع  
لهم ، والإكرام لكل من يعاشره ، ولا يجوز له أن يزعم رفقائه بالخرافات ،

## — ١٣٧ —

أو التهمك عليهم بالكلام ، أو التناول عليهم باليد ، حتى يكون محبوباً منهم ، وإلا قوبل بالكراهة والاحتقار والعداوة .

وليكن مجلسه مع رفاقه التلاميذ مجلس أنس ، ورياضة للنفس ، ومناقشة في الفوائد العلمية والأدبية ، لا موضع مزاح وتنكيت وتبكيت .

ويجب عليه ألا يجتمع مع رفاقه اجتماعاً يكون من شأنه حصول مظاهر أو تعصب داخل المدرسة أو خارجها فيتهم بالطيش والجنون ويعرض نفسه للعقوبات التأديبية التي يوجبها القانون العام وقانون نظام المدارس .

### واجبه نحو أصدقائه

إذا أسعدك الحظ بوجود صديق لك ، فحافظ عليه ، وأوثق رابطتك به ، ولا تجعله يشكى منك ، وإذا فرق الموت بينكما فلا تجزع ، وأشعر قلبك الاطمئنان بأمل لقائه في الدار الآخرة ، ولا تتعجل في مصادقة كل من أظهر لك المودة فتصادقه ، ولا في بغض من توهمت عداوته فتعاديه ، واصطف من الإخوان والأصدقاء ، ذا الدين للتين ، والحسب والرأي السديد ، والأدب ، ليكون ردةً عند حاجتك وركناً حصيناً في نائبتك ، وأنساً في وحشتك ، وزينةً عند عافيتك ، وعليك بالتودد لأصدقائك ؛ لأن المودة روح حياة الصحبة والصداقة ، ومن لا صديق له فخائته نعسة .

## - ١٣٨ -

ولا تتعجل في معاتبة صديق لك ، فإن الندامة في العجل ، ولا تتسرع في معاداة أصدقائك ؛ بل تبصر كثيراً في الأمر ، لأنك مهما تأملت من معاملة صديق لك ، ثم صبرت يوماً يتغير فكرك ، ويتحول نظرك ، وربما يعود الجفاء صفاء ، والخلاف وفاقاً .

ومن أعظم دواعي بقاء الصحبة والصدقة دوام الاحترام ، وتما الاعتناء والاهتمام بأمور صديقك .

وكن عوناً وساعداً لصديقك ، لأن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه .

ولا يعرف الصديق إلا وقت الشدة والضيق .

يجب الإخلاص في المودة ، والنصح للصديق في الخطأ والزلة ، وإرشاده إلى محاسن الشيم ، وانتشاله من ردى العادات ، ومعرفة حق الصداقة معه في حال إعساره وفقره ، كما في حال غناه ويسره ، ومساعدته ومعاونته على الخروج من أزمات الأمور ، وشدائد الأحوال ، ومواساته وتعزيته في أشجانه وأحزانه ، وذكر محاسنه ونشر فضائله ، والعفو عن زلاته وسترهفواته وحفظ أسرار .

وبالجملة ينبغي أن تكون الصداقة متبادلة بين الصديقين بلا تكلف ولا تصنع ولا مواربة ؛ بل تكون على قاعدة الحب والإخلاص والنصح والتعاون والأدب واللطف ، لتدوم الصداقة ، وتزداد الألفة والتوفيق وأعمل بقول الشاعر :

« تمسك إن ظفرت بذيل حريٍّ      فإن الحرَّ في الدين سا قليل »

— ١٣٩ —

## مشال الصديق المخلص

جاء ولد صغير من المدرسة وقال لأمه : إن رفيق الصغير الذى فقد والدته مريض جداً ، وأريد زيارته يومياً إذا سمحت لى بذلك .

فسرت أمه به ، وأذنت له قائلة : إنى أريد هذا من كل قلبى .

نعم إن من الواجب أن الأصدقاء يكونون كاخوة ، ويفكر بعضهم فى بعض ؛ ولكن يجب أن تسأل وتفحص بالتدقيق ، أمرضه من الأمراض المعدية أم لا ؟

فذهب الولد ليسأل ، ثم رجع فى الحال وقال لها : إن مرضه ليس معدياً ولا خطراً كما قال الطبيب ، فأذنت له بزيارته وصار يذهب إليه يومياً ويزوره ، ويجلس بجانبه ، ويناوله كل لوازمه ، وكان يصرف جزءاً من الليل عنده ، يقرأ له كتباً وقطعا مفيدة ، ويقدم له أطعمة مقوية يأتى بها من بيته .

ولما شفى الولد اليتيم من مرضه قدم لصديقه المحبوب شكراته القلبية على إخلاصه له وقيامه بواجب الصداقة .

## مثال الرفيق الصالح

كان أحد التلامذة المسمى (محمداً) يقرأ درسه في كتاب المطالعة فكانت تمر عليه بعض كلمات لا يتمكن من قراءتها لصعوبتها ، فأدرك أحد رفقائه المسمى (حسناً) مشقته وتعبه في المطالعة ، فاقترب منه وأخذ يجهد نفسه في مساعدته ، وجلسا يقرآن الدرس معاً عن طيب نفس ، وانشرح صدر ، وأخذ حسن يشرح الكلمات الصعبة التي كان يتعذر على محمد فهمها ، وعند ما يصعب عليه شيء من القراءة أو المعاني في تفهيم رفيقه يراجع نفسه ، ويفكر زمناً فيما ألقاه عليه المعلم ، فتقدماً تقدماً سريعاً بسبب اجتهداها معاً ، منكبين ومجتهدين في مطالعة كتاب واحد .

فأثنى عليهما المعلم الثناء الجميل بين تلامذة مكتبتهما ، وقال لهما : كونا مع ذوي الأخلاق الحميدة ، والصفات الجميلة ، أصدقاء مخلصين في المحبة وليساعد بعضكم بعضاً كالإخوة الأشقاء ، وكونوا على يقين من أن من أجهد نفسه في مساعدة غيره ، فإنه في الحقيقة يساعد نفسه أيضاً .

## هكذا يكون الرفقاء المخلصون

انتهت السنة الدراسية ، وظهرت نتائج الامتحان ، وأخذ التلاميذ يعدون ويروحون كل إلى منزل الآخر ليزفوا التهنية لإخوانهم بما نالوا من النجاح ، وهم يقومون بهذا الواجب ، والسرور يحيط بهم ، والمحبة تربط قلوبهم .

## - ١٤١ -

وقد رأى فريق منهم أن يذهب إلى رفيق لهم ساء حفظه ورسب في الامتحان يشاركونه في ألمه ، ويخففون عنه وقع السقوط ويفرجون عنه الكرب ، ويحيون عنده الأمل ، ويخرجون به إلى الحدائق للرياضة ، ويشغلونه عن التفكير في الامتحان وأمره ، ويضربون له الأمثلة بمن خاب حظهم ، ثم بعد ذلك صلح حالهم ، وكانت لهم الدرجات الرفيعة ، والمنازل السامية ، قائلين له : إن لكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة ، وغير ذلك مما يبرهن على حسن أخلاقهم وكريم طباعهم .

ف هكذا يكون الرفقاء المخلصون ، وهكذا يجب أن يعطف الكبير على الصغير ، ويعاونه إذا احتاج إلى مساعدة ، وأن يعلمه كيف يحترمه ، فإن احترام الصغير للكبير نتيجة عطفه ، وحسن معاملته فينشأون إخواناً متحابين ، وأصدقاء مخلصين .

### يعرف الصديق ، عند الشدة والضيقة

صدمت سيارة في الطريق تلميذاً ، فوقع مغشياً عليه ، فرآه جماعة من رفاقه فأقبلوا إليه مسرعين ، وقام بعضهم بما استطاع من إسعاف وقتي ، وجرى آخرون إلى أقرب مسرة (تليفون) واستعانوا برجال الإسعاف ، فحضرُوا وأخذوا التلميذ

## - ١٤٢ -

للقيام بمعالجته ، ثم دعتهم مروءتهم إلى أن يخبروا والده ، فقاموا بهذا الواجب ، وما زالوا يعودون رفيقهم في المستشفى حتى تم شفاؤه  
ولما بلغ الناظر والمدرسين حسن صنيعهم أثنوا عليهم ثناءً جميلاً ، وشكروهم  
والد التلميذ المصاب ، ودعاهم بالتوفيق والهداية ، وقال لهم : هكذا يعرف  
الصديق ، عند الشدة والضيق

### واجب الإنسان نحو مهنته

الإخلاص ، ومراعات الذمة في العمل

الإخلاص في العمل ، هو أن يعمل المرء الخير بوحى من ضميره الخالص ،  
ويقدم الإحسان بدافع من نفسه الطاهرة ، قاصداً به وجه الله الكريم ، وطالباً  
ثوابه العظيم ، غير ناظر لسمعة أو متطلع لشهرة ؛ إذ كل ما يعمل به رياءً أو تملقاً  
لا خير فيه ، ولا يجلب لصاحبه غير المقت والازدراء  
وقد أثنى الله تعالى على المخلصين في قوله جل شأنه : « وَأَذْكُرْ  
فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً » .  
وقال ﷺ : إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً  
وابتغى به وجهه

وقال على كرم الله وجهه : لا تعمل شيئاً رياءً ، ولا تتركه حياءً



وقال المرحوم سعد زغلول (باشا) زعيم مصر : يعجبني الصدق في القول ،  
والإخلاص في العمل  
وقال أحد الشعراء :

عليك بالصدق والإخلاص في العمل ولازم الخير في حل ومر تحمل  
والإخلاص في العمل هو تخليصه من شوائب الشرك والرياء ، فمن قال :  
تعلمت العلم لأنفع به الناس ، وهو إنما تعلمه ليقال إنه عالم فهو كاذب وإن  
علم الناس

ومن قال : تصدقت بالمسأل لوجه الله تعالى ، وهو إنما تصدق به ليقول  
الناس إنه محسن فهو كاذب

روى : أن أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة : رجل آتاه الله العلم فيقول  
الله تعالى : ما صنعت فيما علمت ؟ فيقول : يارب كنت أقوم به آتاء الليل  
وأطراف النهار ، فيقول الله : كذبت . وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل أردت  
أن يقال : فلان عالم ، ألا فقد قيل ذلك

ورجل آتاه الله مالاً فيقول الله تعالى : لقد أنعمت عليك فماذا صنعت ؟  
فيقول : يارب كنت أنصدق به آتاء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى :  
كذبت . وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل أردت أن يقال فلان جواد ، ألا قد  
قيل ذلك

ورجل قتل في سبيل الله تعالى : فيقول الله تعالى له : ماذا صنعت ؟

## — ١٤٤ —

فيقول : يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله : كذبت .  
وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك  
والقرآن يقول : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ  
أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ » .

فإذا أخلص التاجر في بيع بضاعته ، والصانع في صناعته ، والطبيب في  
مداواة المرضى ، والمعلم في تربية التلاميذ ، والقاضي في قضاء أحكامه بالعدل ،  
ولو أخلص أفراد الأمة كل في عمله ، لساد الرخاء والأمن والعدالة ، وسعدت  
البلاد ، وارتاحت العباد

ولكن لو أهمل الطبيب في تشخيص الأمراض بإخلاص لمات كثير من  
المرضى ، ولو أهمل المدرس في تربية تلاميذه بإخلاص لساد الجهل ولو أهمل  
القاضي ولم يؤد عمله بذمة وإخلاص لساد الظلم ، ولو غش التاجر ليربح ، وأهمل  
الزارع شؤون زرع ، والصانع شؤون صناعته ، لساء الحال ، وتدهورت  
الأعمال ، وضاعت الرجال والأموال

أما إذا أدى كل فرد عمله بإخلاص على الوجه الأكمل ، فإن الصناعة والتجارة  
تتقدم ، وينتشر العلم وترتفع الأمة ، فالفلاح في زرع وعنايته بماشيته وغنمه ،  
والجندى بمحاربته ، والكناس بتنظيف الطرق ، والأم بتربية أبنائها ، والخدم  
بخدمتهم ، والأطباء بممارستهم الأمراض ، ورجال العلم بنشر العلوم والمعارف ،  
بالعدل بين الناس ، ومستخدمو الحكومة بالقيام في دواوينهم خير قيام

## — ١٤٥ —

كل هؤلاء يخدمون المجتمع والأمة التي يعيشون فيها إذا أدّوا أعمالهم بكل إخلاص ، ولم يراعوا مصالحهم الشخصية فقط ؛ بل يراعوا خيرهم وخير الناس أجمعين

ومراعاة الذمة والأمانة في العمل من أهم واجبات الإنسان ؛ لأن مجرد الربى يجعل مركزه مزعزجاً ، وحياته تعسة ، وعمله لا قيمة له ، ويفقد ثقة الناس به

فضلاً عن أن الأمانة تستر كثيراً من العيوب ، وتسد مكان النقص في العامل من جهة إتقان العمل وتجويده ، ويكفى أن يقال : إن هذا العامل أمين ومخلص في عمله

والأمانة لا تنحصر في الاحتفاظ بالمال ؛ بل تتناول الوقت أيضاً وطريقة استخدامه

ولصوص الوقت بين العمال لا يقاوم جرماً عن لصصوص المال ؛ لأن الوقت ملك لرب العمل أيضاً

وليعلم كل إنسان أن الأمانة في العمل تضاعف قيمة إتقان العمل والرغبة فيه ، فإذا جمع إليها قوة الأمانة فقد جعل لنفسه حصناً مثلث الأركان ليشرف منه على السعادة ويمتلك منه عاطفة رئيسه ووثوقه به وإحترامه

## محبة العمل والثبات فيه والمشاركة

محبة العمل هي أول شرط لمزاواته والنجاح فيه ؛ لأنه قد ثبت بالتجربة أن الإنسان لا ينجح في الحياة إلا في الأعمال التي يحبها ويميل إليها بطبيعته و غريزته . فتجد مثلاً الطالب للطب لا ينجح في هذه المهنة إلا إذا كان حُباً لها ميالاً إليها ، وكذلك طالب الحقوق والهندسة وغيرها فإذا وجهت شخصاً لدراسة الطب ولم تكن رغباته متوجهة إليه فإنه لا ينجح مطلقاً

ومحبة العمل هي التي تدعو الإنسان للمواظبة عليه ( أى للمشاركة عليه )  
والثبات فيه ، وفي الأقوال المأثورة : الثبات عنوان النجاح

وفي الحديث الشريف : أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ ولا شك في أن الذين نجحوا في الحياة هم الذين واطبوا على أعمالهم ولم يضيعوا أوقاتهم في اللهو والبطالة

ومهما كانت العمل صغيراً قليل الربح فالمشاركة عليه تجعله ثمرافاً وافر الكسب

بخلاف الذين يشرعون في عمل ثم يضجرون منه لطول المدة التي يستغرقها أو لصعوبة يجدونها فيه فيياسون من النجاح وينتقلون منه إلى عمل آخر وهكذا يشرعون في أعمال كثيرة ولا يتمونها فيصرفون قواهم من غير أن ينتفعوا بشيء

## — ١٤٧ —

وفي الأمثال الفرنسية : الحجر الدائر لا بد أن يسقط ولا يحصل على طبقة من العشب كالحجر الثابت المستقر .

وتمام الأعمال ، واجتناء ثمارها ، والحصول على الفائدة منها ، لا يكون إلا بالثبات والصبر اللذين أنالا الإنسان مطالبه ، وأدرك بهما رغبته ، كما نال الشاعر :

« وقلّ من جدّ في أمرٍ يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر »  
فأكثر الناس ثباتاً وصبراً أكثرهم نجاحاً ورقياً .

وقد رأى بعض الناس أن الاجتهاد والصبر أخضعاً كل صعب فقال :  
إن الناس كلهم سواء في العمل ، ولا فضل لبعضهم على بعض إلا بالثبات والصبر .

وقال : إن الناس كلهم يمكنهم أن يكونوا شعراء وخطباء وعلماء ومخترعين متى عملوا وصبروا ؛ فالعالم لا يولد عالماً ولا الحكيم حكيماً ، ولكن الثبات والصبر أوصلا هؤلاء إلى مراتبهم ، وسارا بهم إلى مجالسهم وأنالاهم الرفعة وعز الحياة .  
فانتهى إذا عمل وصبر نال مراده ، وكان من أهل الخير والسعادة .

والزارع لا يجني ثمرة غرسه إلا بعد العمل الكثير ، والصبر الطويل ، وأفضل الثمار أبطؤها نضجاً ، وكل إنسان في هذه الحياة لا يدرك غايته ولا حاجته ولا يحصل على غرضه إلا إذا عمل وصبر كما قال الشاعر :

## - ١٤٨ -

« أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمن القرع للأبواب أن يلجا »  
وقال أحد الشعراء في مدح الثبات :

« إن الثبات بكل شيء يحمد وهو الأساس به البناء يشيد »  
« كم شاد إنسان عليه بنـاية شمخت ففر من الطريق الفرقد »  
« كم أسسوا يوماً عليه إدارة رسخت كطود لا تزعه يد »  
« صعدت به الأمم الكثيرة وارتقت وإلى المعالي كل يوم تصعد »  
« إن الثبات ولا تزيدكم به علماً لأمر نفعه لا يحمد »

### مثال المثابرة على العمل

من الأمثلة الدالة على أن مزاولة العمل ، والمثابرة عليه ، والمواظبة فيه من أعظم سبل النجاح .

إن ( السير روبرت بيل ) نال بمواظبته على العمل ما جعله زينة وفخراً لمجلس النواب ؛ لأنه كان من عادة أبيه أن يقيمه على المائدة ليتكلم ارتجالاً ، وقد عوّده أيضاً إعادة كل ما يذكر أمامه من المواظ التي يسمعها من الوعاظ أيام الأحد .

ومع أن نجاحه كان قليلاً في أول الأمر إلا أن المواظبة على ذلك أكبرت عنده قوى الانتباه والذاكرة ، فصار يمكنه أن يعيد موعظة كاملة حرفاً بحرف .

ولما دخل البرلمان وأخذ ينقض أقوال أصداده ببلاغة تفرد بها لم يشك أحد في أن تلك الحافظة الغريبة التي امتاز بها قد اكتسبها بمواظبته وارتياذ أبيه مذ كان صغيراً .

### مثال ثان

كان تلميذ في المدرسة يقرأ في دروسه كثيراً ؛ ولكنه لم يحفظها فسئمت نفسه من القراءة ، وعزم على ترك المدرسة .

وبينا هو واقف ذات يوم على شاطئ نهر يفكر في أمره وقع نظره على طفل يريد أن يتعلم السباحة فرآه في المرة الأولى قطع جزءاً صغيراً ثم عاد إلى الشاطئ ، وبعد أن استراح قطع جزءاً أكبر واستمر هكذا شيئاً فشيئاً حتى اجتاز النهر بأجمعه في المرة الأخيرة ، فانعظ به وقال لنفسه : إن هذا الطفل أمكنه أن يتم مقصوده ب مداومته على السباحة فكيف بك وأنت أكبر وأعقل منه ؟ ! وعلم أنه مخطئ في رأيه وعاد إلى المدرسة وأنهم دراسته ، ونجح نجاحاً باهراً ، بفضل مثابرته على العمل .

## مشال ثالث

كان رجل يطوف ومعه ثور ضخم يحمله على كاهله أمام الناس ويأخذ منهم ما يعطونه من المال فسأله أحد من الناس : كيف وصلت إلى هذا الحد من القوة المدهشة ؟

فقال : كنت أحمل هذا الثور على كتفى وهو صغير كل يوم فكلما ازداد ثقلًا ازدادت قوة بالتدريج حتى أصبحت أستطيع حمله مع ضخامته بسهولة .

## بذل الجهد فى العمل

الاجتهاد هو بذل الجهد والطاقة فى إنهاء العمل وإتمامه ، ولا عمل فى هذه الحياة يتم على أحسن حال بدون اجتهاد . فإذا أردت أن تعرف قيمة عملك ضعه فى كفة ميزان ، والاجتهاد فى الكفة الثانية ، فإذا قلّ الاجتهاد وخفّ هبط العمل وثقل ، وإذا زاد الاجتهاد خفّ العمل وارتفع .

وهمة الإنسان ونشاطه يقويان بالاستعمال جميع أعضاء الجسم لأن العضو يقوى بالحركة والعمل ، ويضعف بالتقاعد والكسل .

فإذا أقدم الإنسان على الأعمال العظيمة ، وبذل جهده فيها ، واستفرغ



## - ١٥١ -

طاقته وسعته ، إلى أن يجتنى ثمرة عمله ، نشط إلى عمل أعظم ، وعملت همته وزادت ثروته ؛ فأى عمل تعمل مهما كان صغيراً وجهه إليه عنايتك واجتهد في تحسينه وإتمامه في حينه ، فقيمة كل امرئ ما يحسنه .

واحذر أن تصاب بداء الكسل ، وإلا ضعفت همتك ، ووهنت عزيمتك ، وأصبحت لا تستطيع القيام بالعمل الحقيق ، وصرت في آخر الناس في سبيل الحياة ، وعشت محروماً مرذولاً !

واعلم يا بنى أن مستقبلك منوط بك فبقدر ما تبذل من جهد في عملك أو تأتية من الكسل بقدر ما يكون نجاحك أو فشلك في هذه الحياة .

فيلزمك حسن القيام بواجبك ، وبذل الجهد في جميع أعمالك .

واعلم أن من حسنت صحته وجنح إلى الكسل ، وقع في الشرور والعلل ، وأما الشغل فهو الطبيب القائم بمنافع الأجسام وبه عمار الدنيا ، ولا تنجس من كونك تكسب قليلاً ؛ بل العار الأكبر ، والوزر الأعظم أن تكون عالة على غيرك ، أو أن تسأل الناس قوت يومك ، ولقد صدق من قال : ( الجد في الجد ، والحرمان في الكسل ) .

ومن قال :

« وما طلب الحاجات في كل وجهة من الناس إلا من أجد وشيراً »

وقال آخر :

## - ١٥٢ -

« بقدر الجِد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي »  
وقال الله تعالى : إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

على أن أساس النجاح في الأعمال محبتها ، واستشعار اللذة في تأديتها على  
الوجه الأكمل ، فإن هذا مما يولد عزيمة قوية ، وجهداً صادقاً في العمل على  
رقى المهنة حتى تبلغ غاية الكمال .

### التلميذ المجتهد

مرّ تلميذ بإحدى السيدات وهو يبكي ، فسألته عن سبب بكائه .

فقال : إن المعلم أمرنا بحفظ قصيدة كبيرة ، ووعد من يتقن حفظها ويحيد  
إلقاءها مكافأة عظيمة ؛ ولكنني بطيء الحفظ ، وأخشى وصول المكافأة  
لغيري مع رغبتى الشديدة فيها .

فقات السيدة : ألم تر هذا النمل كيف يحاول الصعود فوق الشجرة مع  
بطء حركته ، وبعد المسافة عليه ؛ ولكن باجتهاده المستمر ، وتركه جميع ما  
يشغله يصل إلى مقصوده .

فيذا حفظت كل يوم جزءاً من القصيدة تاركاً كل ما يشغلك غير مبال  
بما تظنه من بطء الحفظ ، فإنك تنال المكافأة لا محالة .

— ١٥٣ —

فعمل التلميذ بهذا الرأي السديد ، واستمر في الحفظ حتى حفظ القصيدة  
حفظاً جيداً

ولما أتى وقت الامتحان أجاب هذا التلميذ الجتهد إجابة أعجبت المعلم  
والتلاميذ فقال المسكافاة وحاز الثناء الجميل  
ولقد جاء في الحكم : لكل مجتهد نصيب . ومن جدّ وجد . ومن سار  
على الدرب وصل

### بالاجتهاد ينال المراد

يحكى أن فتى أخذ يدرس علم الجبر استعداداً للدخول في إحدى المدارس  
العالية ، فأعطاه المعلم ثلاث مسائل ، وطلب منه حلها ، فأتى في اليوم الثاني  
وقد حل اثنتين منها ، وأما المسألة الثالثة فاستعصى عليه حلها فقال له معلمه :  
أ تريد أن أحلها لك ؟ فأجاب الفتى : كلا يا أستاذي فإنني أستطيع حلها بنفسى  
إذا أمهلتنى يوماً آخر

فقال له المعلم : أمهلك يوماً بل أياماً  
واستمر يعطيه دروساً كان يقوم بها الطالب ، وأما المسألة الثالثة فبقيت  
مستعصية عليه

فقال : المعلم أ تريد الآن أن أعلمك حلها ؟  
فأجابه : كلا يا أستاذي فإنني أستطيع حلها إذا أمهلتنى يوماً ثالثاً

## - ١٥٤ -

فقال المعلم: أمهلك أياماً حسبما تريد  
ثم جاء في اليوم الثالث وعلامات البشر والظفر بادية على وجهه وعرض  
عليه حلها فإذا هو صحيح محكم  
ومن ثم تولدت فيه روح البحث والاستقلال بالعمل ، وأخذت محبته للعلوم  
الرياضية تزداد ، فتعلق بها ، وغاص في بحرها ، واستخرج منها الدرر الغوالي ،  
وأصبح من أشهر الرياضيين . حقاً لقد صدق من قال :  
« لأستسهن الصعب أو أدرك المنى      فما انقادت الآمال إلا لصابر »

### المثابرة على الدرس

كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه فعزم على تركه ، فمرّ بماء ينحدر من  
رأس جبل على صخرة قد أثر فيها  
فقال : الماء على لطافته قد أثر في صخرة على كثافتها ، والله لأطلبن العلم ،  
فطلب فأدرك ( نال مطلوبه ) ، وفي ذلك قال الشاعر :  
« اطلب ولا تضجرن » من مطلب      فأفة الطالب أن يضجرا  
« أما ترى الماء بتكراره      في الصخرة الصماء قد أثرا »

## التشجيع على العمل

كان الملك ( جورج الثالث ) يسير يوماً في القرية متنزهاً وإذا به أمام حقل ليس فيه غير امرأة تحش البرسيم . ولما سألها عن باقي أخواتها وزملائها الفلاحين أجابته : إنهم ذهبوا ليروا الملك فقال لها : ولماذا لم تذهبي معهم ؟

فأجابت قائلة : كنت أتمنى أن أرافقهم ، غير أنني لم أستطع أن أفعل ذلك ياسيدي ، لأنني أعول خمسة أطفال وأحتاج بسببهم للارتفاع بكل دقيقة من وقتي

إذ ذاك وضع الملك الرحيم ديناراً في يدها وقال لها : أخبري زملاءك الذين تركوا عملهم وذهبوا لرؤية الملك ، أن الملك جاء هنا ليراك ، وأنه أعطاك صورته منقوشة في الذهب تذكاراً لزيارته لك وتشجيعاً لمثابرتك على عملك ( التريفة بالقصص )

## عناية الإنسان بما يرقى مهنته ويعلى شأنها

الأعمال كالمغروسات التي لا بد أول الأمر من بذل العناية السكينة والاجتهاد في سياستها وتعهدها بطرق الإصلاح ، ومتى نمت اجتذبت أثمار كثيرة منها من غير جهد

هكذا أعمال الإنسان في مهنته لا بد من العناية والاجتهاد في أول أمرها حتى إذا تعودها ، وعرف أبواب الفائدة منها ، وطرق رواجها ربح منها ربحاً جزيلاً وارتقى بها

فالتاجر مثلاً يصرف مالاً كثيراً ، ويسعى طويلاً في السنة الأولى من غير جدوى ، وقد يخسر بعض الخسارة ؛ واسكن متى بذل عنايته في تجارته اشتهر محله ، وكثرت زبائنه ، وراجت تجارته ، وأخذ ربحه يتزايد تدريجياً ، وتعبه يقل

وكذلك الصانع ، والعامل والطبيب ، والمهندس ، وغيرهم متى عنى كل واحد منهم بمهنته وصل إلى درجة عظيمة وعلا شأنها وشأنه والعناية بالعمل هي إتيان العمل وحسن الصنع ؛ لأن الإتيان يكسب الإنسان رفعةً وشأناً وذكرًا حسنًا ، وقدراً عظيماً

بدليل أنك ترى بعض المصنوعات قد فاق غيره ، وتقدم عليه في الأسواق ، ونال رضا الناس وحبهم إياه . ولم يكسبه ذلك الإقبال سوى الإتيان في عمله ، والجودة في صنعه ، حتى ظهر بمظهر القبول والاستحسان يسر منه من ينظره ، وينشرح له صدر من يبصره ، ويسمى في اقتنائه كل من يراه

إن الإتيان في العمل يقدم صاحبه ، ويجعله محبوباً بين الناس ويكسبه الشرف والرفعة

فالصانع والتاجر ، والمتعلم والعالم ، والزارع وغيره ، كل أولئك لو اتقنوا

علمهم ، وأحسنوا صنعمهم ، كانوا من الساعين في خير أمتهم ، عاملين على تقدم بلادهم ، الحافظين لوطنهم من حادثات الدهر وكوارث الأيام

الإتقان في العمل هو الذي يأخذ بيد صاحبه ، ويقدمه على إخوانه ويرفعه على أقرانه ، ويظهره أمام قومه بمظهر الرجل العارف ، والإنسان الكامل ، فيحظى بالدرجة الرفيعة ، والمنزلة الشريفة ، وينال محبة الرؤساء والكبراء ، والإخوان والأصدقاء ، وجميع الأمة

وبالجملة إتقان العمل فيه الخير والسلامة ، والسعادة للأمة والبلاد وقد جاء في الأثر : إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه

وقال بعض الحكماء : لا تتطلب سرعة العمل ؛ واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون في كم فرغ ، وإنما ينظرون إلى إتقانه وجودته . فعمل مفيد في وقت طويل ، خير من عمل لا يفيد ولا يغني في زمن قصير

وقال شوقي (بك) أمير الشعراء نصيحة إلى العمال لإتقان عملهم :

« أيها العمال أفنوا » عمر كدًا واكتساباً  
« واعمروا الأرض فلولاً سعيكم أمست يباباً (خراباً)  
« إن لي نصحاً إليكم إن أذنتم وعتاباً  
« في زمان غيَّبَ لنا صح فيه أو تقابى  
« أين أنتم من جدود خلدوا هذا التراباً ؟ »

## — ١٥٨ —

« قلده الأثر المميز جز والفن العجبا »  
 « وكسوه أبد الدهر من الفخر ثيابا »  
 « أتقنوا الصنعة حتى أخذوا الخلد اغتصبا »  
 « إن الممتن عند الله والناس ثوبا »  
 « أتقنوا بحبيبكم الله به ويرفعكم جنابا »  
 « أرضيتم أن ترى مصرا من الفن خرابا ؟ »  
 « بعد ما كانت سماء للصناعات وغابا »

### مثال أول

كان ( استيفنس ) مخترع قطار السكة الحديدية ، الذي بلغ مبلغاً عظيماً من الغنى والعلم في أول أمره وقادراً لآلة بخارية فلما رأى أن لا سبيل له إلى الارتقاء إلا بتوسيع معارفه ، وترقية مهنته ، جعل يقتصد من دخله ويتعلم ، وكلما زاد علماً زاد أجراً ، وزاد إنفاقه في سبيل تعلمه حتى تمكن من اختراع القطار الذي كان سبب ثروته وسعادته .

### مثال ثان

إن ( واط ) مستنبط الآلة البخارية كان يحترف بصناعة النجارة وكان يشتغل في أوقات فراغه بالمطالعة ودراسة العلوم واللغات . وما زال يدأب على



## — ١٥٩ —

العمل حتى تمكن من اختراع تلك الآلة . وهذا هو شأن الكثير من العلماء  
والحكماء الذين لم يستكينوا للفقر بل جعلوه مرقاة لبلوغ ذرا المجد كما قال  
الشاعر :

« العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت المجد والشرف »

### مثال ثالث

قال أحد أعضاء البرلمان الإنجليزي عن نفسه :

كنت في حادثة سنى أعمل في منجم من مناجم الفحم الحجري وأجمع  
من أجرى صيفاً ما أدفعه أجرة تعالى شتاءً ، وما زال هذا ديدنى حتى اتسعت  
معارفى ، وتمكنت بعلى من مواصلة أعمال ذات شأن ووصلت إلى ما أنا فيه  
الآن .

### التضحية في سبيل المهنة

كثيراً ما يكلفنا القيام بالواجب مشقات ينبغى أن نتحملها ، أو يتطلب  
منا تضحية يلزمنا تقديمها ؛ فالفاضى قد يضطر إلى الحكم على صديقه أو قريبه  
فيؤلمه ذلك ، وقد يحمله حب العدل على إغضاب أفراد أو هيئات مختلفة  
فيعرض بذلك نفسه لأنواع شتى من الآلام .

والجندى يقدم حياته عند الخطر فداء لأمتة .

## - ١٦٠ -

ورئيس السفينة إذا عطبت يجب أن يبقى في السفينة حتى ينتقل جميع  
من فيها إلى قوارب النجاة  
وإعلان الإنسان رأيه ، وتمسكه بمبدئه ، قد يبعده عن منصب ويحرمه  
من فائدة

وفي جميع ذلك يجب أن نتحمل التضحية - مهما آلمت - عن رضى وارتياح  
في سبيل المهنة ، وفي سبيل القيام بالواجب  
ويجب أن نعد مكافأة الضمير فوق كل مكافأة ، ولكن يجب هنا أن  
ننبه إلى أمرين كثيراً ما يخطئ الناس فيهما

الأول - أن التضحية ليست مقصودة لذاتها ، ولا يصح أن تكون  
غرضاً يريد الإنسان تحصيله ، فهي ليست إلا ألماً محضاً ينبغى الفرار منه  
إلا إذا استتبع خيراً ، فما يفعل بعض الزهاد من الامتناع عن الأكل  
إلا النذر اليسير ، وحرمان النفس من التمتع بما أحل الله ، ولبس الخشن من  
الثياب ، لا لغرض إلا لطلب المثوبة بهذا الشقاء ، خطأ لا يرضى عنه  
عقل ولا دين

وقد ردّ رسول الله ﷺ على من نذر أن يصوم قائماً في الشمس  
فأمره بإتمام صيامه ، ونهاه عن القيام في الشمس ، لأن الله لم يضع تعذيب  
النفس سبباً للتقرب منه ، وليست المشقة نفسها سبباً في رضا الله ، وإنما رضاه  
في عمل صالح قد يستلزم المشقة

## - ١٦١ -

الثانى - ليس لأداء أى واجب تقدم أى تضحية ، بل لا بد أن يوازن بين الواجب والتضحية ، فليس ثواباً أن يضحي الإنسان بحياته ليرتاح من ألم أسنانه ، ولكن خيراً أن يقلم أشجاره ليزيد ذلك في ثمارها ، فمتى كان الخير الذى يناله من العمل يرجح بالتضحية وجبت كالطبيب يهجر نومه ويتعرض للتعب والبرد لإزالة ألم مريض متوجع وإدخال السرور عليه وعلى أسرته ، وكالعلماء يهجر راحتهم ولذته من أجل كتاب يهدى للناس للانتفاع به أو لاستكشاف يزيد في خيرهم ، والجندى يضحي بنفسه لتحياء أمته ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهذه الموازنة قد تسفر عن ترجيح أى الأمرين : الواجب ، والتضحية ، بمجرد النظر أو بقليل من البحث . ومتى اقتنع الإنسان بخيرية التضحية وجبت عليه ، ذلك لأنه عضو من جسم الأمة ، فليس من الحق أن يستأثر الإنسان بالذات ويتمتع بالراحة التامة ، والناس من حوله متوجعون متألمون مقعبون ، كما لا يستأثر عضو بكل الغذاء ، ويترك سائر الأعضاء تتضور جوعاً ، وكلما عظم الغرض كانت التضحية عظيمة وأوجب ، كما تفعل الأمم الحية تضحي بالألوف من أبنائها دفاعاً عن حريتها ، وحفظاً لشخصيتها ، وليست تستكثر ما تبذل من التضحية لعظم ما تطالب ، وسير عطاء الرجال مملوءة بالشواهد على التضحية ، ولا تكاد تجد عظيماً لم يضح كثيراً ؛ إما لنشر مبدأ يخالف فيه رأى العام ، أو محاربة عدو يريد اغتصاب أمة أو لتخليص

( ١١ - سيمير - رابع )

## — ١٦٢ —

عقائد دينية مما دخل عليها من التغيير ، أو لتحقيق مسألة علمية كثر فيها البحث والجدل

وهذه التضحية هي التي تكونهم ، وهي سرّ عظمتهم ، فإن ما يبذلون في حياتهم من الجهد لتذليل الصعاب التي تعترضهم ، وما يتحملونه من العناء للتغلب عليها ينمى ملكاتهم ، ويعودهم الصبر على المشاق لنيل أغراضهم . أما من يستسلم للضم ، ويخلد للراحة ، فمحال أن يكون عظيماً لأنه يشب غير قادر على مشقة الإيمان بعمل كبير

« الأخلاق »

### مثال ضحية الواجب

جندي يسقط في ميدان الجهاد

في ذمة الله ذلك المجاهد الكبير الذي استشهد في ميدان الجهاد الوطني بعد أن خدم بلاده بسيفه ، وبقلمه ، وبلسانه

قضى المرحوم على فهمي كامل حياته وهو يتفانى في خدمة وطنه ماضى العزيمة قوى الإيمان ، لا يحيد عن مبدئه ، ولا تلين له قناة ، ووقف آخر ساعاته يخطب في الناس ، ويعدد مآثر المرحوم محمد فريد الذي جاهد حتى أتي الجهاد على آخر رمق من حياته ، والناس يستمعون له خاشعين ، وهم لا يرون يد الموت تمتد إليه ، حتى إذا قضى ساعة يفيض حماسة

## - ١٦٣ -

ويتدفق وطنيةً ، ويضرب للناس مثلاً من أمثال الوفاء ، والتفانى فى الوطنية ،  
دهمه الموت فجأة مساء يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٦ ، فكان مثلاً للجهد  
الصادق والتضحية ، إزاء الواجب الذى لا ينتهى إلا بانتهاء الحياة .

### مثال آخر فى ضحية الواجب

المرحوم الدكتور على ابراهيم رامن بك

فجع العلم فى أحد أساطينه الذين كمل نضوجهم ، وفاق صدقهم ، وبفقدته  
فقدت البلاد أحد نوابغها الذين قلَّ أن يجود الزمان بمثلهم . ونعى به المرحوم  
الدكتور على ابراهيم رامن الطبيب الاستشارى للملك فؤاد ، والأستاذ  
فى القصر العينى ، مؤسس مستشفى المنيل الخاص .

فقد كان يجرى بعض العمليات فأصيب بجرح فى إبهامه لم يعبأ به ، وبعد  
سنة أيام تلوث الجرح فى عملية أخرى فسرت العدوى فيه وتسمم الدم ، وانتابته  
حمى فى مساء الجمعة ٨ يونيه سنة ١٩٢٨ فلم تشرق شمس السبت إلا وقد عزَّ  
الدواء ، وحمَّ القضاء ، واستشهد كالجندى الباسل فى ميدان الجهاد والكفاح  
( ضحية الواجب ) .

ولد رحمه الله سنة ١٨٧٥ ، ودرس الطب فى ألمانيا ، وتخرج فى سنة  
١٨٩٨ وعين جراحاً بالقصر العينى فى سنة ١٩٠١ وما زال يرقى المناصب حتى  
أصبح رئيس أطباء قسم من أقسامه .

## — ١٦٤ —

وكان كريم النفس ، وديع الخلق ، كبير الجنان ، مثقفاً مهذباً مبرزاً في  
صناعته ، تغمده الله برحمته .  
« اللطائف المصورة »  
« في ١٨ يونيه سنة ١٩٢٨ »

### واجبات وفضائل اجتماعية

#### الصدق

الصدق هو قول الحق ، والإخبار بما يطابق الواقع ، من غير تبديل ولا  
زيادة ولا نقصان ، وليس الإخبار مقصوراً على القول ، بل قد يكون بالفعل ،  
كالإشارة باليد ، وهز الرأس ونحوهما ، وقد يكون بالسكوت من غير قول  
ولا فعل .

وليس للصدق سوى طريقة واحدة ، وهي أن يقول الإنسان الحق ، كل  
الحق ، لا شيء غير الحق . والصدق أس الفضائل ، وأجمل الصفات الحميدة ،  
التي يتحلى بها الإنسان ، وتزيده في العالم هيبةً ووقاراً ، إذ به تنال الثقة ،  
وتكتسب الثروة ، ويطيب العيش .

والصدق من الضروريات التي يتوقف عليها نظام العالم بأسره ؛ ألا ترى  
أنه بالصدق تثبت الحقوق ، وتحفظ الأرواح ، ويتم النظام ، ويعيش الناس

## - ١٦٥ -

في أمان وسلام ، ولولاه لانتزعت ثقة الناس بعضهم من بعض ، ولما وصل إليهم شيء من الحقائق في العلوم والأديان .

ألا ترى أن الرجل الصادق يكون دائماً موضع الثقة ومحل الأمانة مبعجلاً محترماً مهما كانت درجته ، لأن الصادق لا يكون خائناً ، ولا مختلساً ، ولا مزوراً ، ولا نماماً ، ولا منافقاً ، ولا مخادعاً ، ولا غشاشاً .

فإذا عاملت رجلاً صادقاً كنت في مأمن على مالك وعرضك ، ويكون هو على يقين من رغبة الناس في معاملته .

فالتاجر لا يعامله الناس إلا إذا اشتهر عنه الصدق في المعاملة ، والصانع ينصرف عنه عملاؤه إذا لم يصدق في مواعيده ، والطبيب لا يقصده أحد إلا إذا وثق به الناس وكان صادقاً .

والصدق من أهم الأسس ، بل هو الأساس المتين الذي تشاد عليه المجتمعات ، ولولاه ما بقي مجتمع ، ذلك لأنه لا بد للمجتمع من أن يتفاهم أفراد بعضهم مع بعض ، ومن غير التفاهم لا يمكن أن يتعاونوا .

ومعنى التفاهم أن يوصل الإنسان ما في نفسه من الحقائق إلى الآخرين . وهذا هو الصدق بعينه ، يتجلى ذلك في المجتمعات الصغيرة كالأسرة والمدرسة ، فكلالهما لا يبقى إلا بالصدق .

فلو كذب الطلبة في كل ما يتكلمون ، وكذب عليهم مدرسوهم في كل ما يعلمونهم ، ويحدثونهم ما بقيت المدرسة ، وكذلك البيت .

## - ١٦٦ -

والدليل على ضرورة الصدق هو أن أغلب المعلومات التي وصلت إلينا بالسمع أو القراءة مبناها الصدق ، وعليها يعتمد الإنسان في معاملاته وتصرفاته؛ فو كانت مكذوبة لكانت الأعمال المبنية عليها خطأ وخلافاً ، ولما وصل إلينا من العلم إلا شيء قليل، وهو يمكننا أن نجر به بأنفسنا ، وهو لا يغني في الحياة . ومن أجل هذا عدّ الصدق أساساً من أسس الفضائل ، وعنواناً لرقى الأمم وانحطاطها .

واعلم أن الذي يعرف بالصدق بين قومه وعشيرته وإخوانه يؤخذ قوله حجةً بلا برهان ويكون موضع الصدق عند العامة والخاصة .

فإن كنت تحب أن تكون موثقاً بك ، فأحرص على أن تكون صادقاً في كل ما تحدث به ، والله يتولى هدايتك وإرشادك إلى طريق الحق والصواب .

### ذكر ما قيل في الصدق

الآيات - قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » .

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ .



وقال عز وجل مبشراً للصادقين : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي سَلٰتَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ .

الأحاديث - قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « عمل الجنة الصدق ، وإذا صدق العبد بر وإذا بر آمن ، وإذا آمن دخل الجنة ، وعمل النار الكذب ، إذا كذب العبد فجر وإذا فجر كفر ، وإذا كفر دخل النار » .

وروى أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :  
 عَلَيْكَ بِصَدَقِ الْحَدِيثِ ، وَوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ .

## — ١٦٨ —

عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ : بم يعرف المؤمن ؟ قال : بوقاره ، ولين كلامه ، وصدق حديثه .

### أقوال الخلفاء والحكام والعلماء والأدباء فى الصدق

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لأن يضعنى الصدق وقلماً يفعل أحبُّ إلىَّ من أن يرفعنى الكذب وقلماً يفعل .

وقال على كرم الله وجهه : قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله . ومن كلامه رضى الله عنه : الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرُّك على الكذب حيث ينفعك . وقال أيضاً : الباطل والحق يتداولان دول الزمان من غير مذلة للحق ولا معزة للباطل .

وقال الأحنف لابنه : يا بنى ، يكفيك من شرف الصدق أن الصادق يقبل قوله فى عدوه ، ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يقبل قوله فى صديقه ولا عدوه ، لكل شىء حلية ، وحلية المنطق الصدق ، يدل على اعتدال وزن العقل .

وقال الشعبي : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرُّك فإنه ينفعك ، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرُّك .

## — ١٦٩ —

وقال عبد الملك لعلم أولاده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن .

وقال ارسطاطاليس : أحسن الكلام ما صدق فيه قائله ، وانتفع به سامعه ، وإن الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب .

وقالت الحكماء : الصدق عمود الدين ، وركن الأدب ، وأصل الرواة ، فلا تتم هذه الثلاثة إلا به .

وقال أحد العلماء : علم ابنك الصدق ، والصدق يعلمه كل شيء .

وقال آخر : ليكن مرجعك إلى الحق ، ومنزعتك إلى الصدق ، فالحق أقوى معين ، والصدق أفضل قرين .

وقال آخر : لا سيف كالحق ، ولا عون كالصدق ، الحق ملجأ الضعفاء والأقوياء .

وقال بعض الفضلاء : الصدق منجيك وإن خفته ، والكذب مرديك وإن أمنت به .

وقال بعض العلماء : من صدق في مقاله : زاد في جماله .

وقال آخر : تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة ، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة ، فإن فيه الهلكة .

وقال محمود الوراق الشاعر :

## — ١٧٠ —

الصدق منجاة لأربابه      وقربة تدنى إلى الرب  
وقال أحد الشعراء :

الصدق يمن ومنجاة ومحمدة      فبه الكرامة والإقبال والشرف  
وقال آخر :

عود لسانك قول الصدق تحظ به      إن اللسان لما عودت معتاد  
موكل بتهاضي مامننت له      في الخير والشر فانظر كيف ترتاد  
وقال آخر :

عليك بالصدق ولو أنه      أحرقك الصدق بنار الوعيد  
وقال النيسابوري :

وأكرم الآداب صدق المنطق      أكرم به أكرم به من خلق  
أعدل شاهد على الصلاح      أقرب منهاج إلى الفلاح  
شرف به أخلاقك الكريمة      استر به حالاتك الذميمة  
من صدق الحديث في المقال      شاركه المثلون في الأموال

### أمثلة في الصدق

١ --- دخل رجل حانوت تاجر ، فأعجبه لون ثوب عنده ، وبهره جمال  
منظره ، فأحب أن يشتريه منه ، فقال له التاجر : لا يغرنك حسن المنظر ،  
فإن نوعه غير جيد ، فشكر له صدقه وإرشاده ، وطلب آخر من نوعه جيداً ،

## — ١٧١ —

فأسف التاجر لنفاذه ، ووعدته عند أول رسالة تأتيه أن يخبره . وبعد بضعة أيام جاء النوع الجديد فأعلمه به ؛ واشترى منه ما يحتاج إليه ، فشكره على ذلك ونشر اسم التاجر بين الناس لما عهد فيه من الصدق

٢ — دخل ولد حجرة أبيه فأعجبه خاتم رآه بها فوضعه في أصبعه وخرج يلعب مع رفاقه فسقط منه ولم يشعر به ، ولما حضر والده أخذ يبحث عن الخاتم لأنه ثمين جداً فلم يجده ، فغضب وأغضب جميع من في البيت ، والكل يتواري خزيًا وخجلًا باحثًا منقبًا عنه

وفي الأثناء أقبل الولد كئيبيًا حزينًا ، لأن الخاتم سقط منه فوجد من في البيت في حالة هياج وحزن ، ووالده متأثرًا ، فتقدم بين يديه وقصّ عليه أنه هو الذي أخذ الخاتم وفقد منه ، فهدأت ثورة الوالد ولامه على أخذه شيئًا بغير إذنه ، وسامحته جزاء صدقه

عمر بن الخطاب والعجوز وابنتها

قيل : مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعجوز تبيع اللبن فقال لها :

يا عجوز ، لانفشى المسلمين ولا تشوبى لبنتك بالماء

فقلت : سمع وطاعة يا أمير المؤمنين

ثم مرّ بها بعد ذلك ، فقال : يا عجوز ، ألم أعهد إليك ألا تشوبى

لبنتك بالماء ؟

## - ١٧٢ -

فقال : والله ما فعلت يا أمير المؤمنين .

فتكلمت بنت لها من داخل الحياء ، فقالت : يا أمّاه أغشّنا وجنّنا جمعت على نفسك ، فسمعها عمر فأعجبته ، فقال لولده : أيكم يتزوجها ؟ فلعل الله أن يخرج منها نسمةً طيبةً .

فقال ابنه عاصم : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين .

فزوجها منه ، فأولدها أم عاصم ، تزوجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر بن عبد العزيز .

نهاية الأرب ( الثالث )

وقد سردنا في الجزء الأول من السمر حكايات كثيرة في الصدق .

## الأمانة

الأمانة هي أن تصون لغيرك حقه الذي هو تحت تصرفك المطلق .

ولا شيء أكثر تأييداً للثقة بالإنسان مثل أمانته ؛ لأنها تقضى بحفظ الحقوق لذويها في حين يسهل اهتصامها ولا منازع أو مؤنب غير الضمير ، كما إذا وجدت لقطة ثم عرفت صاحبها ، فإذا لم تردّها له فقد تأمن مطالبته وتعيير الناس إذ لا أحد يعلم الأمر غيرك وليس ممكّن لك غير ضميرك ، لكن إذا

## — ١٧٣ —

رددتها اشتهرت بالنزاهة والأمانة وعظمت الثقة بك حتى لقد يجرؤ بعض الناس أن يستودعك مبالغ طائلة أو يختصك بأعمال عظيمة بلا رقيب عليك .

والأمانة بحسب التعريف المذكور تشمل :

١ - صيانة المال الذى فى يدك لغيرك وليس له صك به عليك كالوديعة مهما كان نوعها ، والحصة من الأرباح أو الحاصلات ونحوها واللقطة إلى غير ذلك .

٢ - الأسرار التى توصى بكتمتها أو التى تطلع عليها اتفاقاً وتعلم أن إفشاءها مضر أكثر من كتمانها .

٣ - القيام بالواجب عليك لغيرك إذا لم يكن عليك رقيب كما إذا كنت مستخدماً تشغل النهار كله وكان صاحب العمل غائباً .

٤ - القيام بالواجب عليك إذا لم يكن من يسألك كما إذا كنت موظفاً وأهملت واجبات وظيفتك وأيس من يقدر أن يسألك عن إهمالك فتعد خائفاً .

٥ - الإخلاص فى العمل المجهول عن عامة الناس كما إذا كنت طبيباً ووصفت للمريض علاجاً وأنت غير متحقق من مرضه لعدم تزويك أو لقصور علمك، فتكون خائفاً .

أو إذا كنت صيدلياً وأيس عندك كل أجزاء العلاج المطلوبة فركبته ناقصاً وأظهرت نصاحبه أنه تام فتكون خائفاً .

## - ١٧٤ -

أو إذا كنت تاجراً ومزجت البضائع بالرخيص من جنسها بحيث لا يعلم أحد أنها ممزوجة فتكون غاشاً .

أو إذا غبنت شارباً في بيع سلعة يجهل ثمنها فتكون غادراً .

وكل من يفعل ذلك يشتهر أمره ، وتزول الثقة به فيخسر مركزه الأدبي ، ويقفل باب رزقه في وجهه .

أما إذا راعى الصدق والأمانة فإنه يربح ثقة الناس به ، ويفوز برضاء العالم عنه ، ويسعد في الدنيا والآخرة .

وكفى بالمرء عزاً وشرفاً أن يوصف بالأمانة ويقال له : الأمين .

والأمانة من صفات الرسل والأنبياء وقد حتم الله أن تكون فيهم لأنها فضيلة كبرى .

فالأمانة كلها نور وجلال ، فمن اتصف بها كان نقياً تقياً ؛ لأنه إذا أؤتمن على سرٍّ أسرَّ إليه فلا يفشيه ولا يذيعه ، وإذا أؤتمن على مال أو ودعة حافظ عليها ولا يطعم فيها ولا يفكرها ، وإذا أؤتمن على عرض كان عايه حارساً أميناً .

وليس أشرف من رجل يحفظ الأسرار ، ويرد الأمانة إلى أهلها ، ويحفظ الأنساب فيكون من عباد الله الملقين .

لحمى النبي عليه الصلاة والسلام بالأمين ، لأنه مصدر الأمانة المبارك ،



## — ١٧٥ —

تتمنته العرب على أموالهم وأولادهم وأرواحهم قبل أن ينزل عليه الوحي  
رى ، فكان نعم الأمين ، إذ حفظ الأموال في تجارتهم بل زادت ونمت ،  
إليهم أولادهم ، وأمن على أرواحهم بروحه فكان بشراً سوياً .

هذه الصفة العالية التي نعت بها سيد البشر ، ورسول الخير والسلام حبيب  
لِ لا تتصف بها جميعاً حتى نكون خير أمة أخرجت للناس ؟

### ذكر ما قيل في الأمانة

#### ١ — الآيات القرآنية

قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » .  
وقال تعالى : « وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ » .  
وقال جل شأنه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا  
نَافِسِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .  
وقال عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا » .

— ١٧٦ —

## ٢ — الأحاديث

قال رسول الله ﷺ : « أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ تُنَمِّنُكَ ، وَلَا تَحْنُ مِنْ خَانِكَ » .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام : « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .

وروى أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق رضى الله عنه : « عَلَيْكَ بِصَدَقِ الْحَدِيثِ ، وَوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ » .

## ٣ — أقوال الخلفاء والأدباء

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لَا يَعْجِبُكُمْ مِنَ الرَّجُلِ طَنَطْنَتُهُ ، وَلَكِنْ مَتَى أَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ ، فَهُوَ الرَّجُلُ .

وقال الإمام على كرم الله وجهه : أَدَاءُ الْأَمَانَةِ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ .

وقال الإمام أبو حنيفة النعمان : مَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْتِ إِلَى أَعْطَاهُ رَأْسَ مَالٍ يَسْتَغْنَى بِهِ عَنِ النَّاسِ ، أَلَا وَهُوَ الْأَمَانَةُ .

وقال مصباح الدين سعدى : كُنْ ثَابِتًا فِي الْأَمَانَةِ ، وَإِلَّا كَانَتْ مَسَاعِيكَ بَاطِلَةً .

## — ١٧٧ —

وقيل في منشور الحكم : من ضيع الأمانة ، ورضى الخيانة ، فقد برئ من الديانة .

وقال أحد الشعراء :

« أدّ الأمانة والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلم يظلم لك مكسب »

وقال آخر :

« وإذا أؤتمنت على الأمانة فارعها إن الكريم على الأمانة راعى »

فكن يا بنى أميناً في صناعاتك ، أميناً في عملك ، أميناً على أسرار إخوانك ، فمن عرف بالأمانة خصته القلوب بصدق الود ، ونطقت له الألسنة بالشكر والحمد .

## مثال الأمانة

كان على بن أبي طالب رضى الله عنه أميناً ، محافظاً على أموال المسلمين ، حتى إن أخاه عقيلاً - وكان فقيراً جداً - طالب منه شيئاً من بيت المال ، فرفض وقال :

اصبر حتى يجيء مالى ، فلم يصبر عقيل ، وساعد معاوية بن أبي سفيان ضد أخيه على .

( ١٢ - ستمر - رابع )

## أمانة أبي عبيدة بن الجراح

جاء في الأخبار الصحيحة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعائة وقال للرسول : انظر ما يصنع .  
قال : قسمها أبو عبيدة .

ثم أرسل إلى معاذ بمثلها ، وقال للرسول مثل ما قال . فقسمها إلا شيئاً قالت امرأته : نحتاج إليه .

فلما أخبر الرسول عمر قال : الحمد لله الذى جعل فى الإسلام من يصنع هذا .

وقيل : ان ناساً من أهل ( نجران ) أتوا النبى ﷺ فقالوا : ابعث معنا رجلاً أميناً ، قال عليه الصلاة والسلام : لأبعثن إليكم أميناً حق أمين ، حق أمين ، حق أمين ، قالها ثلاثاً ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ .

قيل : فبعث أبا عبيدة بن الجراح .

وقيل : إن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله ﷺ سألوه أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنة والإسلام .

قيل : فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح فقال : هذا أمين هذه الأمة .

( وهناك فى الجزء الثانى أمثلة وحكايات كثيرة فى فضل الأمانة )

- ١٧٩ -

## أمانة أبي هريرة ومال البحرين

قال أبو هريرة : قدمت من البحرين بمال عظيم فذهبت إلى عمر وصليت معه العشاء فقال لي : ما قدمت به ؟

قلت : خمسمائة ألف .

فاستكثرها وقال : إنك ناعس ، اذهب إلى بيتك ثم عد في النذر فرجعت إليه في الغد فقال : ما جئت به ؟

فقلت : خمسمائة ألف .

قال : أتدري ما تقول ؟

قلت : نعم ، مائة ألف ، ومائة ألف ، حتى عدّ خمس مرات .

فسرّ مني لأمانتي ، وقسم المال بين مستحقّيه .

## أمانة قائد

شهد القائد الفرنسي ( ردفيل ) موقعة مع الروس انقطعت فيها ساقه ثم اتفق أن الفرنسيين جعلوه والياً على قلعة ( فنس ) بالقرب من ( باريس ) ولما هجمت الدول المتحالفة على فرنسا سنة ١٨١٤ بعثوا إليه يقولون : خذ مليوناً نيرة وسلمنا القلعة ، فأجاب الرسل : قولوا لاروس إنني أسلمتهم القلعة متى ردوا لي ساقى .

## الأمانة رأس الدين

خرج شابان إلى الحقل ، وبينما هما سائران إذ نظر أحدهما صرة على الأرض فالتقطها ونادى رفيقه وقال له : انظر ما لقيت ، فأخذها منه ونظر فيها فوجد بها خمسين ريالاً ، ثم التفت إلى رفيقه وقال له : هذه صرة دراهم تحوى ٥٠ ريالاً ، وهذه الكتابة تبينك بذلك . فانشرح صدره وصار يرقص طرباً وفرحاً وقال لرفيقه : هلم نتقاسم هذه النقود وكل منا يأخذ نصفها .

فأجابه : كيف نتصرف في مال ليس لنا ؟

قال : ألا تعلم أن هذا مالنا الآن وأنا لقيته ؟

فأجابه : إن مجرد التقاطك هذه الصرة المفقودة لا يجعل لك حقاً في امتلاكها ما دام صاحبها موجوداً .

قال : نعم ، ولكن من يعلم صاحبها ؟

أجاب : يجب أن نبحث عنه قبل أن نتصرف في المال .

قال : إذاً ماذا نعمل الآن ؟

أجاب : اذكر ما قاله المعلم لنا في الأسبوع الماضي ، يجب علينا أن نأخذ الدرام ونعطيها للحكومة ، وهي تبحث عن صاحبها وتسلمها له .

قال : وإذا لم تجده ؟

## - ١٨١ -

أجاب : حينئذ يكون لنا الحق أن نقسمها .  
 قال : عسى ألاّ نجد صاحبها فتبقى لى ولك ؛ بل وأرى الأحسن أن  
 نكتم الأمر عن سائر البشر .  
 أجب : لا يا صاحبي ، إن هذا العمل مذموم ، ويحسب نوعاً من السرقة ،  
 وإن بقيت مصرّاً على غيك ، فأنا مضطر إلى أن أقطع كل علاقتى بك ،  
 وأنكر صداقتك ، إذ تكون قد بعث شرفك بدريهمات قليلة .  
 قال : لا تتوسع فى الموضوع أكثر من اللازم ، فنحن لسنا بسارقين .  
 أجب : نعم نحن لسنا بسارقين ؛ ولكن تصور الحيرة التى فيها الآن  
 صاحب المال ، وفكر فى ضيقه ، إني لأنسى أبداً ما قاله لى أبى : إن كرامة  
 الإنسان وشرفه أحسن من كل كنوز الدنيا ، وأنا أقول أيضاً الأمانة رأس  
 الدين .

## الوفاء بالوعد والعهد

الوفاء هو ثبوت الإنسان على قوله وفعله ، فإذا قال قولاً اليوم  
 لا ينتقضه غداً ، وإذا وعد شخصاً بشيء أو أداء عمل وفى له به ، ولا  
 ينكص على عقبه .

## - ١٨٢ -

ومما يعظم الثقة بالمرء أن يكون وفياً بوعده ، فلا يخلف ، وآفة الوعود التسويف والمماطلة ، وليس الخلف بأكثر عاراً من تأجيل الوفاء بالوعد .

وكم تكون مسروراً لو وعدك صديق لك أن تتقابل إلى ساعة معينة ومحل معين وحضرت فيهما دون تأخير ؟ وكم تكون قائماً حزيناً وتشعر بغيظ شديد ، إذا أخلف وعده ولم يحضر ، أو حضر متأخراً بعد ميعاده ؟ لأنه أضاع عليك وقتك ، وآخر عملاً لا يتم إلا باجتماعكما ، وقد لا تتمكنان من فرصة أخرى ، فيضيع ضحية خلف الوعد .

فإذا فات موعد الوعد ، ولم يعتذر الواعد عن تقصيره بعذر مقبول شك الموعود في وفائه ، وحاذر أن يقبل منه وعداً بعد ذلك .

ولا يخفى أنه لا غنى للناس عن ضرب المواعيد . فالتاجر الذي عليه مال لعميله إذا لم يدفعه في الحال ، يضرب له أجلاً يدفع فيه ذلك المال وإذا أخلف وعده بغير عذر ارتاب العميل به ، فإذا تكرّر الخلف امتنع عن معاملته .

فإذا لاتعد مالم تقصد أن توفي ، وتثأكد أنك تقدر أن توفي الموعود به كله في الموعد المعين ، وإذا حدث ما عافك عن الوفاء ، فعليك أن تبسط عذرك ، وتلقمس المسامحة ، حتى ولو كان ما وعد به تبرعاً منك .

ومن الوفاء القيام بالعهود ، وأداء الشهادة ، ورد الأمانة ، وبذل النصيحة ، وكتمان السر ، وصلة الرحم ، وقول الحق ، وصدق الإخاء .

والعهد التزام تطوعت به ، لا سبيل لك إلى البراءة منه إلا بالوفاء



## - ١٨٣ -

إنك حين تعد أحداً بأمر وتعهده عليه ، فقد بنى على موعدهك مصالح كثيرة ، وإن في خالفك لوعده ، ونقضك لعهدك ، نقضاً لهذه المصالح ، وهذا ليس من الدين ، ولا من المروءة في شيء .

فالواجب ألا تقطع عهداً مع أحد قبل أن تتأكد أنك قادر على القيام بكل شروط ذلك العهد ، إنك لتجد من نفسك تأثيراً ، وفي صدرك ضيقاً وحرَجاً ، حينما يعدك عامل ، أو صانع أو تاجر ، أو غيرهم بعمل من الأعمال ثم لا يفي بوعده .

إن جميع الأمم والشرائع مجمعة على ذم من يخلف الوعد ، وينقض العهد ، وربما عدت ذلك من أكبر عيوبه ومساوئه ، لما يترتب عليه من ضياع كثير من الفوائد ، وضياع الوقت أيضاً .

الوفاء بالوعد والعهد من البر ، لأنه يترتب عليه نظام المعيشة ، كما أن الغدر والإخلاف من الذنوب الهادمة للنظام ، المفسدة للعران ، المنقبة للأمم . وما فقدت أمة الوفاء ، الذي هو ركن الأمانة ، وقوام الصدق ، إلا حل بها العقاب الإلهي ، وضل سعيها ، وخاب أملها ، وأحاط بها الفقر ونزائلها الذل والهوان .

والوفاء خلق محمود ينتفع به جميع الناس ، فمن عُرف بالوفاء كان مقبول القول عند الناس في جميع ما يعد به ، ومن كان مقبولاً كان عظيم الجاه ، وكان الناس أكثر ثقة به .

## ذكر ما قيل في الوفاء الآيات القرآنية

قد حث الله تعالى على الوفاء بالعهد ، فقال : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ  
كَانَ مَسْئُولًا » .

وقد جل شأنه : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ  
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا » .

وقد عز وجل : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ » .

وقد سبحانه وتعالى : « الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ  
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ  
الْمُخْلِفُونَ » .

وقد تعالى : « وَذَكِّرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ  
وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا » .

## الاحاديث

قال رسول الله ﷺ : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ( عَهْدًا ) ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا ثُمَّ أَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوَفَى مِنْهُ الْعَمَلَ وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ .

وقال عليه الصلاة والسلام : آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ .

## أقوال الحكماء والأدباء

من أمثال الحكماء : حسب المؤمن من مكارم الأخلاق ، حفظ العهد والميثاق ، ومن حفظ العهد يزكو قليل الود منه ، ومن نقض العهد يذهب كثير الود عنده .

وقال أبو تمام :

« إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ      فَإِنْ ( نَعَمْ ) دِينَ عَلَى الْحَرِّ وَاجِبٌ »  
« وَ إِيَّا فَقُلْ ( لَا ) تَسْتَرْحِ وَ تَرْحِ بِهَا      لئِلا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ »

وقال آخر :

« فَلَا تَعِدْ عَادَةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا      وَلَا تَكُونَنَّ خَلَاقًا لِّمَا تَعِدُ »

## -- ١٨٦ --

وقال آخر :

« فارع الوفا للناس تحظى عندهم      بجميل ذكر لا تنال مطالبه »

وقال آخر :

« إن الوفاء على الكريم فريضة      واللؤم مقرون بذى الإخلاف »  
« وترى الكريم لمن يعاشر منصفاً      وترى اللئيم بجانب الإنصاف »

وقال الحسن بن علي رضي الله عنه : المسئول حرّ حتى يعد ، ومسترق بالوعد حتى ينجز ، فأوف يا بني بعهد الله إذا عاهدت ، ولا تنقض الأيمان بعد توكيدها ، واحذر الغدر بالعهد ، فإنه دليل اللؤم ، وبرهان الدناءة والسفالة .  
واعلم أن الوعد دين على الحر واجب أداؤه ، فلا تخلف وعدك ، ولا تعد أحداً بما لا تقدر على وفائه ، فإن من أخلف الوعد فقد عصى الله ، وخالف سنته في نظامه .

### مثال الوفاء بالوعد

نلسن وأخوه

لقد برهن ( نلسن ) ذلك البحار الإنجليزي الذي ملأت شهرته الدنيا ، على نفس عالية ، إذ عرف بالوفاء منذ نعومة أظفاره .

## - ١٨٧ -

وقد حكى عنه : أن المطر اضطره وأخاه ذات يوم إلى عدم الذهاب إلى المدرسة ؛ لأنه كان غزيراً حتى منع السير في الطريق ، وهو إذ ذك في الثامنة من عمره ، وبعد يومين قال لهما أبوهما : اذهبا إلى المدرسة فإن رأيتما الطريق سهلاً واستطعتما السير فلا تعودا ، وإلا رجعتما ، وإني آخذ عليكما عهد الشرف ألا تعودا وفي وسعكما الوصول إلى المدرسة .

فسارا في الطريق واعترضتهما أحوال كثيرة ، فقال الأكبر : نعود ، فلم يرض (نلسن) رأى أخيه ، ثم صادفا جهة يكاد يتعذر السير فيها .

فقال الأكبر : إن من الخطر أن نواصل السير .

فأجاب (نلسن) : مادام في استطاعتنا السير فلا يسعنا أن نرجع وننتهك عهد الشرف الذي قطعناه علينا الوالد ، وإن رمت العودة فعد وحدك ، وأذهب أنا منفرداً وفاء بوعده الشرف الذي عاهدني عليه والدى .  
ثم أخذوا يذللان كل صعب في الطريق حتى دخلا المدرسة .

## مثال آخر

حكم ملك بالإعدام على رجل مشهور بالوفاء بالوعد ، فطلب مهلة ليسافر لرؤية أهله ، فضمنه عند أحد الوزراء .

## - ١٨٨ -

ولكن الرجل تأخر لسبب ما ، فأخذ الملك الوزير لتنفيذ الحكم فيه .  
ولما وضع الجلاد الحبل في عنق الوزير ، رأى الرجل آتياً يجرى بكل  
سرعة حتى وصل حيث يقف الجلاد ، فرفع الحبل من عنق الوزير ووضعه في  
عنق نفسه ، وفاء بوعده .

فدهش الملك ، وعفا عنه ، لوفائه بوعده .

## العدل والإنصاف

العدل وضع الشيء في محله ، وإيصال الحق إلى مستحقه ، وهو ميزان الله  
تعالى في الأرض يأخذ به الضعيف حقه من القوى ، والحق من المبطل ،  
وبه قوام الدنيا والدين ، وسبب صلاح الخلقين ، وبه تتآلف القلوب ، وتلقم  
الشعوب ، ويشمل الناس التناصف ، ويضمهم التواصل والتعاطف ، وبه تعمّر  
البلاد ، وتسعد العباد ، وتؤمن السبل ، وتدر الخيرات والأرزاق ، ويعمّ الصلاح  
للخاصة والعامة .

وما قامت به أمة من الأمم ، وجعلته في موارد أفعالها ومصادرها إلا وكانت  
في مقدمة الأمم عمراً ، وأكثرها حضارةً ومدنيةً ، وما حادت عنه إلا وكان  
الخراب رائدها ، والضعف قائدها بذلك قضى العقل وحكم الله ، وجرى العمل  
في الأمم من أول نشأتها للآن .

## — ١٨٩ —

والعدل قسمان : عدل الفرد ، وعدل المجتمع أو الحكومة .

وانتكلم على القسم الأول فقط الخاص بالأفراد فنقول :

العدل الذى يتصف به الفرد يكون بإعطاء كل ذى حق حقه ، لا أكثر ولا أقل : فالبايع الذى يكيل للمشتري أقل مما اتفقا عليه ظالم ، والذى يسرق مال غيره وينعمه حقه ظالم وهكذا .

ومما يحمل الإنسان على الظلم التحيز بالميل لأحد المتساويين ، ميلاً يجعله يعطيه أكثر من حقه لأجل حب أو منفعة شخصية أو مظهر خارجى ، كفضاحة قول ، وأدب فى الحديث ، أو بلاغة فى العبارة تحدث تأثيراً على المستمع ؛ أو غير ذلك ، والذى يساعد على العدل هو عدم التحيز واتساع النظر بفهم الأمور على وجهها اللائق وإدراك الحقيقة .

فان كنت محكماً - والياً أو قاضياً مثلاً - فالعدل أساس حكمك الذى لا يتزعزع ؛ لأنه يرضى السواد الأعظم من هم تحت سلطتك ويحبهم إليك ، ويرغبهم فيك ، ويحملهم على الطاعة لأوامرك ، والاستكانة تحت إمرتك ، فتنام قري العين ، مستريح الضمير ، آمناً القلاقل والفتن والدسائس ، ويبقى مركزك ثابتاً لا تزعزعه العوامل الخارجيه .

وإذا كنت رئيساً - كمدير عمل - مثلاً - فالعدل أيضاً يثبت رئاستك ؛ لأنك إذا لم تعامل مرؤوسيك بالعدل ، حاولوا أن يعصوك أو يشوشوا نظام عملك ، لكى يلقوا تبعه الخلل عليك

## - ١٩٠ -

وإذا جرت عليهم توقفوا عن مساعدتك في المواقف الحرجة ، بدعوى أن مساعدتك ليست واجبة عليهم ، وقد ظلمتهم ؛ بل ربما يتألبون عليك أو يدسون لك الدسائس .

فبالعدل تكسب حبهم لك فيقضون كثيراً من واجباتك في أوقات تكاثرها ، ويؤيدون مركزك .

وإذا كنت موظفاً كبيراً ، فبالعدل تكسب إخلاص مستخدميك وغيرتهم على مصلحتك ، فإذا ظلمتهم خانوك وأهملوا أمرك عند حاجتك إليهم ، وتجنب بعضهم أن يعملوا تحت إمرتك وإشرافك .

وكذلك إذا كنت سيداً أو صاحب سلطة ، أو سيطرة مهما كان نوعها ، فعليك أن تعامل الذين هم تحت سلطتك بالعدل لتكسب طاعتهم وغيرتهم وأمانتهم ومحبتهم .

والعدل يقضى بأن تكافئهم على أنعابهم حسب استحقاقهم ، وألا تفرض عليهم من الواجبات أكثر مما يستطيعونه ، أو مما تكافئهم عليه ، وأن تحافظ على مراكزهم ، وتحترمهم ، ولا تكلفهم غير واجباتهم ولا تقيد حريتهم إلا فيما له مساس بالقانون والخروج على النظام العام وهم إذا صادفوا منك هذه المعاملة العادلة ، والتصرف الحسن ، قاموا بواجباتهم خير قيام ، واستتب الأمن والنظام .



## ذكر ما قيل في العدل والإنصاف

### الآيات القرآنية

قال الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

وقال جل شأنه : وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ فَاحْكُمُوا بِالْعَدْلِ .

وقال عز وجل : وَإِنْ حَكَمْتُمْ فَاَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ .

وقال سبحانه وتعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ .

وقال في آية أخرى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .

وقال تعالى : أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .

وقال تعالى : وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا .

## — ١٩٢ —

وقال تعالى : وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى .  
 وقال تعالى : يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ  
 النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .  
 وقال تعالى : وَيَلْ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ  
 وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ .

### الأحاديث

قال عليه عليه الصلاة والسلام : التاجر الأمين الصدوق المسلم ، مع الشهداء  
 يوم القيامة .

وقال ﷺ : التاجر الصدوق الأمين ، مع النبيين والصديقين والشهداء

### أقوال الخلفاء والصحابة والعلماء والأدباء

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لبعض عماله : عليكم بالعدل ، وتباعدوا  
 عن الجور ، ولا تغدروا إن عاهدتم ، ولا تنقضوا إن صالحتم .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : العدل صورة واحدة ، والظلم  
 صور كثيرة ، ولهذا سهل ارتكاب الجرائم ، وصعب تحرى العدل .

## - ١٩٣ -

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له : إذا دعيتك قدرتك إلى ظلم الناس فاذا كركرة الله عليك .

وسأل الإسكندر أحد حكماء أهل بابل (أرسطاطاليس) : أيما أبلغ عندكم الشجاعة أم العدل ؟

فأجاب : إذا استعمانا العدل استغفينا عن الشجاعة .

وقال بعض الحكماء : بالعدل والإنصاف ، تكون مدة الائتلاف .

وقال بعض الفضلاء : إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ، ونصبه لاحق ، فلا تخالفه في ميزانه ، ولا تعارضه في سلطانه .

وقال أحد الشعراء :

« العدل في جسم الولاية جواهر لو مات جسم فالجواهر باقية »

وقال آخر :

« العدل روح به تحيا البلاد كما دمارها أبدأ بالجور ينحتم »

وقال آخر :

« وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سبيل بظالم »

وقال آخر :

« راعوا العدالة يا قضاة بحكمكم فالعدل أشرف خطة الإنسان »

( ١٣ - سببر - رابع )

## — ١٩٤ —

« إن تحكّموا بالعدل تلقوا راحة وعلى الأسرّة ترقّدوا بأمان »  
 وكتب ، إلى عمر بن عبد العزيز ، بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينة ،  
 فكتب إليه : حصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم .  
 قال عبد الله بن طاهر يوماً لأبيه : كم تبقى هذه الدولة فينا ، وتدوم في

بيتنا ؟

قال : مادام بساط العدل والإنصاف مبسوطاً في هذا الإيران .  
 وقال عمرو بن العاص : لاسلطان إلّا برجال ، ولا رجال إلّا بمال ، ولا  
 مال إلّا بعمارة ، ولا عمارة إلّا بعدل .

## عدل القاضى أبى حازم

قال أبو الحسن عبد الواحد الحصبى : حضرت القاضى أبى حازم وقد جاءه  
 طريف الخلدى من أمير المؤمنين (العتضد بالله) وقال : يقول لك أمير المؤمنين ،  
 لنا على فلان البيع مال ، وقد بلغنا أن غرماء أثبتوا عندك إفلاسه ، وقد  
 قسّطت لهم ماله ، فاجعلنا كأحدكم وقسط لنا .

فقال أبو حازم : قل له ، أطل الله بقاءه ، إذا كر لما قال لى وقت أن  
 قلنى القضاء ، قد أخرجت الأمر من عنق وجعلته فى عنقك ؟ ولا يجوز أن  
 أحكم فى مال رجل مدع إلّا ببينة .

— ١٩٥ —

فرجع طريف وأخبره ، فقال له : قل له فلان وفلان يشهدان ، يعنى رجلين جليلين من أعيان الدولة كانوا فى ذلك الوقت .

فقال : يشهدان عندى وأسأل عنها ، فإن زكياً قبلت شهادتها وإلا أمضيت ما ثبت عندى

فامتنع أولئك من الشهادة فزعاً ألا يقبل قولها ، ولم يدفع للمعتضد شيئاً .  
فمكذا يكون القضاء السديد « العقد الفريد »

## عدل اسماعيل القاضى

قال الدار قطنى : سمعت عبد الرحيم بن القاضى إسماعيل بن اسحاق يقول : كان فى حجر أبى يتيماً فيبلغ ، وله أم وأختها فى دار الخليفة (المعتضد بالله) فقالت أم اليتيم لأختها : كللى أمير المؤمنين حتى يرفع اسماعيل القاضى الحجر عن ولدى . فكلّمته ، فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وقال له : قل لإسماعيل القاضى يفك الحجر عن فلان .

فقال له الوزير : إن أمير المؤمنين يأمر أن ترفع الحجر عن فلان .  
فقال القاضى : حتى أسأل عنه ، وقام فسأل عنه فلم يخبر عنه برشد فتركه

## - ١٩٦ -

ومضت على ذلك أيام ، فرجعت والدّة الصبي إلى أختها وسألتها أن تعاود أمير المؤمنين ، وكان المعتضد لا يعاود لخشونته ، فعاودته ، فقال : أليس قد أمرت ؟ فقالت لم يرفع عنه بعد . فدعا وزيره عبيد الله ثانياً وقال : أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي بأن يرفع الحجر عن فلان فقال : قد كنت قلت له عن ذلك ، فقال حتى أسأل عنه .

فقال : قل له يرفع الحجر عنه ، فدعاه الوزير ثانياً وقال له : أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان ، فأطرق القاضي ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئاً وختمه .

فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتاباً ولم يقل له شيئاً لحل اسماعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له : توصل هذا إلى أمير المؤمنين فإنه جوابه . فأخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال : زعم أن هذا جواب أمير المؤمنين . ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تعاوده في هذا . فأخذ عبيد الله الوزير الكتاب وإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ »

« العقد الفريد »

## - ١٩٧ -

وهناك فى الجزء الثانى من السمر حكايات كثيرة عن عدل الملوك وحب  
يتهم له .

### قدس العدل

فى أيام حكم ( فريدريك الأكبر ) ملك ( بروسيا ) كان على مقربة من  
سر ( سان سوسى ) الذى يقيم فيه الملك ، طاحون تحجب مناظر الطبيعة عن  
ض نوافذ القصر .

ولما رأى الملك أن هذه الطاحون تحول دون أن يستكمل القصر بهاءه  
ورونقه سأل صاحبها عما يطلبه ثمناً لها .

فأجاب الطاحان البروسى : أنه لا ينزل عنها بأى ثمن .

فكان هذا الجواب الجافى باعثاً لأن يأمر الملك بهدمها على الفور .

وعند ما بدى بتنفيذ ذلك ، قال الطاحان : يستطيع الملك أن يفعل هذا ،

ير أن فى ( بروسيا ) قانوناً سيعلم نبأه بعد حين

ولما رفع أمره للقضاء حكم على الملك بأن يعيد على نفقته بناء الطاحون كما

كانت ، وبؤدى لصاحبه مبلغاً كبيراً من المال على سبيل التعويض .

كان هذا الحكم - وان جرح عزة الملك - مدعاةً لمفاخرته بأن يرى فى

بروسيا ) قانوناً عادلاً يسهر على تنفيذ قضاة أشداء فى الحق يقيمون حدوده

حتى على الملك .

## - ١٩٨ -

وبعد سنوات عديدة آل ملك الطاحون إلى أحد ورثة ذلك الطحان .  
ولما وجد نفسه في ضائقة مالية لا يمكنه احتمالها كتب الملك ( بروسيا ) في  
ذلك الحين يذكره بما كان من أمر جده الطحان السابق مع « فريدريك الأكبر »  
ويعرض عليه - لما هو فيه من ضنك وشدة - نزوله عن الطاحون إذا رغب  
جلالته في ذلك مقابل مبلغ من المال .

ولكن الملك أرسل إليه في الحال رداً بخط يده يقول فيه :

جاري العزيز - لا يمكنني أن أسمع لك ببيع هذه الطاحون التي يجب  
أن تبقى في حوز أسرتك إلى ما شاء الله ، لأن مبانيها أضحت ملكاً لتاريخ  
( بروسيا ) ، ويجب أن تظل قائمة تذكراً لعدالة قضائنا وعدم تحيزهم في تنفيذ  
القانون ، وإنه ليسوءني أن أسمع أنك في ضائقة مالية ، ولهذا أبعث إليك بستة  
آلاف ريال لتؤدي منها ديونك راجياً أن تفي بكل حاجتك ، وأرجو أن  
تعتبرني جارك المحب .

« فريدريك وليم »

ولانزال هذه الطاحون قائمة إلى اليوم رمزاً لعظمة القضاء وشرف

« التريبة بالقصص »

القضاة



## العدالة المطلقة

كان ابقال من « أزمير » ولد، وصل بعلمه إلى مركز نائب قاض في المدينة ، وكان عمله الرئيسي ينحصر في تفقد حال الأسواق المختلفة في الموازين والمكاييل التي يستعملها البائعون ، فاتفق له أن مرةً بمتاجر الحى الذى يبيع فيه والده ، ولما علم التجار أن التفتيش يجرى في هذا اليوم ، وكانوا يعرفون أن والد المفتش يعامل الناس بموازين ومكاييل غير رسمية ، وجهوا نظره إلى الاحتياط في إخفاؤها وإظهار الموازين والمكاييل ( المدوغة ) ولكنه تلقى نصيحتهم بهز الكتف ، ووقف أمام متجره باطمئنان وهدوء منتظراً وصول ابنه .

جاء المفتش ولديه من الدواعى الكثيرة ما حتم عليه أن يبحث أساليب والده في الغش ويكشف عنها للناس ، ليكون ذلك لهم عظة وعبرة .

ولما وقف بباب متجر والده وطلب منه احضار موازينه ومكاييله ليمتحنها لم يحذل البقال بهذا الطلب وجعل يبتسم ، ولكنه اعتدل على صوت الأمر الجدى الذى ألقاه ابنه للضباط المرافقين له ، إذ دخلوا وفتشوا حتى أظهروا الموازين والمكاييل التى اتضح بعد الفحص الدقيق أنها مغشوشة ، فأمر المفتش فى الحال بكسرها .

## - ٢٠٠ -

وقف البقال مبهوراً ، وظن أن الأمر انتهى عند هذا الحد ، وأن ابنه لن يتبادى في تطبيق القانون وتوقيع الجزاءات الأخرى التي من شأنها أن تفضحه فضيحة علنية

على أنه كان خاطئاً في ظنه ؛ لأن ابنه أ مر بالعقوبة كما لو كان المجرم رجلاً غريباً عنه ، فحكم بتغريمه خمسين قرشاً ، وبجلده عدداً معيناً من الجلدات ، وقد نفذ الحكم في الحال .

بعد ذلك نزل المفتش عن صهوة جواده وتراعى على قدمي والده وقال له . ياوالدى لقد أديت واجبي لله ، وللميكي ، وبلادى ، ومركزى فاسمح لى الآن أن أتكلم معك فى احترام الابن وخضوعه المفروض عليه لأبيه .

فالعائلة عمياء ، لاتفرق فى التطبيق بين قريب وغريب ، وفرض الله ، وحقوق المواطنين تجل عن أن تتأثر بالروابط الطبيعية .

وأنت قد خرجت على القوانين ، فكنت أهلاً أن يثالك عقابها ، ولولم تتلق هذا الجزاء على يد ابنك لوجب أن تقع تحت طائلة على يد أى إنسان آخر . وإنى آسف على أن يكون مقدوراً لك ألا تتلقى النصيحة إلا منى ، على أن ضميرى لم يرض لى أن أفعل إلا ما فعلت . فاسلك فى المستقبل طريقاً أشرف ، وبدلاً من أن تحقد على أرجوان تعذرني وتقدر أحوالى .

## — ٢٠١ —

وبعد ذلك تسنم صهوة جواده ، وسار في وسط هتاف الهاتفين وإعجاب المعجبين من جميع الأهالي .

ولم يكن هذا التشجيع والاحترام هو كل ما كوفى به على عدالته ، بل ظهر في صورة أخرى إذ رقاء السلطان بعد معرفة التفاصيل إلى وظيفة قاض ، ثم ترقى منها إلى وظيفة مفت ، وبقى فيها حارساً للقوانين وتطبيقها في جميع المملكة  
« التربية بالقصص »

## الحلم

الحلم هو كظم الغيظ ، والسكون عند ثورة الغضب ، حال وجود ما يدعوا إليه ، وترك الانتقام مع القدرة ، ودفع السيئة بالحسنة ، وهو من دلائل العقل ، وشجاعة القلب ، والرجل الحليم حقاً هو الذى لا يضطرب ، ولا يسلم نفسه لشهوة الغضب في معاملاته مع الناس ، وعند وقوع حادث لم يكن له في حساب ، ولو علم الشبان الذين يغضبون من أدنى الأمور وأوهى الأسباب ، أن الحلم سيد الأخلاق ، وأنه يكمل صاحبه بجميل الخصال ، ويحجبه إلى الله تعالى ، ويرفع قدره عند الناس ، لما عرفوا للغضب سبيلاً ، ولا سلكوا له طريقاً .

- ٢٠٢ -

## ذكر ما قيل في الحلم

قال الله تعالى : وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ .  
وقال عز وجل : خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ .  
وقال تعالى : وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ  
صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ .

وقال عليه الصلاة والسلام : ليس الشديد بالصرعة ( الذي يصرع غيره  
ويغلبه ) إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب .  
وجاء في الأثر : كاد الخليم أن يكون نبياً .  
وروى أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال له : أوصني . قال : لا تغضب .  
فردد مراراً . قال : لا تغضب .

وقال عليّ كرم الله وجهه : أول ما يعوِّض الخليم عن حله أن الناس  
أنصاره .

وقال معاوية لابنه يزيد : عليك بالحلم والاحتمان ، حتى تتمكنك  
الفرصة ، فإذا أمكنتك ، فعليك بالصفح ، فإنه يدفع عنك معضلات الأمور ،  
ويقيك مصارع المحذور .

وقال أيضاً : أفضل ما أعطى الرجل الحلم .

## - ٢٠٣ -

وقال أيضاً : ما وجدت لذة عندى ألد من غيظ آتجرعه ، وسفه بحلم أقمه .

وكان الأحنف بن قيس مشهوراً بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته ف قيل له :

من تعلمت الحلم ؟ فقال : من قيس بن عاصم ، كنا نختلف إليه في الحلم كما يختلف إلى الفقهاء في الفقه ، ولقد حضرت عنده يوماً وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاءوا به مكتوفاً .

فقال : ذعرتُم ( أخفتم ) أخى أطلقوه ، واحملوا إلى أم ولدى ديتة فإنها ليست من قومنا ثم أنشد :

« أقول للنفس تصبيراً وتعزيةً      إحدى يدي أصابتنى ولم تُرد »

« كلاهما خَلَفُ من فقد صاحبه      هذا أخى حين أدعوه وذالدى »

وقال بعض الحكماء : احتمال السفيه خير من التحلى بصورته ، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته .

وقال بعض الأدباء : من غرس شجرة الحلم ، اجتنى ثمرة السلم .

وقال بعض العلماء : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الجواد إلا في العسرة ، والشجاع إلا في الحرب ، والحليم إلا في الغضب .

وقال أحد الشعراء :

## - ٢٠٤ -

« أطمع الحليم إذا الحليم نهاها »      « إن الحليم إذا ضللت هداها »  
 « وإذا استشارك من تود قفل له »      « أطمع الحليم إذا الحليم نهاها »  
 « واعلم بأنك لن تسود ولن ترى »      « سبل الرشاد إذا أطمعت هواها »  
 وقال آخر :

« والحلم من أسمى صفات الدين »      « جاءت به الآيات في التبيين »  
 « وحسبه منقبةً وشرفاً »      « قول الإله للحبيب المصطفى »  
 « لو كنت فظاً أو غليظ القلب »      « لانفض من حولك كل الصحب »  
 « والحلم قالوا : سيد الأخلاق »      « لأنه أدفع للشقاق »  
 « فقابل العدو بالحلم ترى »      « خصمك يأتى نادماً معتذراً »  
 وقال غيره :

« ألا إن حلم المرء أكرم نسبة »      « تسامى بها عند الفخار حليم »  
 « فيارب هب لي منك حاملاً فأننى »      « أرى الحلم لم يندم عليه كريم »

### مثال الحلم

حكى أن وزيراً أراد أن ينصح لأحد الملوك أن يتجنب الخمر ، فعز ذلك على الملك ، وأراد أن ينتقم من الوزير ، فأخذ يشرب حتى ثمل ، ثم قال للوزير : سأريك إن كان للخمر تأثير في قواى العقلية ، ثم أمر بائى الوزير

## — ٢٠٥ —

أن يجلس على مرمى سهم ، ثم رمى السهم من القوس فأصابه في قلبه فأرداه ،  
والوزير يرى ذلك المنظر الهائل ، فتجلد وقال الملك :

إن فعلك أيها الملك يدل على أنه لا مثيل لك في الرماية .

وهذا مثل عال من أمثلة الحلم ، حيث ضبط الوزير نفسه ، وملك  
عواطفه ، ولو أظهر أى غضب أو استياء لثنى الملك به وأهل بيته أجمعين .

وقيل : إن ملكاً سمع اثنين من حراسه يذمانه من وراء خيمته ، فرفع  
الستار وقال لهما : تنحيا قليلاً خشية أن يسمع الملك حواركما (محاورتكما) .

## مثال آخر

تقامر الملك (كاسيمير) الثانى مع رجل من سراة (بولندا) فربح منه  
كل ماله ، حتى غلب اليأس والغيظ على الرجل ، فتساول على الملك قولاً  
وفعللاً ، وفر من قصره هارباً ، فأمسكه الحراس وردّوه إلى حضرة الملك ،  
وهو جالس ينتظره في صدر حاشيته ورجال بلاطه .

فلما وقف أمامه قال الملك لقومه : إن هذا الرجل أقل منى ذنباً فانى  
خفضت مقامى حتى قامرت ، وحملته على ارتكاب هذا الذنب .

ثم قال للرجل : أرى أنك تائب فكفى ، خذ ما ربحت منك وانصرف  
وكفّ عن المقامرة كما كففت عنها .

— ٢٠٦ —

## مثال آخر

كان الأحنف بن قيس مشهوراً بالحلم ، حدثت بينه وبين رجل آخر  
مشاجرة .

فقال له ذلك الرجل : لو قلت لى كلمة اسمعت عشر كلمات .  
قال له الأحنف : وأنت لو قلت لى عشر كلمات لا تسمع منى كلمة . وهناك  
أمثلة كثيرة فى الجزء الثانى من السميز عن الحلم .

## ضبط النفس

ضبط النفس هو الاعتدال فى الليل إلى اللذات وخضوعه لحكم العقل ،  
وليس ذلك مقصوداً على اللذات الجسمية ، بل يشمل أيضاً اللذات النفسية ،  
كالانفعالات ، والمواطف .

فلا يسمى الشخص ضابطاً لنفسه إلا إذا اعتدل فى لذاته الجسمية من  
مأكول ونحوه ، واعتدل أيضاً فى انفعالاته النفسية ، فلم يغضب لأى داع ، ولم  
يندفع فى السير وراء عواطفه ، كأن يحزن حينئذ شديداً إلى وطنه إذا نزع عنه ،  
أو يفرط فى حزن لفقد عزيز عليه .



## — ٢٠٧ —

وكثير من الرذائل يرجع سببه إلى عدم القدرة على ضبط النفس .  
 ألا ترى أن الشراهة ، والدعارة ، والطمع ، والإسراف ، والغضب ،  
 والسخط ، والثرثرة ، والإدمان على السكر ، إنما هي تمام في هذه الخلال ،  
 واندفاع وراء العواطف والأهواء ، لا وراء حكم العقل .  
 فإذا تمسك الإنسان بفضيلة ضبط النفس ، كان سيداً لنفسه لا عبداً  
 لشهوات تسيره كما تشاء .

وأهم الوسائل لضبط النفس هي :

١ — عدم الاسترسال في الشهوات الجسدية ، فهي شر ما يفسد حياة  
 الإنسان ، ويضعف روحانيته ، ويسوقه إلى أسوأ السبل . ومن ثم يجب عليه  
 أن يتباعد عما يغريه ويحرضه على العمل ، ألا يجالس المستهترين الذين لا  
 يتحرجون من قول المهجر والحض عليه ، ولا يغشى أما كن اللهو غير محتشم ،  
 لا سيما في سن الفتوة بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين ، إبان نمو  
 الشهوات وتيسر الشرور . ويجب أن يصحب من قويت شخصيتهم ، ونظف  
 لسانهم ، وطهرت رووحهم ، وأن يعني بما يوضع في يده من كتب ، وما  
 يشاهد من تمثيل ، وما يغشى من مجتمعات ، وإلا كان عرضة للتحول .

وأكثر من ساءت حالهم ، وفسدت أخلاقهم ، كان فسادهم في هذا الدور  
 دور الفتوة ، وقل أن يسقط أحد بعد أن ينبجونه .

## - ٢٠٨ -

٢ - عدم الاسترسال في الفكر ، فلا يجهم في كل وادٍ ، ويتحول في كل مجال ، فالفكر إذا حام حول الشرور يوشك أن يقع فيها كما قيل :  
من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه .

٣ - عدم الاسترسال في الانقباض والسخط ، لأن بذلك يكدر صفو الحياة ، حتى لقد ينجيل إلى بعض الناس المتشائمين الساخطين أن الحياة ما هي إلا سلسلة آلام ونزاع ، وكفاح ، وأن هذا العالم أسوأ ما يكون فيه من الآلام والشرور أكثر مما فيه من اللذائذ .

وقد ثبت بالتجربة أن هذا إنما يكون لدى من ساءت صحتهم ، وضعفت أعصابهم ، وتوالت عليهم كوارث الزمان ، فتظلم الدنيا في أعينهم ، ولا يرون في الحياة إلا ما يؤلم .

ولا شك في أن هؤلاء الساخطين قد قصرت مشاعرهم عن درك ما في العالم من لذات ، فما مثلهم إلا كمثل الحموم يدرك طعم العسل مرءاً ؛ إذ ليس أحد يجهل أن الدنيا قد ملئت بما يسر ، وما يؤلم ، ولولا سوء النظم الاجتماعية ، وفساد التربية ، لكان الناس جميعهم سعداء .

## امتلاك النفس حين الغضب

مذموم أن يكون الإنسان سريع الغضب يخرج عن عقله للكلمة الصغيرة ، والسبب الحقير ، والحادث التافه ، ولكن ليس كل الغضب مذموماً ، فهناك أحوال يمدح فيها ، وهو الغضب للحق ، وللخدمة العامة ؛ ألا ترى أنك إذا نظرت إلى شخص يعذب حيواناً صغيراً لم يحن جناية ، أو ضعيفاً لا يستحق أن يعذب ، أو إلى شخص يحرم أولاده من الغذاء ، وهو يتمتع بالأكل والشرب والهناء ، فن الحق عليك أن تغضب لمثل هذا ، كما أنه من الواجب عليك أن تغضب إذا أهنت في شرفك ، أو نُلمت « جُرحت » في عرضك ، لتدراً عن نفسك الظلم .

وأكثر ما يدفع الإنسان إلى الغضب أثرته ، وحببه الشديد لنفسه وكثرة التفكير في حقوقه ، فيتمخيل إذا سمع كلمة من أحد أنها احتقار له ، ونيل من شرفه وقدره ، وكثيراً ما يستسلم لغضبه ، فلا يعي ما يقول ولا يعقل ما يفعل ، ويظن أنه بذلك يظهر بمظهر المحترم لنفسه المحافظ على كرامتها ، وهو إنما يظهر بمظهر الطائش الأحمق .

والإنسان في غضبه حاكماً غير منصف ، يبالغ في الشيء فلا يزنه بميزان الحكمة والاعتدال ؛ بل يضع على عينيه منظاراً مكبراً ( مجهر ) يريه الأشياء فوق حجمها الطبيعي ، ويشوه محاسنها ، فلا يرى فيها إلا ما يغضبه ، ولذلك تراه يحكم حتى على أعز الناس عليه أحكاماً قاسية .

## - ٢١٠ -

فالواجب أن يترث، ويعمل الفكر والروية، ويسأل نفسه، ويراجعها قبل أن يبت في أمره، هل هو محق في غضبه؟ أو ليس لما عمل أو قيل محل حسن؟ هل الشيء يغضب حقيقة بالصورة التي رآها؟ فربما يكون لما قد حصل أو قيل محل حسن، ولعله عمل بحسن نية وإخلاص، لا بقصد الضرر والإساءة. كما أنه يراجع هفوات السيء، ويقدرها بجانب حسناته، وما أسداه من المعروف إليه.

والخلاصة، يجب عدم الاستسلام للغضب، وتسليم زمام الانفعالات للعقل، وتملك النفس حين الغضب حتى تسلم من شره.

### العفو بعد الغضب

غضب أبو شروان على وزيره فسجنه وصقده بالحديد، وألبسه الخشن من الصوف، وأمر ألا يعطى من القوت إلا القليل من الخبز والملح والماء، وأن تقيد ألفاظه حتى يطلع عليها، فأقام الوزير أشهراً لم يسمع له لفظ واحد، فوجه إليه الملك قوماً ينظرون في أمره. فقالوا له: أيها الوزير، نراك فيما نراك من الشدة والضيق، وأنت كما كنت لم يتغير حالك فما شأنك؟

## - ٢١١ -

قال : إني استعنت على أمرى بستة أشياء : (١) الثقة بالله تعالى (٢) وعلى أن كل مقدر واقع (٣) وبالصبر الجميل (٤) ومعرفتي أنني إن لم أصبر أكن قد أعنت على نفسي بالجزع (٥) وأنى ربما أكون فى شر أصعب من هذا (٦) وما بين ساعة وأخرى يأتى الله بالفرج القريب .

فلما قالوا مقالته لأنوشروان ، زال غضبه عليه ، وعفا عنه ، وردده إلى عمله وأحسن إليه .  
« ثمار الإنشاء »

### المأمون والفضل بن الربيع

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ، أكان من حقى عليك ، وحق آبائى ونعمهم عند أبيك وعندك أن تثلبنى ( تعينى ) وتسبى ، وتحرض على دعى ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عذرى يُحمدك إذا كان واضعاً جميلاً فكيف إذا أخفته العيوب ، وقبحته الذنوب ، فلا يضيق عنى من عفوك ماوسع غيرى منك ، فأنت كما قال فيك الشاعر الحسن بن رجاء :

صفوح عن الإجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرماً  
وليس يبالي أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يعش بالكره مسلماً

« معراج البيان »

## كبح جماح الشهوات

النفس كالفرس الجوح ، إذا ضبطها راكبها وكبح جماحها وجهها حيث شاء ، وإذا لم يقدر عليها أوردته موارد التهلكة .

فلا تجعل الغلبة لنفسك عليك ، إنك إن فعلت ذلك كنت ضعيف القوة ، ضعيف الإرادة يستعبدك هواك ، فلا تستطيع أن تقمع شهواتك .  
ترتكب وقت جذلك ( فرحك ) ما تحرمه الشرائع وتُقدم وقت غضبك على ما يكون فيه حثفك ( موتك ) .

وليس الشجاع من يفتح البلد الحصين ، بل هو من يقدر على مجاهدة نفسه ، وقمعها عن الهوى .

كان الاسكندر فاتحاً عظيماً ، غزا بلاد العجم ومصر ، وتغلب على أهلها ، ولكنه لم يتغلب قط على نفسه ، فرمى صاحباً عزيزاً له ساعة غضبه فقتله ، ثم وجم ( حزن ) عليه حتى قضى نحبه ( مات ) .

وكان إذ ذاك في بلاد الهند عالم محقق درس الحياة وخبرها ، أتى على تلاميذه درساً هو الحكمة العالية ، والعظة البالغة ، فقال :

لوحالف النصر رجلاً في غزواته ألف مرة ، وتغلب في كل مرة على عشرة آلاف رجل ، وتغلب رجل آخر على نفسه مرة واحدة ، اسكان الذي غزا نفسه فتغلب عليها أحق بالمدح ، وأولى بالتكريم .

## - ٢١٣ -

وفي ذلك قال الله تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ  
عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » :

وقال الأبوصيري صاحب البردة المشهورة :

وخالف النفس والشیطان واعصهما وإن هما محضاك النصيح فاتهم  
فإذا طوحت بك النفس إلى وادی الشهوات ، وأمرتک بالانغماس  
فی الموبقات ، فخالفها ، أو مالت بك نحوها فائن زمامها ، واكبح جماحها ، كي  
تكون كرامتك موفورة ، وأموالك مصونة ، وصحتك محفوظة .

## صيانة اللسان

خلق الله الإنسان ، وميزه على سائر الحيوان بالعقل واللسان .

واللسان عضو صغير موضوع في الفم لتمييز الأغذية ، وترجمان للكلام ،  
إذ به يعبر الإنسان عما في ضميره ، وعما يحيط به .

فهو عدة التفاهم والتخاطب مع الغير ، وهو مقياس تقاس به درجة فضل  
الإنسان ، وبه تقدر مقدار معارفه وأفكاره ، وهو محك تعرف به آدابه  
وأخلاقه ، من حلم ، وغضب ، ورقة ، وخشونة ، وكال ، ونقص .

فالواجب على كل إنسان أن يضبط لسانه حتى لا ينطق إلا بما يرضاه  
العقل السليم ، وليجعل لسانه لسان صدق في القول ، ولطف في المعاملة ،

## — ٢١٤ —

وليحفظه من سيئ الأحاديث ، لأن بذيء اللسان دائماً مكروه ، أما حلو الحديث فهو دائماً محبوب .

ومن مكارم الأخلاق ، صيانة اللسان عن الكلام فيما لا يعنى ، والخوض في الباطل والمرء ، والخصومة ، والتشدد ، والمزاح الذى يتعدى الحشمة ، والاستهزاء ، وإفشاء السر ، والكذب فى القول ، والغيبة والنميمة ، والحلف ، وخلف الوعد ، إلى غير ذلك من عثرات اللسان ، ومهلكات الإنسان ، فكم من أشخاص ألقوا فى غياهب السجون لكلمة خرجت من فيهم ، مغايرة للأدب ، أو مخالفة للقانون ، وكم من كلمة أثارَت غضباً وسخطاً ، وأسالت دماء ، وجرت ذلاًّ وعناء ، وبدلت حالة الإنسان من هناء إلى شقاء .

### ذكر ما قيل فى صيانة اللسان وحسن الكلام

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْذِكْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » .

وقال تعالى : « وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ »

وقال تعالى : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » .

وقال ﷺ : رحم الله عبداً قال خيراً فغفم ، أو سكت فسلم .



وقال عليه الصلاة والسلام : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .  
 وقال عليه الصلاة والسلام : من حسن المرء ، تركه ما لا يعنيه .  
 وقال عليه الصلاة والسلام : لا يبلغ المرء حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه .  
 أى لا يصل المرء إلى الإيمان الكامل ، ويتصف به على الحقيقة إلا إذا  
 صان لسانه ، ولم يتكلم إلا بما فيه رضا الله ، وخير نفسه ، وذوى عشيرته .

قل معاذ بن جبل : قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول ؟  
 فقال : ثكلتك أمك يا معاذ بن جبل ، وهل يكبّ الناس فى النار على  
 مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟

وروى أن معاذاً قال : يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟  
 فأخرج رسول الله ﷺ لسانه ، ثم وضع عليه أصبعه .  
 وقال أنس بن مالك : قال ﷺ : لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم  
 قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه .  
 وقال عبد الله الثقفى : قلت يا رسول الله حدثنى بأمر أعتمد به .  
 فقال : قل ربى الله ، ثم استقم .

قلت : يا رسول الله ، ما أخوف ما يخاف علىّ ؟ فأخذ لسانه وقال : هذا  
 وعن سعيد بن جبیر قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أصبح ابن آدم  
 أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان ؛ أى تقول . اتق الله فىنا ، فإنك إن  
 استقممت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا .

## - ٢١٦ -

وروى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، رأى أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو يمد لسانه بيده فقال له : ما تصنع يا خليفة رسول الله ؟ قال : هذا أوردنى الموارد ، إن رسول الله ﷺ قال : ليس شئ من الجسد إلا يشكو إلى الله ، اللسان على حدته . وقال على كرم الله وجهه : احسبوا كلامكم من أعمالكم ، وأقلوه إلا في الخير .

وقال أيضاً : اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل . وقال أحد الحكماء : اعقل لسانك إلا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها . وقد قيل : إن اللسان سبع ، إن عقلته حرسك ، وإن أطالته افترسك فانطق به على قدر ، وكن منه على حذر . وفي الأمثال : سلامة الإنسان ، في حفظ اللسان .

وقال لقمان لولده : يا بني ، إذا افتخر الناس بحسن كلامهم ، فافتخر أنت بحسن صمتك .

وقال بعض البغاة : احبس لسانك ، قبل أن يعطيل حبسك ، أو يتلف نفسك .

وقال أحد الشعراء :

— ٢١٧ —

« لسانك احفظه وصن نطقه واحذر على نفسك من عثرته »  
 « فالصمت زين ووقار وقد يؤتى على الإنسان من لفظته »  
 « من لزم الصمت نجى سالماً لا يندم المرء على سكته »

وقال صالح بن عبد القدوس :

« وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ثرثرة في كل ناد تخطب »  
 « واحفظ لسانك واحترز من لفظه فالمرء يسلم باللسان ويعطب »

وقال ابن السكيت :

« يصاب الفتي من عثرة من لسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل »  
 « فعثرته بالقول تذهب رأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل »

وقال آخر :

« جراحات السنان لها النشام ولا يبتام ما جرح اللسان »

## حكايات وأمثال في حفظ اللسان

١ - اجتمع قيس بن ساعدة وأكثم بن صيفي فقال أحدهما لصاحبه :  
كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟

قال : هي أكثر من أن تحصر ، وقد وجدت خصلة واحدة إذا استعملها  
الإنسان سترت عيوبه .

قال : وما هي ؟ قال : حفظ اللسان .

٢ - أوصى بعض الحكماء ابنه فقال له : يا بني ، إن من الكلام ، ما  
هو أشد من الحسام ، وأقل من الصخر ، وأنفذ من وخز الإبر ، وأمر من  
الصبر ، فصن لسانك عن لغو الكلام

واعلم أن القلوب مزارع فازرع فيها طيب الأحاديث ، فإن لم ينبت فيها  
كله ، نبت بعضه ، وإن صمتاً تعقبه سلامة ، خير من نطق يسلب كرامة ،  
من قلّ كلامه ، قلت آثامه ، ومن كثّر لفظه ، كثّر غلظه ، وإن الرجل  
لا يزال مهيباً ما دام ساكناً ، فإذا تكلم زادت مهابته ، أو سقطت رتبته .

٣ - يحكى أن لقمان الحكيم أعطاه سيده شاة ، وأمره أن يذبحها ويأتيه  
بأخبث ما فيها ، فأثاه بقلبها ولسانها .

ثم أعطاه شاةً أخرى وأمره أن يذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها .

## - ٢١٩ -

فذبجها وأتاه بقلبها ولسانها .

فسأله عن ذلك ، فقال : يا سيدي ، لا أخبث منها إذا خبثنا ، ولا أطيب منها إذا طابا .

٤ — ذكر ابن خلكان : أن رجلاً كان يجالس الشعبي ، ويطيل الصمت ، فقال له الشعبي يوماً : ألا تتكلم ؟  
فقال : أصمتُ فأسلم ، وأسمع فأعلم ، إن حظ المرء في أذنه له ، وفي لسانه لغيره .

وهناك في الجزء الأول من السمير حكايات كثيرة في هذا الموضوع .

### حسن المعاملة

الإنسان في هذه الحياة لا يمكنه أن يقوم وحده بجميع حاجاته ، فهو مفتقر لإخوانه ، مضطر لمعاملتهم ومعاونتهم له ، كما قال الشاعر :

« الناس للناس من بدو ومن حضر    بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم »  
فن أراد أن يعيش عيشة هادئة مطمئنة ، محبوباً عند إخوانه ، إذا افتقر ماله ، وإذا احتاج ساعده ، لزمه أن يكون حسن المعاملة معهم ، وقد جاء في الأثر : الدين المعاملة ، فعلى حسن المعاملة تتوقف حياة الإنسان ، وبمقدار حسن المعاملة يكون مقدار نفعه وفائدته من الغير .

## - ٢٢٠ -

وحسن المعاملة يدل على أخلاق الإنسان السكامة فيه ، وعلى ذوقه وعواطفه وإحسانه ، كما يدل على الوسط الذي يعيش فيه ، وينتمى إليه .

فالرجل الذى يعامل غيره معاملة حسنة يحبه الناس ، ويلتفون حوله ، ويريدون نفعه ؛ بخلاف الرجل السيئ المعاملة فإنه تكرهه الناس وينفرون منه ، ولا يحبون فائدته ، انظر إلى تجارة بعض الناس ترها كاسدة لا يقبل عليها أحد مع قلة ثمنها وجودة نوعها ، وانظر إلى سلع البعض الآخر ترها رائجة يقبل عليها الناس مع ارتفاع ثمنها ، وربما كانت أقل جودة من سابقتها ، فما السبب فى ذلك ؟

السبب فى ذلك ، أن الأول جهل طرق حسن المعاملة ، فساء خلقه ، وابتعدت الناس عن معاملته ، فارتفعت تجارتها ، وساءت حالته .

أما الثانى فقد عرف كيف يحسن معاملته مع الناس ، فاستجلب مودتهم إليه ، وجذب قلوبهم نحوه ، بما يرونه من حسن أخلاقه ، وجايل صفاته ، يهش للناس ، ويهش فى وجوههم ، ويكرم وفادتهم ، مع لطف وسهولة فى المعاملة ، وأدب فى الجمالة .

فيذا أردت أن تكون محبوباً ، موفقاً فى هذه الحياة ، وجب عليك اتباع طرق حسن المعاملة الآتية :

١ — عامل الناس بالأدب الذى لا يكلفك شيئاً ، بل يكسبك رضاهم عنك ، ويسهل عليك نيل ما يصعب الوصول إليه بالدرهم .

## — ٢٢١ —

٢ — عامل الناس بالرفق واللين والإخلاص ، فإن الرفق يريح القلوب  
بأكثر من الإحسان ، والإخلاص أجلّ قدراً من الدرهم ، والكلمة اللينة  
تكسب سروراً لا تأتيه الهدايا .

٣ — عامل الناس بالبشاشة والرافة والحبّة ، ولا يكفي أن تحب من تعز  
بالقول ، ويجب أن تبرهن له على إخلاصك ، وأن تجنب ما يفرط منك .

٤ — عامل الناس باللطف ، فاللطف في المعاملة سبيل لنيل كثير من  
المقاصد ، وفي الواقع أن كثيراً ممن اغتفوا لم ينالوا الثروة إلاّ بحسن معاملتهم ،  
كما أن كثيراً لم ينجحوا بسبب سوء معاملتهم .

٥ — إن حسن المعاملة توجب عليك ألاّ تكون كثير الاعتكاف عن  
الناس ، وألا تكون كثير التودد إليهم ، وألا تخشى ظهور إحساساتك مظهراً  
أجلى البراهين على إخلاصك ، وأن تكون حرّ الفكر ، رقيق الإحساس ،  
صادق القول والفعل ، وأن تكون شفيقاً ذا قلب سريع التأثر .

٦ — لا تقتصر في معاملة الناس على ما تريد أن يعاملوك به ، بل يجب  
أن يكون لك عليهم إحسان إذا أردت أن يحسنوا إليك ، وألاّ تقابل السيئة  
بمثلها ، بل بالحسنة ، فتحمد وتشكر .

٧ — ابذل جهدك في استمالة قلوب الناس إليك بحسن معاملتك لهم ،  
فبالذوق السليم تنجح في مقصودك ، وتنال باللطف ما لم تنله بالعنف ، كما  
أنك تنال بالابتسام والبشاشة ، ما لم تنله بالإرهاب والغلظة .

— ٢٢٢ —

٨ — اعمل على أن تكون محبوباً عند الناس ، وهذا لا يفقدك شيئاً بل يكسبك سروراً ينشرح به صدرك في كل آن ، وإن صدقت رغبتك في استجلاب محبة الناس نلت مقصدك لا محالة ، فإن لم تكن عندك تلك الرغبة ما كنت محبوباً أبداً .

٩ — أحسن الظن بالناس ، واذا كره محاسنهم ، واترك مساوئهم ، إن أردت أن تكون بعيداً عن انتقادهم عليك ، ومعاكستهم لك .  
واعلم أن من الواجب الأدبي أن تتكلم عن الأحياء بالإحسان ، وألا تذكر من مات إلا بخير .

١٠ — لا تحتقر من دونك أو أحداً من إخوانك ، ولا تفخر بقوة عقلك ، أو بالثروة التي ورثتها من آبائك وأجدادك ، بل عليك أن تعرف قدر نفسك ، وقدر العالم ، فلا تعامل الدون بمعاملة الكفاء ، ولا الكفاء بمعاملة الأعلى ، وعامل كل إنسان بحسب درجته ومركزه .

١١ — اجتهد في ألا يكون لك أعداء ، بل اجتهد في إرضاء الناس ليعجبوك محبة خالصة لوجه الله ، وخالطهم بخالطة إن مت معها بكوا عليك ، وإن عشت حنوا إليك ، ولهجوا بالثناء عليك .

١٢ — اهتم بشؤون إخوانك ليهتموا بشأنك ، فإنك إن أظهرت لهم عدم اهتمامك لهم ، فكيف تنتظر منهم القيام بغير ما فعلت .



## - ٢٢٣ -

- ١٣ — الزم الاحترام والاعتبار لإخوانك ، فإنك إذا لم تعتبر أحداً من الناس ، ولم تحترمه ، فكيف ترجو أن يكون لك اعتبار أو احترام عند أحد ؟
- ١٤ — الإنسان على الإنسان حق المعاونة والمساعدة ، إنما لابد أن تكون وقتية لعذر طارىء ، ولكن من العبث أن يقوم شخص بحاجات شخص آخر ، فيعوده البطالة والكسل ، وعدم السعى على المعاش ، ومن العار على هذا الشخص أن يقبل مثل هذه المعيشة الاتكالية وألا يرضى بأى حرفة مهما كانت ، ليعيش من عرق جبينه ، وألا يكون عالةً على الناس .

### حسن معاملة النبي عليه الصلاة والسلام

كان ﷺ كريم العشرة ، حسن المعاملة ، رءوفاً رحياً بأصحابه ، بهذا وصفه الله تعالى في كتابه فقال : **بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** .

كان يعطى كل واحد من جلسائه نصيبه ، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه ، قد وسع الناس خلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء .

وكان عليه الصلاة والسلام أشد الناس تواضعاً ، وأبعدهم من كبر ، يعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويتفقده أحوالهم ، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم ، حينما انتهى به المجلس جالس .

## - ٢٢٤ -

روى : أنه خرج على أصحابه يوماً فقاموا له فقال : لا تقوموا كما يقوم الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضاً ، وقال : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

ودخل عليه رجل فأصابته من هيئته رعدة ، فقال له : هوّن عليك ، فإنى لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد ( اللحم المالموح المجفف في الشمس )

وكان عليه الصلاة والسلام أوقر الناس في مجلسه ، لا يتكلم في غير حاجة ، ويعرض عن يتكلم بغير جميل ، وكان ضحكه تبسماً ، وكلامه قصداً ، لا فضول ولا تقصير ، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم ، توقيراً له ، واقتداءً به ، مجلسه مجلس حلم وحياء ، وخير وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تنتهك فيه الحرم .

## وصية الإمام على لابنه الحسن

في حسن المعاملة

قال الإمام على رضي الله عنه لابنه الحسن : يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستتبع من نفسك ما تستتبع من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لم تعلم وإن قلّ ما تعلم ؛ ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

## التعاون

وجد التعاون منذ وجدت الجماعات الإنسانية ، وأحسن الناس بحاجة بعضهم إلى بعض ، فكم يميل الإنسان بطبعه إلى السعى لينال من شريكه مساعدة في الحياة ، أو زميله في العمل ، وليحصل على معاونة من الأقرباء والأصحاب ؛ وكم رأينا أفراد أسرة واحدة طرحوا جانباً ما بينهم من بغضاء ، واتحدوا وتضامنوا على الأخذ بيد الأسرة من وهدة كان يخشى السقوط فيها ، ويتقدمون جميعاً بقلب واحد بكل ما عندهم من قوة مادية كانت أو أدبية لتتضحى في سبيل سعادة الأسرة . وما العصبية الشديدة عند قبائل البدو ، وقبائل العرب خصوصاً إلا نوع من التعاون والتآزر حول مبدأ الدفاع عن كل فرد من أفراد القبيلة ، وعن القبيلة جميعها ؛ فالقبيلة كلها تهب لتأخذ بثأر أحد أفرادها ، والفرد يهب ليأخذ بناصر القبيلة كلها ، مهما تكلف من عناء ، ومهما أنفق من كفاح ، وتعرض لأشد الأخطار .

التعاون غريزة في الإنسان فطر عليها ، ونشأت مع نشوء الجماعات وكانت من سبل التغلب على متاعب الحياة ، وحصناً يقي الإنسان عادات الزمان .

## - ٢٢٦ -

وليس التعاون غريزة في الإنسان فحسب ، بل هو غريزة في الحيوان أيضاً ، إذ نشاهد زرافات من الحيوانات ، وأسراباً من الطيور ، وجماعات من الحشرات ، تستعين على تحصيل الرزق ، ودفع الشر ، بالعمل متآزرة ، وبمبا أودع فيها من غريزة التعاون ، وتضامن قواها الصغيرة ، لتكون قوة كبيرة ، تتغلب بها على المشاق والأخطار .

إن القبيلة وهي من أكبر الحيوانات جسماً تعيش متضامنة ، وتسير متعاونة ، فالقيل يعيش بمساعدة المجموع من القبيلة ، وهذا المجموع في حاجة إلى مساعدة كل واحد منها فتخرج القبيلة جماعات إلى موارد المياه وتعود غير متفرقة . وكذلك أغلب الحيوانات والطيور والحشرات : القردة والذئاب ، الحمام والبط البري ، النمل والنحل ، تعيش كلها متحدة متعاونة في كل حركة ، وفي كل وقت ، وفي كل مكان ، وكأن كل واحد منها يحيا ويموت على مبدأ الفرد للجماعة ، والجماعة للفرد .

والأمم تتعاون أفرادها في أوقات الشدائد ، ويرى الإنسان حوله ويسمع كل يوم تضامن الأحياء في مختلف الأمور .

وقد حثت جميع الأديان السماوية : الموسوية ، والمسيحية والحمدية على فضيلة التعاون والتآزر ، ومساعدة الفقير ، ولم الشمل بين الأسر والجماعات .

ففضيلة التعاون أولى المبادئ الأخلاقية التي يلقنها الوالد لأولاده ، ويشير بها المعلم إلى تلاميذه ، ويرفع لواءها الزعيم لتلتف حوله الأمة ،

## — ٢٢٧ —

و بالإجمال التعاون فضيلة تقوم عليها الحياة الهادئة المطمئنة ، وهى أساس النجاح ، ودعائم التقدم والفلاح ، وهى درع يحفظ الإنسان من السقوط والتدهور ، وهى عماد الحياة بين الناس فى المعاملات ، وفى تخفيف المصائب ، وويلات الزمان .

### ذكر ما قيل فى التعاون

#### الآيات

قال الله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ »

وقال عز وجل : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِرُحْمَةٍ إِخْوَانًا »

وقال سبحانه وتعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

## الأحاديث

وقال رسول الله ﷺ : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

وقال عليه الصلاة والسلام : يد الله على الجماعة .

وقال ﷺ : والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

وقال عليه الصلاة والسلام : مثل المؤمنين في تراحهم وتوادهم وتواصلهم

كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمل والسهر .

وقال عليه الصلاة والسلام : من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه .

وقال عليه الصلاة والسلام : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .

قيل : كيف أنصره ظالماً ؟ قال : بحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره .

## أقوال الأدباء

قال المهلب بن أبي صفرة حينما جمع أولاده قبيل وفاته :

« كبرونا جميعاً يا بني إذا اعتري خطب ولا تتفرقوا أحاداً »

« تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افتقرن تكسرت أفراداً »

وقال أبو الفتح البستي :

« وكن على الدهر معواناً لذى أمل يرجو نذاك فإن الحر معوان »

« واشدد يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان »

« من كان للخير مئاعا فليس له على الحقيقة إخوان وأخذان »  
 « من سالم الناس يسلم من غوائلهم وعاش وهو قير العين جذلان »  
 وجاء في الأمثال : المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه .

### خطبة

في حث الناس على إعانة قوم أصابهم حريق  
 لقد منَّ الله على الناس إذ أوجد في قلوبهم الشفقة لإخوانهم، وبنى جنسهم  
 ومشاركهم في أوطانهم ، وأوجب على غنيهم مساعدة فقيرهم وعلى قويهم  
 إعانة ضعيفهم ، وجعلهم كأسرة واحدة يتعاونون ، وفي هذه الحياة يشتركون ،  
 حتى يعيشوا إخوانا وأحبابا ، ووعد السخي الكريم بالزيادة واليسر ، وأوعد  
 البخيل الدنيء بالخسران والعسر .  
 قال تعالى : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ  
 لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى »  
 وإنا لنشكر أغنياء هذه الأمة ، وسراة هذا الوطن ، فإنهم بأعمالهم الحسنى ،  
 وفعالهم الجيلة في مواطن كثيرة ، أظهروا للناس كيف يؤدون الواجب ،  
 ويفعلون الخير ، ويبرون بالأمة .

وقد جئنا اليوم نستعطفهم ، ونطلب المعونة منهم ، لتضاف هذه  
 المسكرمة إلى كثير من أمثالها مما قدموا ، ولهذه الأمة بذلوا .

أيها السادة أهل الشفقة والرحمة ، إن سكان ( ميت غمر ) أصابهم حادث مؤلم ، ونزلت بهم نازلة مروّعة ، فإن النار ( نعوذ بالله منها ) قد شبت في بلدكم فأحرقت الدور والمساكن ، وأكلت الأقوات والأموال ، وذهبت بما أدخروا وما جمعوا ، فأصبحوا يتوسدون الثرى ، ويستظلون بأديم السماء ، لا يجدون من الأكل ما يسد رمقهم ، سوى ما يساعدهم به أهل بلدكم وهو شيء في ذاته جليل عظيم ، ولكنه بالنسبة لهم قليل حقير ، لا يجديهم نفعاً ، ولا يفي عنهم من الجوع شيئاً ، لكثرة عددهم ، ووفرة جموعهم .

أيها الرءاء ، كيف يرى الواحد منا نفسه ؟ لو سمع أن قوماً كانوا على الأرائك متكئين ، وفوق البسط والنمط جالسين ، وفي مساكنهم متعمين ، وببلدهم آمنين ، وإلاخوانهم جامعين ، وبحياتهم مسرورين ، ثم نظروا فإذا هم فوق الثرى أجساداً هامدة ، وتحت السماء جثثاً خامة ، قد فقدوا أقواتهم وأموالهم وديارهم وحبوبهم ، أظنه يرى نفسه مضطربة متألّمة من هول الأمر .

يا أهل الرأفة ، كيف يكون حال الواحد منا لو شاهد هؤلاء القوم ؟ أم ماذا يكون أمره لو كان منهم ؟ إنكم بما يكونون لعارفون .

فيجب على كل واحد منا مهما كان ، أن يساعد هؤلاء الناس ، ولا يتكل على غيره ، ولا يعتمد على سواء ، فإننا لهم مدينون ، وعلى إهمالهم محاسبون ، ونشكر الله على أن جعلنا لهم معينين ، ولم يجعلنا فيهم مصابين ، لنشكر الله ببذل الأموال ، لنشكر الله بمعاونتهم بالأقوال والأعمال ، حتى يخف مصابهم ،



## — ٢٣١ —

ويقول ألمهم ، وحتى نكون قد فعلنا الواجب ، وحتى نرى عند الضيق فرجاً ،  
وعند الشدائد أعواناً .

وما من أحد في هذه الحياة الدنيا بأصغر من أن يعين ، ولا بأكبر من  
أن يعان ، والله وحده وليّ الأمر وهو المستعان .  
« ثمار الإنشاء »

## التعاون المالي

التعاون المالي ، هو اتفاق جماعة من الأفراد كموظفي البريد ، أو مزارعي  
بلد من البلاد ، أو التجار أو الصناع أو العمال تتفق مصالحهم على أن يكون لهم  
متجر خاص يشتري كل منهم ما يلزمه من الحاجات بأثمان معتدلة ويبيعها كذلك ،  
ويكون للشركاء نصيب في الأرباح مناسب للمبلغ الذي أودعه في الشركة .  
ففي ( إنجلترا ) فكر جماعة من صغار العمال في إنشاء حانوت بقرية  
يأخذون منه كل حاجاتهم آمنين من الغش وطمع التجار ، فاستغنى كل منهم  
عن جزء يسير جداً من مرتبه الشهري ، وجمعوا من ذلك مبلغاً صغيراً من المال  
جعلوه رأس مال التجارة ، وجلبوا في التجارة جميع ما يحتاج إليه أهل القرية  
من مأكل ومشرب وملبس ومتاع ، وقدروا لهم أرباحاً مناسبة مع المصروفات  
ورأس المال ، فما هي إلا سفين قلائل حتى زاد رأس مال الشركة على بضعة

## — ٣٣٣ —

ملايين من الجنهات ، وأقبل الناس على تعضيدها وتشجيعها ، واقتدت بهم (فرنسا وألمانيا) فأنشأوا نقابات التعاون .

وهذا التعاون المالى ، سر عظيم من أسرار النجاح والفوز ، وسبب من أسباب رقى الأمم وتقدمها ، وزيادة ثروتها وعظمتها .  
ويقوم التعاون المالى بتأليف الشركات والمصارف .

والقطر المصرى حديث العهد بالتعاون ، إذ بدأ بالدعاية إليه المرحوم عمر لطفى برعاية المرحوم السلطان حسين كامل عام سنة ١٩١٠ ولـكن الحركة لم تتم لظروف عدة ، منها قيام الحرب العظمى ، ولما هدأت الحالة نوعاً ، أصدرت الحكومة عام سنه ١٩٢٣ قانوناً للتعاون ؛ ولما وجدت به بعض العيوب عادت فأصدرت سنة ١٩٢٧ قانوناً منقحاً يلائم حالة البلاد ، فأنشأت وفقاً لأحكامه ١٨٢ جمعية تعاونية تعمل فى التوريد والتسليف الزراعى ، عدا جمعيتين واحدة للتعاون المنزلى ، وواحدة لزراعة الخضر ، مجملها إلى اليوم ١٨٥ جمعية يبلغ عدد أعضائها ١٥،٠٠٠ عضو .

وتساعد الحكومة هذه الجمعيات ، وسيأتى الوقت (إن شاء الله) الذى تعد فيه الجمعيات التعاونية فى مصر بعشرات الآلاف كما هو الحال فى البلدان الأخرى .  
وعندئذ يتجلى مبلغ الفائدة التى تجنيها البلاد من هذه النهضة المباركة .  
وفى يوم السبت الأول من شهر يوليو من كل سنة يحتفل رجال التعاون فى العالم بعيدهم .

## - ٣٣٣ -

وقد بدأ قسم التعاون في الاحتفاء بهذا اليوم .  
وقد كتب بعض عظماء مصر ورجالها المشهورين آراء قيمة عن التعاون  
وهي المذكورة بعد .

### التعاون

#### كلمات خالدة

١ — مزايا التعاون كثيرة ، وأفضلها في نظري حب كل فرد لمصلحة  
الآخر ، وعمله لخير الجميع .  
( عمر طوسون )

\* \* \*

٢ — أعمال التعاون تنمى الشعور لدى الأفراد بحاجة بعضهم إلى بعض ،  
وتقوى روح الجماعة ، وتجعل من الأسر المختلفة أسرة واحدة تربطها المصلحة ،  
وإذا صادفها التوفيق بحسن اختيار الأخيار كانت من الوسائل النافعة في تقويم  
الخلق ، ونشر الفضيلة ، ورغد العيش .

( محمد مصطفى المراغى ) شيخ الجامع الأزهر

\* \* \*

٣ — خير التعاون ما كان على البر والتقوى ، وأنفع الناس أنفعهم  
للناس ، وكال الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، والله في عون العبد  
ما كان العبد في عون أخيه .  
( محمد نجيت )

مفتى الديار المصرية سابقاً

## - ٢٣٤ -

\* \* \*

٤ — ليس للتعاون غاية في ذاته ، وإنما هو طريق لتعليم الناس وتهذيبهم ،  
وسبيل إلى نفع فقيرهم وغنيهم ، وربطهم في مصالحهم برباط المحبة والصدقة ،  
وفي ذلك صلاح للنفس ، وسعادة وهناء للمجموع والأفراد .  
( يؤنس ) بطريق الكرازة المرقسية

\* \* \*

٥ — أرى من الخير كله نشر مبادئ التعاون في مصر ؛ لأنها العامل  
الأول اجتماعياً في تنظيم العمل ، واقتصادياً في تدبير المال ، والعمل والمال هما  
مناط الرجاء في حياة ورق الأمم في كل عصر . ( عبد الحميد البكري )  
شيخ السادة الصوفية

\* \* \*

٦ — لا شك أن ما وصلت إليه البلاد الغربية من العظمة الصناعية  
والقوة المالية إنما كان بفضل التعاون ، وقد كان من أسباب تأخرنا في الميادين  
الاقتصادية اعتمادنا على الجهود الفردية التي فات أوان الاعتداد عليه منذ  
أصبحت الأنظمة العالمية مبنية على وفرة المال وضخامة القوة الآلية . وللتعاون  
مزية أخلاقية لا يستهان بها ، وهي توافر الثقة بين الناس مما يقوى الروابط  
ويكسب الأمة الاحترام . ( اسماعيل صدقي )

\* \* \*

— ٢٣٥ —

٧ — التعاون الزراعى فى مصر ليس نظرية من النظريات ؛ ولكنه عمل اجتماعى شاق ، يرمى إلى تعويد المزارعين فى دائرة جمعية معينة على ثقة الأعضاء بعضهم ببعض ، واعتبار منفعة الفرد منسجمة مع مصلحة المجموع ، ومصلحة المجموع متسقة مع أعظم ما يستطيع من مصالح الأفراد ، فهو عمل مبنى على الثقة ، وتبادل النافع ، وتناسق المصلحة الفردية مع مصلحة المجموع .

( محمد طلعت حرب )

\*\*\*

٨ — كل أمة زراعية لا تؤمن بالتعاون ، وتنضوى تحت لوائه ، فهى مستباحة المرافق ، مغلوطة على أمرها فى ذلك المعترك الاقتصادى العالمى المحتوم .

( يوسف نحاس ) سكرتير النقابة الزراعية العامة

الأهرام فى ٦ يوليو سنة ١٩٢٩

## الشركات

الشركات هي اتفاق عدة أشخاص على القيام بعمل يعود بالخير على الناس، ويجلب الثروة للمشاركين فيه، يقوم كل فرد بدفع حصة صغيرة من رأس المال، ومن مجموع هذه الحصص المعروفة (بالأسهم) تأسست شركات كبيرة، قامت بأعمال عظيمة، لا يمكن للفرد الواحد القيام بها.

ففي القاهرة والاسكندرية شركة الترام التي سهلت للناس طرق المواصلات، وقربت المسافات، بأجور رخيصة، وعادت على مؤسسيها بأرباح كثيرة.

وشركة النور (غاز الاستصباح والكهرباء) التي أضاءت منازل والطرق، وساعدت على ازدياد الأمن والراحة، ودرّت على مؤسسيها الخير العميم، والربح العظيم.

وشركة المياه التي مدّت أنابيبها في جميع الطرقات وسائر المنازل تحمل للناس ماءً زلالاً نقياً، فسهل عليهم أداء العبادات، وقضاء الحاجات.

وأمثال ذلك كثير من الشركات التي ملأت البلاد وساعدت على الرقي والحضارة، وسيأتى ذكرها، ويوجد أيضاً شركات التعاون المنزلى، والغرض منها الحصول على اللوازم المنزلية، أى حاجات المعيشة.

## — ٢٣٧ —

وهى شركات كبيرة الفائدة ، كثيرة النفع ، خصوصاً إذا تسنى لها أن تشتري وتبيع بالكميات الوفرة من البضائع التى تستحضر من البلاد النائية ، فإنها تغنيننا حينئذ عن الشراء من التجار الذين يبيعون بالتجزئة (بالقطاعى) كما أنها تغنيننا كذلك عن تدخل الوسطاء بيننا وبين أرباب الحاصلات ، ومن ثم يكون فى استطاعتها جلب البضائع بالثمن الزهيد وبيعها بالثمن المناسب ومن مزاياها أيضاً أنها لا تكون فى حاجة إلى بيع الردىء من الأصناف كما يقع أحياناً من بعض التجار الأصغار إثماء لأربابهم وهو ما يشاهد خصوصاً فى المدن والقرى الكبرى

ويوجد أيضاً شركات التعاون الزراعى المنتشرة فى أنحاء القطر المصرى ، وقد أصدرت الحكومة المصرية قانوناً برقم ٢٧ خاصاً بالتعاون الزراعى بعناية (جلالة الملك فؤاد) وقد أصبح بموجبه للزارع وكل من له علاقة بمهنة الزراعة الحق فى أن يؤسسوا شركة زراعية تعاونية للعمل على مافيه صلاحهم وترقية شؤونهم المادية والأدبية والدفاع عن حقوقهم الزراعية .

هذا ومن أهم العوامل لنجاح شركات التعاون النظام والأمن وتوفر الثقة بين الأفراد إذ شاهدنا فى أيام الاضطرابات والثورات كيف تزعزعت النظم الاقتصادية وتأثرت من جراء ذلك .

انزع من العامل والصانع والتاجر أو أى إنسان أمنه على نفسه وماله وعلى عياله تجده قد شلت كل قواد وأقعد عن العمل .

## — ٢٣٨ —

انزع الثقة بين المتعاملين ، سواء أ كانوا فى شركة أو جمعية أو تجارة تجد  
 أن ما يشتركان فيه من عمل انهار من أساسه  
 والعوامل التى توجد لنا الطمأنينة ، وتوفر الثقة بين الأفراد كثيرة ،  
 أساسها العامل الأدبى أو الأخلاقى الذى تحت عليه الأديان .  
 فالأديان على اختلافها أدت إلى العالم الإنسانى أجل خدمة ، تأمر الإنسان  
 بفعل الخير ، وتناه عن الشر ، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .  
 والدين الاسلامى يصدق ما سبقه من الأديان فى الحث على التمسك  
 بالفضيلة ، التى هى أساس المعاملات ، وأساس النهضة الاقتصادية ، والعمل  
 على نشر روح الثقة بين الناس ، التى هى من أكبر أسس النجاح .  
 وهاك بيان أهم الشركات فى القطر المصرى :

## بيان أهم الشركات فى مصر

### ١ — شركة مياه القاهرة

أسست هذه الشركة فى سنة ١٨٦٥ ومجلس إدارتها بالقاهرة ، وهى خاضعة  
 لقوانين الحكومة المصرية ، وينتهى الامتياز الحالى الممنوع لها من الحكومة  
 فى سنة ١٩٦٩ .



## — ٢٣٩ —

### ٢ — شركة ( غاز ) القاهرة

هذه الشركة فرع من شركة الإنارة بالغاز الفرنسية المركزية ( ليون وشركاه ) منحت هذه الشركة امتياز مدّة مواسير الغاز للمحلات العمومية والمنازل في سنة ١٨٧٣ لمدة ٧٥ سنة .

### ٣ — شركة مياه الإسكندرية

أنشئت هذه الشركة في سنة ١٨٧٩ واشترت من الحكومة المصرية ( وابورات ) مياه الإسكندرية وفي سنة ١٨٨٠ اشترت الشركة ( وابورات ) مياه ضاحية الرمل وعمات عقداً إضافياً مع الحكومة المصرية .

### ٤ — شركة ( غاز ) الإسكندرية

منحت الحكومة المصرية في سنة ١٨١٥ الخواجات ( ليون وشركاه ) امتياز إنارة مدينة الإسكندرية وضواحيها ( بالغاز ) وبمقتضى العقود التي وضعت في سنتي ١٨٩٣ و ١٩٠٩ وقد عدلت الحكومة هذا الامتياز بمنح الشركة حق الإضاءة بالكهرباء .

### ٥ — شركة قناة السويس

منحت هذه القناة في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ . وتنتهى مدة امتياز الشركة في سنة ١٩٦٩ وقد رفضت الجمعية العمومية في اجتماعها سنة ١٩١٠ مشروع مدّ أجل امتيازها .

## — ٢٤٠ —

هذا وإن نصف أسهمهما تقريباً تملكه الحكومة الإنجليزية .

٦ — شركة السكة الحديد بالدلتا .

٧ — شركة السكة الحديد الضيقة بالفيوم .

٨ — شركة السكة الحديد الضيقة بالوجه البحرى .

٩ — شركة ( الترام ) بالقاهرة .

١٠ — شركة واحة عين شمس ( هليوبوليس ) أو مصر الجديدة .

١١ — شركة الأراضي والرهنيات المصرية بالإسكندرية ولندن .

١٢ — شركة الرهن العقارى المصرى بالقاهرة ولندن .

## المصارف أو ( البنوك )

المصرف هو المكان الذى يودع فيه الناس ما يزيد على حاجتهم من نقود ، ولهم أن يستردوها متى شاءوا ، وقد يأخذون ربحاً نظير استثمار المصرف لهذه الأموال .

ومن شأنه أيضاً أن يقرض الأموال للذين يكونون فى حاجة إلى الاقتراض ، بشرط أن يستوثق مقدماً من اقتدارهم على رد ما يقتضونه ، فإذا وثق من ذلك أعطاهم القرض وحسب عايه فائدة مقابلة انتفاعهم بالمال المقرض .

## - ٢٤١ -

والغرض من إيداع الأموال في المصرف هو حفظها في مكان أمين لكيلا يتمكن اللصوص من سرقتها ؛ لأن المصرف فيه خزائن من الحديد محكمة الصنع ، ثقيلة الحمل ، بحيث لا يستطيع اللصوص كسرها ولا نقلها فضلاً عن وجود حراس من الشرط عليه في كل وقت صباح مساء .

والمشاهد في البلاد الأوروبية أن معظم الأغنياء يضعون أموالهم كلها في المصارف ؛ لأنهم وثقوا من أن هذه الوسطة تحول دون تبذير المال وتعريضه للضياع .

وللمصرف فائدة أخرى ، وهي سهوله توصيل النقود إلى الأماكن البعيدة جداً .

فلو أردت أن ترسل من مصر إلى صاحب لك في (باريس) أو (لندن) أو (برلين) أو غيرها مائة جنيه مثلاً ؛ فإنك لا ترسلها فعلاً ، بل تودع المال المصرف ، وتأخذ إيصالاً نظير أجرة زهيدة ، وترسل الإيصال إلى صاحبك داخل مكتوب موصى عليه . فبعد تسلمه يصرف من المصرف الحول عليه . وقد يتفق أن يكون في إحدى المدن من يريد أن يرسل لصاحبه أو قريبه في مصر مبلغاً فيتبع معه هذه الطريقة دون أن يرسل المال ، وبذلك لم تتعرض الأموال لخطر النقل والسرقة في الطريق .

وأهم ما يقوم به المصرف هو إقراض صاحب العمل كالتاجر والزارع والصانع ما يحتاج إليه من النقود على أن يردّها إليه جملة في أجل معين أو أقساطاً على آجال متقاربة على أن يقوم المقرض بدفع فائدة معلومة لا تزيد على ٩ ٪. تقدر بنسبة المبلغ ومدة أجله .

ولا يخفى ما في هذا العمل من تسهيل الأعمال والمعاملات ، وتداول الأموال بين الناس ، وقد قام جماعة من سرة الأمة ومفكرها بتأسيس (بنك مصر) وجعلوا جميع سهومه مصرية ، وليس للأجانب حق الاشتراك في تأسيسه ، فأقبل المصريون على تشجيعه ، وأودعوا أموالهم فيه وعضدته الحكومة فأودعت فيه جزءاً كبيراً من مالها ، وأناطت به القيام بكثير من الأعمال اللازمة لتشجيع الصناعات الوطنية ، وواصل القائمون به عملهم بحمد وإهتمام ، فانتشرت فروعه في جميع أنحاء البلاد تمد إلى أهلها يد المعونة وتساعد على العمل والنهوض ، حتى أصبح يفوق كثيراً من المصارف الكبيرة بهمة الأستاذ المالي الكبير ( محمد طلعت حرب ) وإليك الفوائد التي عادت على الأمة من بنك مصر .

## ( بنك مصر )

### وفائده

فائدة ( بنك مصر ) تشجيع المشروعات الاقتصادية المختلفة التي تعود عليه وعلى البلاد بالربح . نسيم .

## — ٢٤٣ —

فأثدته الرحمة بالفلاحين عند الحاجة ، فإنه يعطيهم بقوائد معتدلة ومناسبة ، وهو مع ذلك يريح ولا يخسر .

فأثدته أن يجعل لمصر صوتاً في سوقها المالي ، ويدافع عن مصالحها كما تدافع ( البنوك ) عن مصالح بلادها .

فأثدته هو ومشروع النقابات الزراعية ، ومشروع مستودعات التأمين أن تتحقق في الوجود الكفاءة المالية التي هي الأساس المتين للرق المطلوب .

وإن كانت النقطة الأساسية من إنشاء ( بنك مصر ) المساعدة ؛ ولكن لا تمنح إلا لمن هو أهل لها ، وجدير بها ، ليستوى في ذلك الأشخاص والمشروعات .

ولم يكن الغرض من إنشائه محاربة ( البنوك ) الأجنبية الموجودة في مصر ؛ لأن هذه ( البنوك ) قد أدت إلى البلاد من الخدمات الجليلة ما لا يصح نسيانه ، وإنما الغرض أن يعمل ( البنك ) على مشاكلة تلك ( البنوك ) فيستفيد من تجاربها وخبرة رجالها بالأمور المالية ، وطول ممارستهم العمل بها ، غير أنه يمتاز عنها بأمر واحد ، وهو أن هذه ( البنوك ) الأجنبية لا ترمى منذ أن تأسست إلا إلى غرض واحد ، هو مصلحة المساهمين ، غير ناظرة إلى مصلحة البلاد إلا فيما يوافق مصلحتها فإن رأت مكسباً جرت وراءه ، وفتحت أبوابها لكل طالب ، وإن توهمت ضرراً مقبلاً سدت أبوابها عن كل طالب ، فهي

## - ٢٤٤ -

بذلك لا تنظر إلا إلى مصلحة المساهمين ، لا تدخل غالباً مصلحة البلاد في حسابها ولا تنظر إليها .

والغاية الأولى من ( بنك مصر ) هي نفع البلاد ، والتخفيف عن الفلاح وانتشاله من ظلم المرايين ، الذين يتمتعون بعرق جبينه ، وخيرات أرضه غنيمة باردة ، ويقرضونه بالربا الفاحش بثلاثين أو أربعين في المائة ، وأزيد من ذلك في أحيان كثيرة ، تكون أطيانه مرهونة ( للبنك ) إلى آجال محدودة ، حتى إذا ما حل الأجل واشتتت أنفسهم من ذلك الربا الحرام أجبروه على بيع أطيانه منهم بما حسن لديهم من الثمن والفلاح يجيبهم إلى ذلك مكرهاً ؛ لأن الربا قد أثقل كاهله وأثماه إلى الأرض وسد في وجهه باب الرجاء .

ولست فائدة ( بنك مصر ) مقصورة على الاحتفاظ بتنمية الثروة الأهلية وبقائها في البلاد ، وإنما هو أيضاً مدرسة تدرس السياسة الاقتصادية الأهلية الرشيدة التي تقوم على تقدير الحاجات القومية تقديرًا علميًا صحيحًا مبنياً على المشاهدات والاستقرارات العديدة الصحيحة .

اشترك ( بنك مصر ) في تأسيس مطبعة مصر ، وفي رأس المال الأولى للشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان ، وهذه الشركة التي وجدت في السنة الماضية ( بوابور ) حليج لها في مغاغة ، وفي هذا العام ( بوابور ) حليج آخر في المحلة الكبرى . وستلحق بأحد ( الوابورين ) معاصر الزيت

والصابون ، ويلحق بالآخر مصنع للقطن الصحى النظيف ، ويهتم مصرف مصر بدراسة وتحضير الأعمال التمهيدية لتأسيس شركة جديدة للغزل والنسيج ، وفعلاً قد ظهرت ونجحت .

وقد أنشأ أيضاً شركة مصايد الأسماك التى يجلبها لمصر من السويس .  
ويمكن للجاعات التعاونية أن يستفيدوا منه فوائد لا تقدر بواسطة السلف وأن يودعوا أموالهم فيه .

فواجب على كل مصرى يقدر الأموال قدرها أن يعمل ما استطاع على مساعدة ( بنك مصر ) بنشر الدعوة إلى معاملته ، والاكتتاب فى رأس ماله ومساعدته .

وقد قال فى شأنه الشاعر الأديب محمد افندى الهراوى :

« أنشأوا مصرف مصر      فهو ذخى للبلاد »  
« فخذوا منه      وأعطوا      لا كتساب ، واقتصاد »  
« واحفظوا الأموال فيه      من ضياع ، ونفاد »  
« كل مال هو فيه      فلصون ، وازدياد »  
« وإليكم ، لوعلمتم      كل ربح مستفاد »  
« إنما الدينى اجهاد      وهو ميدان الجهاد »

## — ٢٤٦ —

### بيان المصارف الشهيرة بالقطر المصرى

- بنك الأنجلو اجبسيان ليمتد أسس سنة ١٨٦٤ .
- بنك الخصم الأهلى الباريزى أسس سنة ١٨٨٩ .
- بنك السكر يدى ليونيه أسس سنة ١٨٦٣ .
- البنك العثمانى أسس سنة ١٨٦٣ .
- البنك الأهلى : أسس بموجب أمر عال فى يونيه سنة ١٨٩٨ .
- بنك مصر : أسس بموجب أمر عال فى ٣ ابريل سنة ١٩٢٠ .
- بنك التسليف الزراعى .
- البنك الزراعى المصرى - البنك العقارى المصرى .
- بنك الأراضى المصرى بالإسكندرية - بنك روما .
- البنك الشرقى الألمانى .

### الأندية العالمية والأدبية

أصل الأندية وتاريخها والغرض منها

النادى هو المكان المخصص لاجتماع القوم وجلسهم فيه للبحث والناقشة فى أمورهم . يقال : جلس فلان فى نادى قومه ونديتهم ونَدَوْتهم ومننداهم ، ولهم أندية وأنديات ، كما قال كثير :

« لهم أنديات بالمشى وبالضجى بهليل يرجو الراغبون نهالها »



وأول نادٍ للعرب هو ( نادى قريش ) الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ » أى ليدع أهل ناديه ليخلصوه . أما منظمة ( كُلوب ) بالإنجليزية فأصلها سكسونى ، ومعناها النصيب أو الحصة أو الجعل الذى يدفعه الشريك أو العضو فى النادى ، ثم أطلقت على نفس المجتمع أو المكان الذى يجتمع فيه أعضاء النادى .

### الأندية الغربية

أول نادٍ تأسس فى الغرب كان ببلاد الإنجليز منذ نحو الجليلين ثم تلاه أندية أخرى كان من ضمن أعضائها ( شكسبير الاجتماعى الكبير ) . وقد أسست النوادى لأغراض مختلفة : فمنها ما جعل لمجرد الرياضة واللهو ، كالألعاب الرياضية ، وركوب الخيل ، وغيرها من الألعاب المعروفة عند جماعه الإنجليز .

ومنها ما أسس للآداب والفنون الجميلة ، ليجتمع فيه الكاتب والشاعر ، والموسيقى ، والممثل ، والمصور وغيرهم ممن تحلوا بالآداب مثل ( نادى الآداب ) الذى أسس فى سنة ١٧٨٩ وقد أقيم له عيد فى القرن التاسع عشر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيسه .

ومنها ما أسس للجماعات السياسية ، وكل من هذه الأندية خاض بحزب من أحزاب ( البرلمان ) الإنجليزى .

وقد اشتهرت الأندية بضخامة البناء ، فإنها قصور جميلة فسيحة مفروشة بأحسن الأثاث بها مكتبات ( كتبانات ) جليلة عظيمة .

## — ٢٤٨ —

وقد انتشرت الأندية ببلاد الإنجليز انتشاراً عظيماً حتى صار لكل طائفة من الطوائف ناد خاص بهم ؛ فأهل العلم اختصوا بأندية لهم مثل ( أكسفورد كُلب ) و ( كامبردج كُلب ) ولرجال الجيش والبحرية أندية خاصة بهم . ويختلف رسم الدخول في هذه الأندية من ١٥ جنيهًا إلى ٤٠ جنيهًا إنكليزيًا ، وقيمة الاشتراك من ١٠ جنيهات إلى ٢٠ جنيهًا ، ويبلغ عدد المشتركين فيها من ٥٠ إلى ٢٠٠٠ نفس .

وهي بالإجمال ذات ثروة وقوة عظيمة في البلاد الإنكليزية .

وقد قلد جماعة الفرنسيين الإنكليز فأسسوا أندية في عصر ( لويس السادس عشر ) أي في زمن الثورة الفرنسية ، ولذلك كان أغلبها مخصصاً لأغراض سياسية ، إلا أن الأندية الفرنسية سمح فيها للسيدات بالانضمام في سلك أعضائها بخلاف الأندية الإنكليزية .

### الأندية المصرية

لما دخلت المدينة العربية البلاد المصرية وسكنها الطوائف الغربية أسسوا أندية على شكل ونظام بلادهم فأسس الإنكليز ( أكليبا الشرق ) وأسس الفرنسيون ( انسركل فرانسيه ) وغيرهم أندية أخرى .

وقد أسس الوطنيون والأسيانب مدا ( السكلوب انديوى ) .

بل ان فسكرة الاجتماع في الأندية لم تكن مألوفة عند المصريين لأن لم

أماكن خاصة باجتماعهم من قديم الزمان وهى ( المنادر ) ولكن تركت الشبيبة المصرية هذه العادة وأخذت تجتمع فى الأماكن العمومية مثل المقاهى ، وهذا الاجتماع لم يعرض مطلقاً اجتماعهم القديم ( بالمنادر ) لأنه كان مقصوداً على الأخصاء والأصدقاء وأفراد الناس الذين تربطهم رابطة واحدة ، فكان التاجر يجتمع بالتاجر ، والصانع بالصانع ، والأمير بالأمير ، والعالم بالعالم ، والكاتب بالكاتب ، والمدرس بالمدرس ، والطالب بالطالب ، وهكذا فأصبح من الضروري لهذه الشبيبة أن تجتمع فى أماكن خاصة بها ، وبكل طائفة منها ، فلهذا أسسوا نادى الطلبة الذى سيأتى ذكره وتاريخ تأسيسه .

### نادى طلبة المدارس العليا

رأى حضرة الدكتور الفاضل عبد العزيز نظفى صاحب مجلة الحسكة والطبيب الشهير بمضاء العزيمة وثاقب رأى أن شبان المدارس العليا والتجهيزية فى حاجة كبرى إلى نادٍ يلم شعثهم ويجمع كلمتهم ، ويعينهم عن التخلف إلى المقاهى العمومية التى كثيراً ما تكون علة غالب المصائب ، وسبباً لسقوط الكثيرين فى مهاوى الفساد التى تذهب بهم إلى حضيض الذلة والهوان ، فأخذ يستحث طلاب المدارس العالية على إنشاء نادٍ خاص بهم دون سواهم ، طوراً بنشر المجلات فى الجرائد ، وطوراً بلسانه فى الاجتماعات ، حتى تولدت من ذلك حركة فكرية جعلت للمشروع أهمية كبرى وشأناً عظيماً .

فلما رأى أن هناك ميلاً كبيراً إلى إنشاء هذا النادي دعا طلبة المدارس العليا إلى اجتماع فلبى دعوته الكثيرون منهم ، وعقدوا في اليوم العاشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٥ أول اجتماع في محل عيادته ، ثم أخذوا يعقدون مثل هذه الاجتماعات على التوالي ناشرين خلاصة أعمالهم على صفحات الجرائد السيارة .

وكان الغرض الأول من تلك الاجتماعات الاهتمام بجمع النقود اللازمة لإنشاء النادي وسن قانون نظامي له ، لأن عملاً كبيراً مثل هذا النادي يستلزم ولا شك مائلاً وفيراً ليكون في مأمن من عوادي الدهر وفي حرز أمين من السقوط العاجل .

ولما توطد الأمل بإنشاء النادي ، وجمع من التبرعات ما يكفي لإظهاره ، عقدت جمعية عمومية في قاعة مدرسة الطب لانتخاب إدارة جديدة له فكان من حسن الحظ أن وقع الانتخاب على خيرة رجال القطر من أولى الفضل ، فتألف المجلس من أعضاء كرام إذا ذكر الواحد منهم كان عنواناً للفضل ، ومثالاً للأدب ومكارم الأخلاق ، نخص بالذكر منهم :

للمرحوم عبد الخالق ثروت ، المرحوم على أبو الفتوح ، المرحوم على حسنى ، المرحوم عمر لطفي ، محمد على دلاور ، الدكتور عبد العظيم نظمي ( صاحب المشروع ) حافظ عفيفي ( وزير الخارجية سابقاً ) .

— ٢٥١ —

ولما تم انتخاب المجلس المذكور أخذ يوالى اجتماعاته حتى تمكن فى وقت قريب من اختيار المحل المناسب للنادى ثم عين لجنة فرعية لتنقيح القانون وندب أخرى للاهتمام بشراء ما يلزم للنادى من المفروشات والأثاث .

ولما تسلم المرحوم عمر لطفى زمام هذا النادى رأى أنه من الواجب على أعضائه ومؤسسيه أن يعتمدوا على أنفسهم بأنفسهم ، وأن ينشئوا هذا العمل الوطنى المجيد الذى هو الأول من نوعه بهمهم دون الاحتياج إلى معونة أحد . وعلى ذلك جمع سعاداته فى أيام قليلة مبلغاً عظيماً أصدر به ألقى سهم وجعل قيمة السهم الواحد جنيناً .

ثم وزعت هذه الأسهم على حضرات الأعضاء ، وبذلك توصل إلى أن يجعل هذا النادى من أحسن النوادى نظاماً ، وأجملها ترتيباً ، بل تمكن من افتتاحه رسمياً فى اليوم الخامس من أبريل سنة ١٩٠٦ فى حفلة سامية زاهرة حضرها المرحوم فخرى ناظر المعارف وقتئذ ، يعقوب أرتين وكيلها ، ونظار المدارس وكثيرون من كبار الأمة وأعيانها .

ولما انتظم عقد حفلة الافتتاح وقف حضرة الرئيس المفضل وألقى الخطبة الآتية :

« يا عطوفة الناظر ، أيها السادة :

## - ٢٥٢ -

بكل سرور أتقدم بالنيابة عن أعضاء هذا النادي معلناً افتتاحه اليوم ،  
سائلاً له العمر الطويل ، والنفع الجزيل . إن حاجة الشبيبة المصرية الراقية  
لا تحتاج اليوم إلى إقامة الدليل ، فإن جميع الأمم الحية أسست أمثال هذا النادي  
لأغراض مختلفة ، أهمها ترقية المدارك بالمباحث العلمية والأدبية والفنية ، وبكل  
ما تنقضى به ساعات الراحة في رياض العقل والروح ، مع التباعد عن الملاهي  
الخاطئة بكرامة النفس ، المضغفة لمسكارم الأخلاق .

وإننا معشر أعضاء هذا النادي لسنا في الحقيقة إلا أفراداً جمعتنا رابطة  
الإخاء الشريف العالى ( رابطة العلم ) ولهذا أرى أن اجتماعنا لا بد منه .  
وإننا لا نرتاب في أن أول من يسر بوجود هذا النادي هم رجال معارفنا  
الذين يعود عليهم فخر العمل .

هذا وإنى أرفع شكرى لحضرات كبار رجال نظارة المعارف ، وجميع من  
تكرم بمساعدتنا مادياً وأديباً ، وإنى أعد نفسى مقصراً إذا لم أبدأ اليوم  
بشكر حضرة الدكتور البار ( عبد العزيز نظلى ) مبتكر هذا المشروع  
الجليل ، وأول الساعين في إيجاده ، إذ يغنيه عن الشكر سروره بتحقيق  
أمنيته .

ولا شك أنكم ترون مثلى أن هذا اليوم هو من أسعد أيام حياتنا لأننى  
فيه أعلن افتتاح أول نادٍ للشبيبة المصرية » .

## — ٢٥٣ —

وما كاد هذا النادى تفتح أبوابه لقاصديه حتى تقدمت طلبات الاشتراك بكثرة متوالية إلى حد جعل مجلس الإدارة يفكر فى نقل النادى من محله إلى مكان آخر مساحته ضعف مساحة المكان الحالى ليكون ذا متسع كاف لحضور جميع المشتركين .

ولقد أظهرت الحكومة ميلاً كبيراً لتعريض هذا النادى منذ افتتاحه بحضور السادة ناظر المعارف ووكيلها ومستشارها ووكيل المالية .

ولم تكف بهذه المظاهرة الأدبية فقط بل رضيت منح النادى قطعة أرض فضاء فى الجزيرة لتكون مسبقاً لأعضائه فى الألعاب الرياضية .

« عن مجلة المجالات العربية »

« السنة السادسة »

بعد نادى المدارس العليا أنشئت أندية كثيرة نذكر أهمها وأشهرها :

١ — نادى التجارة العليا : تأسس بالقاهرة سنة ١٩١٨ . وغرضه تكوين رابطة بين أعضائه أساسها الإخاء والتضامن وترقية حالتهم علمياً وأدبياً ومالياً .

٢ — نادى الحقوق بالقاهرة : تأسس سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م وغرضه تكوين رابطة بين رجال القانون أساسها الإخاء والتعاون على ترقية حالتهم الأدبية والاجتماعية .

## — ٢٥٤ —

ووسائلها تسهيل الاجتماع في مكان لائق ، والقاء المحاضرات العلمية والأدبية ونشرها ، وبالجملة العمل على كل ما فيه نفعهم .

٣ — نادى خريجي مدرسة المحاسبة والتجارة المتوسطة .

٤ — النادى الزراعى .

٥ — نادى دار العلوم .

٦ — النادى الشرقى .

٧ — نادى الموسيقى الشرقى .

٨ — نادى الألعاب .

٩ — النادى الأهلى للرياضة البدنية .

١٠ — نادى محمد على ، وهو مؤسس من قديم ، وخاص بالعظماء

والأمراء وكبار رجال الدولة المصرية .

## ١١ — النادى المصرى ( بلندن )

النادى المصرى فى لندن من أجل الأندية يؤمه عدد عظيم من المصريين

ويساعد كثيراً فى حفظ سمعة مصر الأدبية فى الخارج .



— ٢٥٥ —

وقد كلف تأسيس النادي وفرشه وتوفير أسباب الراحة فيه أموالاً طائلة  
لكنها أموال أنفقت في سبيل إعلاء شأن المصريين في الخارج وإظهار الشبيبة  
المصرية مرفوعة الرأس ، موفورة الكرامة ، أمام شبان البلدان الأخرى

ويوجد به غرفة للمطالعة ، وضعت فيها الموائد والمقاعد في اليسار ، وفي الجهة  
اليمنى منها جزء من مكتبة النادي التى تحتوى على الكتب والمؤلفات المقيمة  
عن مصر والبلدان الخارجية ، ويقضى أعضاء النادي أكثر أوقاتهم فى هذه  
الغرفة لمطالعة أخبار الوطن العزيز والوقوف على سير الأحوال فيه . ويصل إلى  
النادى معظم الصحف والمجلات المصرية والخارجية

وقد فرش النادى على الطراز الحديث وبدا فى حلة جميلة ويعدونه من أفخر  
الأندية فى ( لندن )

« المصور رقم ١٠٦ »

« فى ٢٢ - ١٠ - ١٩٢٦ »

## ١٢ — نادى اتحاد الطلبة العام

إن فريقاً كبيراً من طلبة المدارس الثانوية والخصوصية والعليةا فكروا  
بمعاونة جماعة من الأساتذة فى تكوين نادٍ لهم بعنوان « نادى اتحاد الطلبة العام »

## - ٢٥٦ -

وجهته أدبية محضة ، فلا يتعرض للسياسة ، ولا يشتغل بها : وقد خصصت  
شعبة منه للأدب والتأليف ، وتسمى لجنة الكتاب ، وأخرى للتمثيل والموسيقى  
وتسمى لجنة الفنون الجميلة ، وثالثة للتعاون ومهمتها معاونة الطلبة الذين لا تمكنهم  
ظروفهم من مواصلة الدراسة

فأنعم بأغراض هذا النادي ، ووفق الله أعضائه لمسافيه النجاح والفلاح .

« الاهرام »

في أول مارس سنة ١٩٢٩

## واجبات المرء نحو الإنسانية

### المواساة

المواساة ، هي أن تخفف كرب الصديق وغيره بالتسلية والتعزية والنصح  
والهداية إلى وسائل الراحة والسرور :

« ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة

يواسيك أو يسليك أو يتوجع »

وذلك يقضى على المرء أن يحامل صديقه في ضرائه قبل سرائه ، وأن يصحبه  
في شقائه كما يصحبه في سعادته ، وأن يسعى جهده بمجاملة البائسين الذين هم دونه  
في أوقات شدتهم ومحنهم وغمهم ، وأن يظهر شعوره بمصيبة كل من يحيط به .  
وبذلك يخفف عنهم بعض همومهم ومصائبهم وبكلمة طيبة منه وسداد

## - ٢٥٧ -

نصحه وحكمة إرشاده يزيل ما بقى عندهم من ألم وهم .  
 فإذا رأيت معسراً فساعده بمالك ، أو مظلوماً فنصرته بجهاك ، أو  
 مكروباً فنفت كربه ، أو فقيراً فأحسنت إليه ، أو يتيماً فأحسنت تربته  
 كنت من أهل المؤاسة ، وصرت محبباً إلى قومك ، معظماً فيهم ، منشرح  
 الصدر ، مستريح القواد ، لتأدية الواجب الإنسانى ، وإرضاء رب العباد .  
 فمن قام بواجب المؤاسة نال الثناء الجميل ، والأجر الجزيل ، فضلاً عن  
 إرتياح نفسه ، وسرور قلبه ، وزوال ألمه النفسانى ، عند شعوره بشقاء غيره ،  
 ومواساته له .

ولما كان أحسن الأعمال ما كان خالصاً لوجه الله الكريم ، خالياً عن  
 كل غرض كبير أو صغير ، وأقدس الأمور ما كان فى صالح الإنسانية بصفة  
 عامة ، بتخفيف ويلاتها ، أو تفريج كربها ، ومساعدة المحتاجين والأرامل من  
 أبنائها ، وتعليم الفقراء النجباء ، وإيواء الأيتام ، وحماية المتشردين من الأحداث  
 المهملين الذين أحاطت بهم عوامل الفساد ، والذين إن تركوا جعلتهم الظروف  
 شراً ووبالاً على البلاد ، وخطراً جسيماً على العباد ، قامت فى مصر جمعية  
 برئاسة المنفور له حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ عبد العزيز جاويز بك  
 وتأسست فى ٤ ذى القعدة سنة ١٣٢٦ هـ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م بعنوان  
 ( جمعية المؤاسة الإسلامية العامة ) .

تلك طائفة من أعمال الجمعية المذكورة التى أوجدها الله منذ عشرين

( ١٧ - سمر رابع )

عاماً تسعى في خير الإنسانية ، وتدأب على إزالة شرورها ، وتقليل مصائبها .  
 ما استطاعت عاملة على إيجاد رابطة التعاطف والتراحم بين الفقراء والأغنياء ،  
 وقد تولى رياستها حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد علي البيلالوى نقيب  
 الأشراف بالديار المصرية وآلان سيادة عبد الحميد سليمان .  
 وقد تولى رعايتها ملك البلاد المحبوب ( فؤاد الأول ) رحمه الله .

## ذكر ما قيل في المؤاساة

### الآيات

قال الله تعالى : « وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِسْكُمْ » .  
 وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
 فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »  
 وقال تعالى : « وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ  
 يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »  
 وقال تعالى : « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا »

## الأحاديث

قال عليه الصلاة والسلام : اتخذوا لدى الفقراء أيادي فان لهم دولة عند الله يوم القيامة .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن حقاً على المؤمنين أن يتوجع بعضهم لبعض كما يألم الجسد للرأس .

### أقوال الحكماء والأدباء .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تصغرن هممكم فاني لم أر أقعده عن المكرمات من صغر المهم .

وقال ابن عائشة الفرشى : لولا أن المروءة صعب حملها لما ترك أصحاب اللؤم منها شيئاً .

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة ، فقال : صديق اللسان ، ومؤاساة الإخوان ، وذكر الله في كل مكان .

وقال بعض الحكماء : من المروءة أن يبذل الانسان لك ماله عند الحاجة ، ونفسه عند النكبة ، ويحفظك عند المغيب .

وقال بعض الشعراء :

« وأسعد العالم عند الله من ساعد الناس بفضل الجاه »

« ومن أغاث البائس الملهوفا أغاثه الله إذا أخيفاً »

## قصيدة في مدح المؤاساة

ألقاها في حفلة جمعية المؤاساة الاسلامية بدار (الأوبرا) الملكية في ٣  
رمضان سنة ١٣٤١ هـ - ١١ ابريل سنة ١٩٢٢ م الحاج محمد الهراوى افندى  
رئيس الحسابات والمستخدمين بدار الكتب المصرية .

« يا بنى مصر وما أدعو سوى      أمة في المجد تمضى دأبا »  
« إن للبرِّ عيلكم حقه      مثل ما للمجد حق وجبا »  
« هل أتاكم نبأ عن بأس      لم يزل يطوى الليالى سغبا »  
« وعزير ذل من بعد الغنى      عزه الميسور مهما طلبا »  
« ويتيم فاته كافله      فقد الأم صغيراً والأبا »  
« وأب مذ ضاق بالعيش يداً      ضاقت الدنيا عليه مذهبا »  
« وعجوز ثكلت واحداها      فالتوى السعى بها واضطربا »  
« وحصان في الخبا محجوبة      هتك البؤس عليها الحجبا »  
« ولقيط أنكرته أمه      لا لعار بل لعيش نصبا »  
« وطريد لا يعى ممابه      حين يمشى آتئى أم ذهبها »  
« ومعنى تحت أعباء الضنا      قد تخلى الناس عنه هربا »  
« وصريع غاله صرف الردى      لم يجد في الموت جحراً خربا »  
« هذه طائفة من بينكم      يا بنى مصر تذوق العطباً »

- ٢٦١ -

« انہا یامکری اُضیافکم لم تنل منکم نصیب الغربا »  
 « اُی عار یحمل النیل إذا هان قوم وهو یجری ذہباً »  
 « الحاج محمد الہراوی »

### امثال فی المؤاساة

١ - کان سیدنا عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ معروفاً بالین والرحمة والعطف، یواسی الفقراء، ویقضى حوائجهم، وكان یطوف بنفسه باللیل والناس نيام علیہ یجد مظلوماً فینصره، أو ضالاً فیرشده، أو جائعاً فیطعمه، أو یتیمًا فیؤوبه .

ومما یؤثر عنہ : أنه خرج ذات لیلۃ مع صاحبه أسلم، یطوف أنحاء المدینۃ کعادته، فرأى ناراً علی بعد، فقصدا إلیها، فوجدا امرأة جالسة توقد ناراً تحت قدرها وحو لها صبیبة یتکون .

فسألها عمر عن سبب بکائهم، فقالت : الجوع .

قال : وماذا فی القدر؟ قالت : ماء أعللهم به حتی یناموا .

فخرج من عندها وذهب إلی بیته فحمل دقیقاً وشمناً، وسار حتی وصل إلیهم، فوضع الدقیق والسمن فی القدر، وصار ینفخ علیها النار والدخان یتخلل لخیته حتی نضج الطعام، فوضع لهم وجلس یؤا کلهم ویلاطفهم حتی شبعوا وضحكوا وناموا .

٢ -- مات عامل فقير ذو أسرة كبيرة ، وليس فيها من يعولها ، فحملت  
الرأفة والرحمة جاره ، فكان ينفق على هذه الأسرة كما ينفق على أسرته ويراعى  
أطفالها كما يراعى أطفاله ، حتى بلغوا أشدهم وقدروا على الكسب ، فقاموا  
بواجبهم ، وشكروا لجارهم رأفته ومؤاساته لهم

٣-- اشتعلت النار في بيت بإحدى القرى ، وسدت المسالك على من فيه ،  
فلم يتيسر لهم الخروج منه ، فصعدوا على سطحه ، وأخذ الأطفال يبكون ،  
والنساء يصحن ، يطلبن النجدة والغوث ، والناس يحاولون إطفاء النار ولا  
يجرؤون على الدنو من البيت لانتفاذ من فيه .

فألهبت الرحمة صدر أحد الأغنياء الرحماء ، فتبرع بمائة دينار لمن ينقذ هذه  
الأسرة البائسة المسكينة ، فانهى لذلك شجاع باسل وخاطر بنفسه حتى أنقذها :  
فشكره الناس على عمله ، ونقده ذلك المحسن مائة دينار ، فأبى أخذها وقال :  
'كلانا فعل الواجب عليه ، أعطى هؤلاء الناس فتخفف آلامهم وتبهون  
مصائبهم ففعل واستحق الاثنان من الناس الثناء الجميل ، ومن الله الأجر  
الجزيل .

## الرحمة والعطف

الرحمة سرّ من الأسرار الإلهية أودعه الله في قلوب عباده يدفعهم به  
إلى عمل الخير والبرّ ، وينهاهم عن الغفلة والعسوة .



## - ٢٦٣ -

الرحمة هي الشعور بمصائب الغير، والميل إلى مساعدته وإسعافه ، وهي من الصفات الجليلة التي حثَّ الله عليها وأوجبها الشرع ، وجعل الطبع ، حتى إن الله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه فقال :

« إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ »  
وقال تعالى : « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ »

ووصف بها نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فقال :  
« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ (أُتْمِتُمْ) حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ »

وقال ﷺ : من لا يرحم لا يرحم . ارحموا ترحموا . واغفروا يغفر لكم .  
لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي .  
وقال عليه الصلاة والسلام : خاب عبد وخسر ، لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر .

وقال عليه الصلاة والسلام : لا يدخل الجنة إلا الرحيم .  
وقال عليه الصلاة والسلام : الراحون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .  
أما العطف أو العاطفة ، فهي الشفقة التي تحرك الإنسان لفعل الخير وتبعده عن ارتكاب الشر والأذى ، سواء للإنسان أو للحيوان .

— ٢٦٤ —

مثال من عطف سيدنا عمر ورحمته بالضعفاء المحتاجين

خرج سيدنا عمر بن الخطاب في سواد الليل فرآه طلحة ، فذهب عمر فدخل بيتاً ، ثم خرج ، ودخل بيتاً آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت ، فإذا به عجوز عمياء مقعدة فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى ، فقال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة ، لعثرات عمر تتبع .

فانظروا رحمكم الله كيف كان سيدنا عمر ، أمير المؤمنين رضى الله عنه ، يقوم بمصالح هذه المرأة العجوز وخدمتها ، ويحضر لها ما تحتاج إليه رحمة وشفقة بها ، فجزاه الله خير الجزاء .

### مثال آخر

روى أن عبد الرحمن بن عوف بينما هو يصلي في بيته ليلاً إذ جاءه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له عبد الرحمن : ما جاء بك يا أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟

فقال عمر : إن رفقة نزلوا في ناحية السوق خشيت عليهم سرقة المدينه ، فانطلق لنحرسهم ، فخرج معه عبد الرحمن حتى أتيا السوق ، فجلسا على حجر هناك يتحدثان ، ويمرسان القوم المسافرين .

فانظروا رحمكم الله إلى عطف سيدنا عمر حتى بالأجانب المسافرين في بلده .

## مثال من الشفقة بالإنسان

حكاية صلاح الدين مع المرأة التي خُطف ولدها

في زمن صلاح الدين الأيوبي كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدو فيسرقون منهم الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلاً رضيعاً له ثلاثة أشهر وساروا به حتى أتوا إلى خيمة السلطان وعرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه ويعطيهم ما أخذوه .

ولما فقدته أمه باتت حزينةً كثيفةً ، مستغيثة بالويل والثبور طول الليل حتى وصل خبرها إلى ملوكهم . فقالوا : إن صلاح الدين رحيم القلب ، وقد أذنّا لك في الخروج ، فأخرجى وأطلبه منه ، فإنه يردّه عليك فخرجت تستعيث إلى اليك (الحرس) فأخبرتهم بمسألتها فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان ، فلقيته وهو راكب ، وفي خدمته خلق عظيم فبكت بكاءً شديداً ، ومرغت وجهها في التراب فسأل عن قصتها فأخبروه فرق لها قلبه ، ودمعت عينه وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع في السوق ، فأمر برده ودفع ثمنه إلى المشتري ، وأخذ منه ، ولم يزل واقفاً حتى أحضر الطفل وسلم إليها ، فأخذته وبكت بكاءً شديداً وضمته إلى صدرها ، والناس ينظرون إليها ويبكون ، فأرضعته ساعة .

ثم أمر بها فحملت على فرس وألحقت بمعسكرهم مع طفلها .

فهذا مثل من شفقة صلاح الدين ورحمته ، وشهادة الأعداء له .

## الولد الشفيق

كان صبي حديث السن سائراً في بعض الأيام إلى المدرسة وقت الصباح  
بجد ونشاط وسرعة ، لأن المعلم أوصاه بالحضور في الوقت المعين للدراسة ، وكان  
منزله بعيداً عن المدرسة ، فحافظ على عدم مخالفة معلمه .

وبينا هو سائر إذ رأى رجلاً في الطريق ، تظهر عليه علامات الفقر وسوء  
الحال ، فوقف عنده برهة قليلة ، فطلب هذا المسكين منه إحساناً لأنه كان  
جائعاً جوعاً شديداً حيث لم يتناول شيئاً من الطعام منذ يومين فرق له قلب هذا  
الشاب النشط الحسن الخلق وأعطاه رغيفاً كان اشتراه لنفسه . ثم جدّ في  
السير نحو المدرسة بعد أن حرم نفسه من الطعام لأجل هذا الفقير الذي أضرّ به  
الجوع ، فدخل مكتبه ووجهه يابح عليه الفرح والسرور بما فعله من الإحسان ،  
وأدى دروس ذلك اليوم بنشاط لم يعهد فيه في سابق أيامه .

ولما رجع وقت المساء إلى المنزل قص على والدته ما فعله فضمته إليها وعانقته  
وشكرته على جميل فعله ، وقالت له : إن الولد الشفيق ، الرحيم القلب يودّه  
الناس ، ويحبونه حباً شديداً ، ومن اجتهد في العمل الصالح يسعد في الدنيا  
والآخرة .

## مثال من رحمة الحيوان بالحيوان

وليست الرحمة بخاصة بينى الإنسان ، فإن الحيوانات أيضا تتراحم ويواسى بعضها بعضاً .

فقد روى أن طائفة من علماء الأزهر كانوا يقطرون فى مساء رمضان على سطح بعض أروقة الجامع ، فغشيمهم هَرَّ ، فكانوا يلقون إليه من طعامهم المرة بعد المرة ، وهو فى كل مرة يغيب ، ثم لا يلبث أن يعود ، فإبرهم أمره ، وتبعوه ، وإذا به يلقى ما يأخذ من الطعام بين يدى سنور كبير أعمى فى بعض الخرابات ، فوقفوا حيارى ، ومجددوا الرب تعالى الذى رحم العالمين بإيجاد عاطفة الرحمة فى نفوسهم ، ولولاها لأصبح الكون خراباً ، ولكالت الحياة فيه عذاباً .

## الرفق بالضعيف

الرفق هو معاملة جميع الناس بالرأفة وابن الجانب ، والابتعاد عن القسوة والغلظة ، والعطف على البؤساء والضعفاء ، واستعمال الشفقة والرحمة مع جميع المخلوقات ، لافرق بين إنسان وحيوان ، وهو من دواعى الألفة والتواصل ، وسبب إلى السلام والوثام ، وعماد السعادة ، وأُس النظام ، ولذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ( وَأَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْفَقَابِ لَا تَنْفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ ) .

## — ٢٦٨ —

وقال رسول الله ﷺ : إن الله يحب الرفق في الأمر كله .  
 وقال عليه الصلاة والسلام : من أوتي حظه من الرفق فقد أوتي حظه من الدنيا والآخرة .  
 وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه .  
 وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه .  
 وقال أيضاً : إذا أحب الله أهل بيت أوصل إليهم الرفق .  
 وقال أيضاً : من يحرم الرفق يحرم الخير كله .  
 وقال بعض الحكماء : يدرك بالرفق واللفظ ما لا يدرك بالعنف ، ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته .  
 وقال بعض العقلاء : يد الرفق تجني ثمرة السلامة ، ويد الخرق تغرس شجرة الندامة .

وقال أبو الفتح البستي :

« ورافق الرفق في كل الأمور فلم يندم رفيق ولم يذمه إنسان »  
 « ولا يغرنك حظ جرّه خرق فالحرق هدم ورفق المرء بنيان »

وقال الفايضة الديباني :

« الرفق يمن ، والأناة سعادة فاستأن في رفق تلاق نجاحاً »

## — ٢٦٩ —

فاذا مررت في طريقك بأعمى أو عاجز أو كبير السن فساعده حتى يصل  
سالمًا إلى المكان الذي ينشده .

وإذا رأيت ضعيفاً فقيراً فواسه ، وارفق به ، وساعده بذلك .  
واعلم أن الإنسان في حياته عرضة لمصائب الزمن ، وتقلبات الحن ، فقد  
يصاب في جسمه ، أو في ماله ، أو في قوته ، فيصبح محتاجاً إلى من يعطف  
عليه ، ويرفق به .

### حكاية في فضل الرفق

حكى : أن رجلاً يدعى عامراً ، وكان والياً من قبل عمر بن الخطاب رضى  
الله عنه ، دخل عليه فوجده مستلقياً على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه ،  
فأنكر عليه ذلك .

فقال عمر رضى الله عنه : كيف أنت مع أهلك؟

قال : إذا دخلت سكنت الناطق .

فقال له عمر : اعتزل ، فإنك لا ترفق بأهلك فكيف بأمة محمد ﷺ .

## — ٢٧٠ —

### حقوق الحيوان وواجب الرفق به

الشعور بالرفق مع الغير لا ينحصر بين الإنسان والإنسان فقط ؛ بل علينا حقوق وواجبات نحو الحيوان غير الناطق الذى لا يستطيع التذمر والشكوى من صرامة معاملتنا له ؛ ولكنه يشعر بالألام والأوجاع مثلنا ، والرفق به واجب ، ودليل بلوغ الإنسانية فينا شأنًا راقياً .

وإذا كان من واجب الإنسان الشعور بالرفق مع من هو أقدر منه كان أخرى به الشعور به مع الضعفاء الذين لا يتمكنون من الدفاع عن كيانهم ، فإن الرفق بالضعيف دليل جمال النفس وشهامتها .

وبما أن الحيوان الأعجم أضعف منا فن واجبنا الاهتمام والرفق به .  
وبما أن الإنسان قد فضل على سائر الحيوان بما خص به من مزية العقل الذى يتصرف به فى جميع الأشياء ، فسخر الله له الحيوان ليعتد به فى منفعته وقضاء لوازمه وركوبه ، وأوجده ليتخذ قوته من ألبانه ولحومه ، ويصنع من أصوافه وأوباره ملابسه وأغطيته وفرشه .

ومن حيث إننا نرى بأبصارنا أننا نحظى منه كل هذه الفوائد العظيمة والمنافع الكثيرة ، فن الواجب علينا أن نرفق به ونشفق عليه ، فلا نحمله مالا يطيق ، ولا نعذبه بالضرب أو الجوع أو العطش ، وألا نتمل بخلقته ، فلا نقطع أذنا به أو آذانه ، أو أى عضو من أعضائه ، لأن ذلك قد حرمه علينا الدين ونهانا عنه سيد المرسلين ، حيث قال عليه الصلاة والسلام :



## - ٢٧١ -

من مثل بحیوان (أى غیر خلقه) فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وقال عليه الصلاة والسلام : من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة .

وقال عليه الصلاة والسلام : اتقوا الله فى البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة ، ( اركبوها صالحة ) أى اعلفوها وأربحوها حتى إذا ركبتموها وجدتموها صالحة للركوب ، وجديرة أن توصلكم إلى حيث تفقدون . وقوله : ( وكلوها صالحة ) أى أحسنوا خدمتها وتعهدوها بالعلف واترى وخصب المرعى فتسمن وتصلح للأكل .

وقال أيضاً : إذا ركبتم الدواب فأعطوها حقها من المنازل ولا تكونوا عليها شياطين .

أى انزلوا عنها وأربحوها فى الطريق المرة بعد المرة ، ولا تلزموا ظهورها حتى تتعبوها وتنهكوا قواها ، فتكونوا شياطين ، وكل مؤذ شيطان . وأبلغ ما قيل فى الخس على الرفق بالحيونات ، وعرفان قيمتها ، وشكر الله على الإناعام بها قوله تعالى :

«وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَنِيِّ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ .

## - ٢٧٢ -

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »  
 فيجب علينا أن نتبع أمر الله ورسوله ، وما يطلبه منا من العدل والرأفة فنشفق  
 عليه ، ونعطيه ما يحتاج إليه ، من الماء كل والمشارب ، حتى نحفظ ذلك الجميل ،  
 ونقضى عليه مصالحنا .

فضلاً عن أن معاملتنا الحيوان بالرفق تزيد انتفاعنا منها ، فالخلاب من  
 الحيوان يزداد بالرفق حليبه ، والخيول والبغال والحير والإبل يزداد نشاطها ،  
 والجاموس والبقر والمعز والغنم تزداد لحومها وينمو صوفها ووبرها .  
 والقانون المصري يحمي أنواع الحيوان ولا يعتبرها مجرد آلات بدليل أنه  
 يحظر على الفلاح أن يفسد على دوابه .

### منشأ جمعية الرفق بالحيوان

حدثنا التاريخ عن أمير المؤمنين ( المعتصم ) أحد خلفاء الدولة العباسية أنه  
 رأى ذات يوم وهو على جواده كلباً مكسور الساقين يلهث من شدة العطش ،  
 فدفعه الرفق بالحيوان إلى النزول عن جواده فنزل وصار يغترف بيديه من النهر  
 ويسقيه ، حتى حرك الحيوان ذنبه شكراً له على برّه بعد أن أروى ظمأه .

## - ٢٧٣ -

ومما عاد إلى عاصمة ملكه جمع الأمراء والأغنياء وأنف تحت رعايته  
 (جمعية الرفق بالحيوان) لأول مرة في التاريخ .  
 وقد تأسست بمصر من عهد طويل جمعية الرفق بالحيوان ولها عربات  
 خاصة لنقل الحيوان المصاب بعلاجه بالمستشفى المعد لهذا الغرض ، وهي الآن  
 ذكرها :

### جمعية الرفق بالحيوانات بالقطر المصري

ابتدأت هذه الجمعية في سنة ١٨٩٤ وسارت في أعمالها حسب قرار وزارة  
 الداخلية الذي حرر لصالحها كي تغلب على مشكلة القسوة نحو الحيوانات بالقطر  
 المصري .

وقبل سريان هذا القرار كان فقراء الأهالي وجههم لا يشعرون بأن  
 للحيوانات حقوقاً من العناية ، وزيادة الرفق بها .

وكانت الحيوانات إذ ذاك عرضة للتعذيب ، وسوء المعاملة الدائم ، وكان من  
 المستحيل إحداث أى تحسين لحالها نظراً لخلو القانون من مثل هذه المسائل .  
 وكان غرض الجمعية من عهد نشأتها - اتسكالا على محبي الحيوانات -  
 السعى في تعليم كيفية العناية والرفق بالحيوانات .

والغرض الأصلي للجمعية هو تخليص الحيوانات البكاء التي ترى غالباً في  
 شوارع القاهرة بحالة تألم . ثم إن سبب هذه الآلام هو على الأكثر جهل  
 ( ١٨ - سمر رابع )

— ٣٧٤ —

المالك أو السواق ؛ إلا أن الجمعية تجتهد في الأحوال التي من هذا النوع حال مباشرتها في معالجة الحيوانات بإعطاء المالك أو السواق التعليمات اللازمة بزيادة المراقبة والرفق في المستقبل .

وإذا كان الألم مسبباً عن تعذيب الحيوانات بغير موجب بواسطة السواق أو المالك ، فالجمعية تباشر معالجة الحيوان ، وتعاقب السواق أو المالك بحسب قدر الجريمة .

---

## حكايات وأمثلة في الرفق بالحيوانات

١ - قيل : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً مع بعض أصحابه فجاءت حمامة ترفرف فوق رأسه منزوعة خائفة ، فقال لأصحابه : من آذى هذه الحمامة ؟

قال أحدهم : أنا أخذت بيضها .

فأمره الرسول برده إلى مكانه شفقة عليها .

٢ - ورأى مرة قطرة عطشى ، فأمال إليها الإناء بيده الشريفة حتى شربت وانصرفت .

٣ - وروى أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كانت في سفر مع رسول الله ﷺ فركبت بعيراً وفيه صعوبة ، فجعلت تردده وتأمر بضربه ، فقال لها رسول الله : يا عائشة عليك بالرفق .

٤ - وربط الزمخشري (أحد كبار العلماء) وهو صغير ، رجل عصفور بحيط طويل ، وأخذ يلعب به حتى قطع رجله ؛ فلما كبر سافر إلى بعض البلاد الباردة فأصاب رجله برد شديد فتلفت وقطعت ، فقال بذلك سوء معاملته للعصفور .

## مثال من الرفق بالحيوان

بلغ الإمام أحمد بن حنبل أن رجلاً وراء النهر يروى أحاديث ثلاثية  
فرحل الإمام أحمد إليه ، فلما ورد عليه وجده يطعم كلباً ، فسلم عليه الإمام أحمد  
رضي الله عنه ، فرد عليه السلام ، ثم اشتغل بإطعام الكلب ولم يقبل على  
الإمام ، فوجد الإمام أحمد في نفسه شيئاً إذ أقبل الرجل على الكلب ولم  
يلتفت إليه

فلما فرغ الرجل من إطعام الكلب التفت إلى الإمام وقال : لعلك وجدت  
في نفسك شيئاً إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك ؟ قال : نعم .

فقال : حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي  
ﷺ قال : من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلن يلج الجنة .  
ثم قال الرجل : أرضنا هذه ليست بها كلاب ، وقد قصدني هذا الكلب  
فخفت أن أقطع رجاءه .

فقال الإمام أحمد يكفيني هذا الحديث ثم رجع .  
يستخلص من هذه الحكاية مقدار الرفق بالحيوان ، وأنه إذا قصد  
حيوان إنساناً ، فعليه أن يعطيه شيئاً ولا يؤذيه .

## الشفقة بالحيوان

رأى المغفور له ابراهيم (باشا) خديوى مصر سابقاً يوماً حماراً يأكل وائى جانبه حماره ، وعلى ظهر الحمار حمل ثقيل .

فقال ابراهيم (باشا) للحمار : كم يأكل حمارك كل يوم ؟ قال : ثلاث أقات شعير .

فأمر ، فأتى بالشعير ووضع فى معلق الحمار ؛ ثم قال لمن حوله : ضعوا هذا الحمل على ظهر صاحبه . ففعلوا ، فأخذ الحمار يستغيث من ثقل ذلك الحمل .

فقال له ابراهيم (باشا) : لأ تركنك فى هذه الحال حتى ينتهى الحمار من أكله ، فإنك كما جازيت تجازى .  
فالواجب الرفق بالحيوان .

## إذا أردت أن لا تؤذى فلا تفعل الأذى

كان صبي شرير ، قاسى القلب ، من عادته أن يخرج الطيور من أعشاشها ، ويقفأ عيون بعضها ، فرحاً مسروراً ، وكانت أمه كثيراً ما تنهاه عن ذلك وتوبخه قائلة له :

أيها الولد الشقى ، اسمع نصيحتى واعمل بها ، وهى أن تبعد عن هذه الشقاوة ، ولا تؤذى الطيور فى أوكارها وتب إلى الله وإلا حلت بك عقوبته فكان الصبي الشقى يضحك سرّاً من إنذار والدته الصالحة ويزداد قسوة .

ففي يوم من الأيام انطلق إلى الغابة ، وصعد على شجرة عالية كبيرة جداً ،  
وأخذ يبحث فيها عن عش فيه طيور صغيرة ، وخطف من العش فرخاً وألقاه إلى  
الأرض بعنف وشدة .

فلما أراد أن يأخذ الطيور الصغيرة الأخرى ، وإذا بأبيها وأُمها اللذين كانا  
من الطيور الجارحة الخفيفة هجما عليه ، وفقاً عينيه بمنقاريهما فسقط على الأرض  
مغشياً عليه ، ومات غير مأسوف عليه .

ولقد صدق من قال : إذا أردت أن لا تؤذى ، فلا تفعل الأذى .

### عبد الله والعصفور

خرج عبد الله يوماً للتنزه في حديقة بيته ، فرأى عُشاً على رأس شجرة  
عالية وفيه عصفائر صغيرة تشعشق . ولما سمع صوتها أراد أن يأخذ واحداً منها ، فصعد  
في سلم على الشجرة حتى وصل إلى العش ومدَّ يده إليها فصاحت العصفائر خوفاً  
وفزعاً ، ولسكن قلبه ما رقَّ لحالها ، بل أخذ منها واحداً ونزل به وهو يسمع  
صراخ العصفائر الأخرى كأنها تبكي على فراقه ، وأخذ يقلبه ويلعب به ، ولم  
يعلم ما يقاسيه من الألم والحزن على فراق أهله ، بل صار مسرعاً والعصفور بين  
يديه يصيح ويتلوى ويضرب بجناحيه ولا مغيث يغيثه .

قابل عبد الله أباه في البيت وأراد العصفور ، فأخذه الرجل في يده وقال :

هذا عصفور جميل يا عبد الله من أين جئت به ؟



## — ٢٧٩ —

فقال الولد : وجدته في عش في الحديقة مع أهله فصعدت على الشجرة وأخذته .

فقال الأب : كيف تكون حالك لو خطفك رجل من البيت وذهب بك إلى حيث شاء ؟

قال الولد : أكون في غاية الحزن والألم من فراق أهلي فلا يهتأ لي عيش ما دمت بعيداً عنهم .

فقال الوالد : وما بالك خطفت العصفور من بين أهله ، هل بلغت هذا الحد من الظلم والتساوة ؟  
فأدرك الولد أنه صنع شراً وأمر الخادم أن يرد العصفور إلى أهله .

### لا تُسَيء معاملة الحيوان

إن صبيّاً كان ذا حماسة يفرح بإساءته إلى إوز المنزل ، وكثيراً ما سأله الناس عن سبب ضربه وإساءته لهذه الطيور من غير جنابة صدرت منه فيقول : لأنها أحق الحيوانات ، حيث تصرخ وتضطرب لأقل حركة .

فاتفق ذات ليلة أن تسوّر بعض اللصوص حائط المنزل وقتلوا الكلب الذي كان يخفر المنزل لئلا ينبحهم ، وأخذ اللصوص في كسر الأقفال ولم يشعر أحد من أهل البيت بهذا الخطر الملم بهم ، حيث كانوا غارقين في بحار النوم ،

## — ٢٨٠ —

فأحسَّ الإوز بفعل اللصوص نخفة سمعه ، فصرخ ورفرف بأجنحته ، فاستيقظ أهل المنزل ، وهزَّ اللصوص ، ونجوا بأنفسهم ولم يتمكنوا من أخذ شيء من متاع البيت .

فلما استيقظ الصبي في الصباح قيل له : انظر إلى سوء اعتقادك في حماقة الإوز ، حيث قلت : إنه يفزع ويضطرب لأقل حركة ، فلو لم يفعل بالأشياء ما فعل ، لحاق بنا الخطر ، ووقعنا في المسكروه والضرر ، فنجل الصبي وعاد على نفسه بالأمّة وقال : سأستبدل تأديب الإوز بتأديب نفسي ، فلا أسى إلى الحيوانات الداجنة ما دمت حيًّا .

### لا تؤذ الهرّ فإنه نافع وغير مضرّ

كان لطفل هرّ وكان يؤذيه كثيراً ، فتسارعت يده ببطء بخيط غليظ ويديه من أعلى البيت ، وتارةً يعذبه بسحبه على الأرض ، وكان من هذه الهرّ أن ينام بقرب فراش الطفل .

ففي إحدى الليالي رأى الهرّ ثعباناً يزحف بجانب الفراش ، فوثب عليه وجعل ينهشه بأسنانه وأظفاره ، فتنبه الولد على فجيج الأفعى وحركة الهرّ فصاح منزعياً ، فحضر والداه وهذا روعه ، وقالوا له : انظر فائدة الهرّ الذي تؤذيه كيف منع عنك شر هذا الثعبان الخبيث ؟

فسرّ الطفل من الهرّ ، وصار يحبه ويكرمه ويرفق به ، وبحث عنه إذا لم يره في المنزل .

## الغلام والقط

دخل غلام غرفة فتبعه قط ، فلما رآه بادر إلى الباب وأغلقه ، وأخذ يعدو وراء القط بالمصا والقط يموء ويقفز قفزات عظيمة حتى كسر بعض أدوات الغرفة من آنية وغيرها .

فاهتاج الغلام واغتاظ ، وغضب وزجر ، وجعل يضرب القط بلا رحمة ولا شفقة ، فتألم القط كثيراً ولم يجد مفرأ ، فاستجمع قوته ووثب على الغلام بشدة ففقا إحدى عينيه وجرح وجهه جروحاً بالغة .

فأسرع الغلام إلى الباب وفتحه مستغيثاً ؛ ففر القط ونجا ، وبقي الغلام قبيح المنظر ، مشوه الوجه طول حياته ، وعرف أن الظلم يجلب لصاحبه البلاء ، ويوقعه في البؤس والشقاء ، حمدانا الله وإياكم منه .

## الحذر من تعذيب الحيوانات الخرس

كان لرجل سبعة أولاد بُكْمٌ لا يتكلمون ، فكان يحزن كثيراً لما يرى كل الناس تتكلم إلا بنيه ، وأحياناً كان يتذمر ويقول : لماذا يا إلهي خلقتهم بُكْمًا ؟ ! لك في ذلك حكمة .

فجاء مرة مع أولاده إلى دار رجل ( سويسرى ) عنده كثير من اللب

## - ٢٨٢ -

والجن ، وأراد أن يشتري قليلاً من الحليب ، فلما رأى الرجل ( السويسرى ) الأولاد السبعة بصحة كاملة كالغزلان ؛ ولكنهم خرس أسف كثيراً ، وقال لوالدهم : إني أعرفك يا صاحبي من الصغر ، وأتذكر أنك كنت تمسك العصافير وتقطع ألسنتها وتتركها تطير ، وكلمة نهيتك عن هذا الفعل القبيح ، وأنت لم تقبل نصيحتي ، فإله أرسل لك سبع بنين بكنماً جزاء خطيئتك ، إذ عذبت تلك الحيوانات الصغار بدون شفقة ، فطارت العصافير ، وشكت أمرها إلى الله ، فسكان الجزء من جنس العمل ، أى أنك لما حرمت العصافير أن تنطق وتصبح خالقها حرم الله أولادك نعمة النطق ، فلا تسمع من أفواههم كلمة ( يا أبى ) فالحذر الحذر من تعذيب الحيوانات الخرس .

### أنجحت كلباً من الغرق فنجأها الله من الموت

كانت سيدة يوماً تتنزه على نهر صغير ، فرأت هناك زمرة من الأولاد الأتقياء يحرقون كلباً صغيراً لطرحه فى الماء وإغراقه ، فحنت عليه ورأفت به ، واشترته منهم ، وأخذته إلى قصرها ، فألف الكلب صاحبته ولم يتركها دقيقة واحدة .

ففى ذات ليلة ، حينما دخلت السيدة فى غرفتها لتنام وتستريح ، أتى الكلب ليرقد تحت السرير ، فطنق يعوى ، فأخذت السيدة المصباح وتطلعت

## - ٢٨٣ -

إلى ما تحت السرير ، فأبصرت رجلاً ذا هيئة وحشية ، وكان لصاً كبيراً قد اختفى ليقْتلها ويسرقها ، فعند رؤيتها هذا المنظر البشع صرخت المسكينة صراخاً شديداً لتستغيث ، فأسرع جميع السكان إليها ، وقبضوا على اللص وأسلموه إلى الحكومة . وقد اعترف بجريمته ، بأنه كان في نيته أن يقتل السيدة وينهب القصر ، فحكمت عليه حكماً قاسياً ، فتضرعت السيدة إلى الله بالحمد والشكر على نجاتها .

وقالت : إن الله نجاني من الموت بسبب هذا الكلب الذي نجيتني من الغرق .

فالأوجب الرفق بالحيوان ، لأنه مفيد للإنسان .

### الملاجئ

الملاجئ هي أما كن فسيحة صحية أقامها الموسرون وأولو البر والإحسان في بلادهم ، ليأوي إليها المعدمون والعجزة وأبناء السبيل ، حيث يجدون فيها ما يطفى حرارة جوعهم ، وما يقيهم لفتح الشمس ونفح البرد ، فضلاً عن القيام بعمل يناسب كلاً منهم ، ينسى به همومه ، ويقضى به زمنه ، ويتعد عن وصمة العطالة والبطالة .

فقد أصبح الإنسان أينما مرّ بطريق أو شارع ووجه نظره رأى بانساً أو

## — ٢٨٤ —

عاطلا ، وإذا جلس بقهوة أو حانوت أو ركب مركبة أو ( تراماً ) مرت به أسراب المعوزين والسائلين ، وهؤلاء كلهم أعضاء في جسم الأمة .

فالواجب الإنسانى يقضى على كل إنسان ألاّ يترك هذه الأعضاء يصيبها الشال ، ويقعد بها إلى الضعف عن أداء وظيفتها في الهيئة الاجتماعية ، بل تجب العناية بهم ، وتشديد الملاجئ التي تؤويهم ، وتقوم بتعليمهم ما ينفعهم من العلوم والحرف ، حتى يستطيعوا أن ينفعوا أنفسهم وأمتهم عوضاً عن أن يكونوا عالة وخطراً يهدد سلامتها .

فقد يبلغ هؤلاء المعوزين الجوع ، وتضطربهم الحاجة إلى الإخلال بالأمن العام ، وارتكاب الجرائم والسرقات .

ولا وسيلة لنفعهم وردّ أخطارهم سوى إقامة الملاجئ والعمل على انتشارها ، وإليك أسماء بعض الملاجئ التي أسست بمصر وذكر كلمة عن بعضها :

### ١ - الملاجئ التابعة لوزارة الأوقاف

لوزارة الأوقاف ملجأ طره ، وملجأ القبارى ، لإيواء الفقراء العاجزين عن التكسب وليس لهم من يعولهم .

و ( تسكية ) السكشنى بشارع تمت الربع ، و ( تسكية ) محمد بك أبى الذهب بجى الأزهر ، وهما معدنان اسكنى طلبة العلم من الغرباء ويتعاطى بعضهم مرتبات اسد عوزهم .

— ٢٨٥ —

و ( تكية ) مكة المكرمة ، و ( تكية ) المدينة النورة وهاتان ( التكيستان )  
يقدمان الأطعمة للفقراء في هاتين البلدين ويتضاعف عملهما في موسم الحج

### ٣ — جمعية الملاجىء العباسية

بمدينة الاسكندرية

تأسست جمعية الملاجىء العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية في ٢١  
رمضان سنة ١٣٢٣ وانتظم في سلكها نخبة من أعيان الثغروكثير من وجوه القطر  
بعد ما عرفوا أن صاحب الدعوة في هذا العمل الحميد هو رجل المروءة والهمة  
ورب الأيادى الطولى في المشروعات الخيرية ألا وهو سعادة المفضل  
الهام خليل حماده

والغرض من تأسيس هذه الجمعية أمران : الأول ، إنشاء الملاجىء في  
عواصم القطر للعجزة من أبناء البلاد وللأطفال المشردين من اليتيم في كل وادٍ .  
والثانى ، تعميم الوعظ والإرشاد واختيار الأكفاء الذين يعرفون كيف يأمر  
الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، ويعلمون كيف يقومون بهذه المهمة الدينية  
في القرى والعواصم ، حتى تكون الفائدة عامة ، والهداية منهم تامة

## خطبة لتلاميذ يتيم تدل على فوائد الملجأ

هذه هي الخطبة التي ألقاها أحد تلاميذ الملجأ العباسي في ليلة ٢٢ رمضان سنة ١٣٢٣ في الحلقة التي أقيمت بدار الصناعة لأبناء (شياي الجمارك) وكان عن يمينه يتيمان أحدهما أصغر من الآخر فقال :

ولدت أنا وأخوأي هذان من أبوين فقيرين ، وكان أبي رحمه الله حمالاً في تفرغ الفحوم ، ومات بشعر بور سعيد ، ولم يكن ربحه يتجاوز الستة قروش تنفق على خمسة أنفس فكان الدهر لم يكتف باصابتنا بهذا الفقر المدقع حتى اختطف الموت أبانا .

فتكفلت بنا المسكينة أمنا ولم يمض علينا إلا ثلاثة أشهر حتى فقدنا أمنا التي قضى عليها الحزن والمشقة من القيام بشئوننا ، فأصبحنا ولا مأوى لنا ولا معين ، نتوجع من الجوع واليتم ، ونذوق علقم الفقر على حالة أعيد أولادكم منها ، فكفلتنا خالة لنا ، حفظها الله مع أولادها الأربعة وكانت حرفة زوجها وكسبه كحرفة المرحوم أبي (شياي فحم) فلما سمعت خالتنا ، كافأها الله ، بأمر الملجأ العباسي ، عرضت أمرنا على إدارته ، فقبلتنا وأقعدتنا من سبيء حالنا .

ومن المصائب التي تهدد اليتيم المسكين - ومصائبه حمة - ما أصابني بعد وفاة والدتنا ، ذلك أني دخلت بمنزل جارة لخالتنا وكانت واضحة قدراً فيها



## - ٢٨٧ -

ماء يغلى على تنور ، فعترت به ، ووقعت على القدر بذراعى فاختلف جلد  
 بعظمه ، وصار كالشواء ، فانتشلونى فاقد الإحساس والشعور وضمد جرحى على  
 فساد ، واشتبك لحم الذراع بالساعد ، وصار ذراعى هكذا معطلاً عن الحركة ،  
 فلما دخلت الملجأ رأيت إدارته أنى صرت عاجزاً فاستشارت الأطباء عما إذا كان  
 يمكن إصلاح ذراعى بعملية جراحية فقالوا بإمكان ذلك ، فأرسلتنى الإدارة  
 إلى المستشفى وعملت لى العملية فنجحت والحمد لله ، وأصبح ذراعى كما كان ،  
 وهما هى آثار تلك الحادثة الحزنة التى كادت أن تفضى إلى عجزى لم تزل  
 حاضرة ، وهأنذا فرح مسرور بإنقاذى من العجز ، وهماى أعمالى وصناعتى  
 أنشرف بعرضها على حضراتكم ، وقد عوفيت والحمد لله من العجز ووجدت  
 سداً من عوز واستعصت بشفقة الأبوين حنان ولى النعم ورحمته بالتجأى إلى  
 هذا الملجأ « المؤيد فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٠٥ »

### المستشفيات

إن الفقراء لما جزون عن القيام بنفقات الأطباء ، وإن قدروا عليها فهم لا  
 يقدررون على اتخاذ الوسائل التى يرشدونهم إليها ، من إحضار الأدوية وسكنى  
 الأماكن الطلقة الهواء ، الخالية من الروائح الكريهة ، وغيرها مما يؤلم الجسم  
 ويضعفه .

لذلك كان من أكبر النعم عليهم وعلى الأمة وجود المستشفيات التي ترشد ضالهم ، وتدل حائرهم ، وتداوى مرضاهم ، مع القيام بكل ما يحتاجون إليه من أكل وشرب ولباس وسكنى ، حتى يتمكنوا من مواصلة أعمالهم بكل نشاط وسرور .

وقد تحدث الحوادث فجأة كداهمة قطار أو ( ترام ) أو سيارة ، أو سقوط حائط قديم أو اعتلال صحة ، أو غير ذلك من الحوادث التي تضر بصحة الإنسان فيكون الملجأ والقصد هو المستشفيات الخيرية التي يسرع عملها باتخاذ الإسعافات الناجعة ، والوسائل النافعة .

وإن ذلك لمن أجل الفوائد التي تقدمها المستشفيات للأمة .

وكما أن الفقير محتاج إليها ، فالغنى كذلك ؛ لأن النظام التام ، واختيار الأماكن الصحية ، ووجود المعدات اللازمة مع العناية والاهتمام ، كل ذلك لا يتيسر إلا في المستشفيات ، فإن أطباء المستشفيات ، يعودون المريض كثيراً ، وهم أطباء مهرة عارفون بالحقوق والواجبات التي يؤدونها للمريض ويقدمونها نحوه ، بخلاف غيرهم فإنهم يطلبون باهظ الأجر لرؤية المريض مرة أو مرتين ، وإذا ذهب المريض إليهم فقله لا يخلو من صعوبة ، وربما زاد مرضه من ذلك أو استعصى شفاؤه .

وبعض الأطباء أعد للمرضى أماكن في محل عيادته ليتمكن من مباشرتهم ورؤيتهم ، ولكن ذلك لا يعادل المستشفيات الخيرية ، فإن بها بدل الطبيب

أعطاه ، وبذل الممرض ( التورجى ) عدداً ليس بالقليل ونفقاتها لا تكاد تذكر  
لزهادتها ، والفقير لا يكلف بها لأنه يعالج مجاناً .

وبعد هذا وذلك ، فإن العمال الذين يقومون بأمر المستشفيات من كبيرهم  
إلى صغيرهم ينتفعون بما ينقدون من مرتباتهم فيفيدون ويستفيدون  
لذلك كله عنى أغنياء الأمم وسرراتها بالتبرع بجزء من أموالهم لإقامة المستشفيات  
الخيرية لما لها من جليل النفع وعظيم الفائدة .

والمستشفيات عماد الأمة فى زمن الحرب ، واعتمادها عليها وقت الضراب  
والقتل ، فكم من جريح آوته وأسعفته ، وكم من مصاب أغاثته وشفته ، ثم  
عاد إلى القتال ، والضرب والنضال ، فهى الساعد الأكبر فى السلم والحرب ،  
جزى الله القائمين بها خيراً .

هذا وإنه ليسرنا أن حضرة صاحب الجلالة ملك البلاد الملك فؤاد الأول  
— رحمه الله — مهم جد الاهتمام بإنشاء المستشفيات ونشرها فى أنحاء القطر المصرى ،  
وهذا مما يسجل له التاريخ به الفخر ويعود على أمته بالخير والسعادة .

وإليك أسماء المستشفيات التى أقامتها الحكومة وغيرها من المستشفيات  
الخيرية التى شيدها أولو البر والإحسان

## ١ — المستشفيات الأميرية التابعة لمصلحة الصحة العمومية

١ — مستشفى قصر العيني ( القريب من منيل الروضة ) تعالج فيه الأمراض الجراحية والباطنية والرمدية لمرضى الوطنيين ولفقراء الأجانب ، ويمكن للمرضى أن يحضروا العيادة الخارجية في كل يوم الساعة ٨ صباحاً ما عدا أيام الجمع والأعياد ، يفرض على من يعالجون داخل المستشفى رسوم حسب اقتدارهم ، أما الذين يعالجون خارجه فمليهم أن يحضروا معهم الزجاجة وغيرها للدواء الذى يوصف لهم .

٢ — مستشفى الحيات — العفنة — المعدية يوجد بالعباسية ويقبل فيه المرضى بناء على كل طلب يقدم إلى مصلحة الصحة ، وعند الطلب ترسل مصلحة الصحة نقالات لنقل المرضى مجاناً إلى المستشفى المذكور .

٣ — مستشفى المجاذيب فى العباسية — لمعالجة الأمراض العقلية — ويقبل المرضى الوطنيين بشرط تقديم شهادات وافية من طبيبين ، ورسوم المعالجة تختلف من ٤ قروش إلى أربعين قرشاً صباحاً يومياً حسب الدرجة التى يراد إقامة المريض بها .

وكذلك يقبل المستشفى عدداً معيناً من مرضى الأجانب بشرط أن يقدموا شهادات مخصوصة مصدقاً عليها من القنصل الذى ينتمون إليه ، وصور الشهادات للوطنيين والأجانب تطلب من مصلحة الصحة العمومية .

## - ٣٩١ -

و يوجد أيضاً مستشفى آخر بمجه ( الخانكة ) التابعة لمديرية القليوبية وهي تبعد عن القاهرة بنحو ١٥ ميلاً .

٤ - مستشفيات دائمة للرمد بطنطا والمنصورة وأسيوط . وهي نتيجة التبرعات التي جاد بها الأعيان الوطنيون .

٥ - مستشفيات متنقلة خاصة بالرمد ، ومستشفى بقلوب أنشئ على نفقة المرحوم الشواربي ( باشا ) .

٦ - مستشفيات بالقاهرة والاسكندرية وطنطا والمنصورة وقايوب عدا أحد عشر مستشفى متنقلاً لمعالجة مرضى الانكيلاوستاما ( والبلهارسيا ) البول الدموي الكثيري الانتشار في القطر المصري وخصوصاً بين أهل الطبقة الفقيرة من السكان . والمرضى يعالجون بهؤلاء المستشفيات مجاناً كمرضى لعيادة خارجية . ويوجد بها أسرة لراحة المرضى بعد تناول الأدوية إذا استدعت حالتهم ذلك .

### مستشفى الأميرة فوقية الرمدي

#### بروض الفرج

في يوم ٤ مايو سنة ١٩٢٩ تفضل حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول (ملك مصر) بزيارة مستشفى الرمد بروض الفرج وافتتح أعماله رسمياً وقد تعطف جلالته بأن قبل أن يدعى هذا المستشفى ( مستشفى الأميرة فوقية الرمدي الأميري ) .

## — ٢٩٢ —

وهذا المستشفى أكبر مستشفى رمدي في القطر أنشأته مصلحة الصحة في  
حي روض الفرج بالقاهرة ، إذ أنه يحتوى على مائة وستة أسرة . وقد استوفيت  
فيه كافة وسائل العلاج والفحص بأحدث الأجهزة الرمدية فضلاً عن اشتراكه  
على قسم كبير خاص بعلاج المرضى المترددين على عيادته الخارجية .  
وهذا المستشفى كغيره من مستشفيات الرمد يقوم بمعالجة الفقراء مجاناً .

### مستشفيات وزارة الأوقاف

لوزارة الأوقاف عدة مستشفيات منها :

- ١ - مستشفى الملك ، ويعالج به جميع الأمراض ، وفيه قسم خاص بالتوليد  
وإسعاف الحاملات بالخارج .
- ٢ - مستشفى قلاوون - وهو خاص بأمراض العيون و به قسم داخلي .
- ٣ - مستشفى الأزهر .
- ٤ - مستشفى فؤاد .

### مستشفى قلاوون

إن مستشفى قلاوون في القاهرة المعروف عند الوطنيين باسم ( بيارستان )  
قد شيده ( منصور قلاوون ) أول سلطان لأسرة البحارة المالك .

وقلاوون هذا أسس حسب التقاليد التي كانت مرعية في ذلك الوقت - الجامع المسمى باسمه والمدرسة وقبره ، وهذا المستشفى يوجد في حارة بين القصرين ، ويلقب اليوم بشارع النحاسين . وقد كان نذره نذراً في شبابه بعد ما أصيب بمرض خطير . وقد بُدئ في بناء هذا المستشفى في سنة ١٢٨٤ وتم في سنة ١٢٨٥ وبعد افتتاحه بأيام قليلة أعلن أنه يقبل فيه كل إنسان ذكراً كان أو أنثى مصاب بأي نوع من الأمراض ، ولقلة الطرق الفنية في المعالجة كانوا يعنون بإرضاء أولئك المساكين بحسن المعاملة ، وكانوا يعلنون صلاة الصبح بجامع المستشفى المذكور قبل جوامع القاهرة بساعتين ، وذلك ليتعزى المصابون بمرض الأرق بمحاول الصبح مبكراً ؛ لكن رئيس أطباء غزوة بونا برت على مصر المسمى ( واجنيت ) ذكر في بيان قدمه إلى ديوان العلماء في مصر عن حال هذا المستشفى الذي يرثى لها ، وبعد ما برح الفرنسيون مصر كان هذا المستشفى قد قصر عنايته في عهد المماليك أيضاً على المصابين بالرمد والجنون إلى أن تولى إسماعيل ( باشا ) الأريكة الخديوية فأبعد عنه المجاذيب إلى بولاق أولاً ثم إلى العباسية بعد ذلك .

ومن وقتها تخصص هذا المستشفى للمصابين بداء الرمد .

## كلمة

### على المستشفيات الخيرية

إن رجل الخير يذكره الناس بالخير ، والعمل النافع يذكر بكل عمل مفيد نافع .

فإذا ذكرنا المدارس والملاجئ وسواها من أعمال البر والإحسان فإننا نذكر المستشفيات لتكون لنا بها العبرة ، وليكون هذا الحاضر دليلاً على المستقبل الزاهر

ففي سنة ١٩٠٦ أنشأ المرحوم الشواربي (باشا) مستشفى في قليوب وبعد أن بناه وأثنته وقف عليه دخلاً في السنة ١٤٠٠ جنيه ، وفي هذا المستشفى ٥٩ سريراً ونفقته في السنة ٣٧٠٠ جنيه ، فالحكومة تديره وتدفع عجز النفقة .

وفي سنة ١٩٢٣ سامت ( شركة كوك ) داراً في الأقصر للمستشفى بسع ٢٦ سريراً وتنفق عليه الحكومة في العام ٢٢٠٠ جنيه وفي سنة ١٩٢٤ تبرع أهالي مركز ( طمطا ) ببناء المستشفى وتأثنته وهو يسع ١٥ سريراً وينفق عليه في السنة ألفا جنيه .

وفي سنة ١٩٢٥ سلم صالح الموم (باشا) مستشفى في (مغاغة) لمصلحة الصحة وهي تنفق عليه في السنة ١٨٠٠ جنيه



## - ٣٩٥ -

وفي سنة ١٩٢٦ سلم أهالي (ماوى) ومجلس المديرية للصحة مستشفى  
يسمى ١٦ سريراً ونفقته في السنة ١٦٠٠ جنيهه :

وفي سنة ١٩٢٦ سلم الشورى بى (بك) لمصلحة الصحة مستشفى فى (بريم)  
يسمى ٣١ سريراً ونفقته فى السنة ١٥٠٠ جنيهه .

وفي سنة ١٩٢٧ أنشأ أهالي (ميت غمر) بمساعدة مجلس المديرية  
مستشفى يسمى ٣٢ سريراً ونفقته فى السنة ٣٠٠٠ جنيهه :

وفي سنة ١٩٢٨ أنشأ مجلس المديرية فى (الفكرية) مستشفى يسمى ٢٤  
سريراً .

واليوم يقوم بدرأوى عاشور وينشئ مستشفى فى بلده (درين) يسمى ٢٤  
سريراً . وقد وعد بتسليمه قريباً لمصلحة الصحة :

وقد أنشأت الست نبيهة هانم كريمة المرحوم عبد الله عزت (باشا) وحره  
المغفور له محمود حمدى (باشا) الأرنؤوطى مستشفى ببلدة (التوفيقية) مركز إيتاى  
البارود ووقفت عليه مائتى فدان .

فأنت ترى من هذا الاحصاء البسيط ، ومن تاريخ إنشاء هذه المستشفيات  
أنه لا يمر عام دون أن تتسلم مصلحة الصحة مستشفى يقوم به فرد أو يقوم  
بإنشائه جماعة . أفلا ترى أن هذا المستشفى الكبير الذى وضع أمس حجر  
أساسه وهو مستشفى المحسن الكبير عبد الرحيم (باشا) الدمرداش جاء متوجاً  
لجميع الأعمال التى تقدمته ؟

« الأهرام فى يوم الاحد ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨ »

## كلمة حضرة (صاحب الدولة) رئيس الوزراء في وضع أساس مستشفى الدمرداش

ياخامة اللورد ، يا حضرات السادة والسيدات :  
يسرنى كل امرور أن أضع باسم الله الرحمن الرحيم حجر الأساس في هذا  
البناء الذى تعده أريحية حضرة المحسن الكبير السيد عبد الرحيم الدمرداش لجميع  
المعوزين والمرضى من أى جنس كانوا ومن أى دين ؛ لأن الجميع من بنى الإنسان  
هذا البناء الخيرى الذى جادت به أريحية حضرة صاحب السعادة المحسن  
الكبير السيد عبد الرحيم الدمرداش (باشا) سيكون إن شاء الله بمثابة رحمة للمعافين  
من الناس ، يذكرون السيد الدمرداش وآلاءه كلما خلصوا من آلامهم ،  
وبرثوا من أسقامهم وأمراضهم ، ويسألون الله أن يعطيه من الصحة بقدر ما  
أسدى لهم من الخير وتخفيف الآلام .

وأنت أيها السيد الجليل نسأل لك الصحة وسرعة العمل في بناء هذا  
المستشفى الخيرى حتى تشهد افتتاحه في وقت قريب .

وإن الأمة حكومةً وشعباً لتذكر لك ولحضرة حرمك وحضرة كريمتك  
هذا العمل المجيد بكل فخر مقرون بالحمد والثناء ، جزاكم الله الجزاء الأوفى ،  
وألهمنا جميعاً كل ما فيه حسن العمل النافع في ظل حضرة صاحب الجلالة  
الملك أيده الله ، هذا وقد تم بناء المستشفى وفتحت أبوابه للقاصدين من

المرضى ، ودفن بجواره صاحبه رحمه الله .

« الأهرام في يوم الأحد »

٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨

### الجمعيات الخيرية وفوائدها

من عهد أن أخذت مصر تستعيد غابر مجدها على يد رجلها الخالد ( محمد على باشا الكبير ) رأس العائلة المالكة لقي الأجانب من ولاتها على التوالي — خلافاً لـ قصيرة — تشجيعاً على القدوم إليها فأقبلوا يتوافدون عليها زرافات ووحداً ، إذ وجدوا بلداً أميناً ، ومشوى كريماً فاتخذوها وطناً ثانياً ، وشمروا عن ساعد الجسد يستثمرون جهودهم وأموالهم فيها . وبطبيعة الحال لم يكن جميعهم بمفلحين ، بل ساءت حال البعض منهم ، فالتف ذوو البأساء على مواطنيهم أوجأوا إلى رؤساء دياناتهم فرأى أصحاب المكاثة من هؤلاء أن من المتعين عليهم إغاثة الملهوفين من إخوانهم والأخذ بناصرتهم ، تدفعهم النخوة الانسانية والنصرة الوطنية أو العاطفة الدينية ، ومن هنا نشأت فكرة تأسيس الجمعيات الخيرية ثم اقتدى بهم سائر الطوائف والهيئات الأخر فأنفقوا جمعيات على هذا النحو يعضدهم أولو البر والتقوى منهم .

ولهذا ترى جمعية خيرية لكل طائفة ، ولكل جالية تقريباً في القطر

## — ٢٩٨ —

المصرى ، وهالك أسماء الجمعيات الخيرية الشهيرة بمصر :

« الجمعية الخيرية الإسلامية — جمعية العروة الوثقى بالإسكندرية — جمعية المساعي المشكورة بشبين الكوم — جمعية التوفيق القبطية — الجمعية الخيرية بمصر — جمعية الروم الأرثوذكس — جمعية المساعي الخيرية المارونية — جمعية المؤاساة الإسلامية — جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية — جمعية الهلال الأحمر المصرية — جمعية أمهات المستقبل — جمعية حماية الأطفال — جمعية الإسعاف العمومية — جمعية الرفق بالحيوانات »

فالجمعيات الخيرية هي إذن إحدى ظاهرات الرق البشرى ، لأنها الدليل الحسوس على عاطفة نبيلة ألا وهي التضحية يبعثها نكران الذات وحب الخير للغير .

وهي جديرة بكل تقدير وتشجيع ، لأنها تمثل الإحسان في أحسن صورة من حيث إنها تضع الندى في موضعه ، وبالتالي فهي الإحسان المنظم مجسماً .

تألفت الجمعيات الخيرية من وطنية وأجنبية لغاية واحدة هي : الأخذ بيد من غلب على أمره في ميدان الحياة على تنوع في تنفيذ تلك الغاية ، فكم أنشأت من مدرسة ، ومشغل ، وملجأ ، ومستوصف ، ومستشفى ، وكم وزعت من إعانات نقدية وعينية مما يفوق الوصف ، وكم استفاد منها الألوف ، ولولا تلك المساعدات لعادوا عالة على إخوانهم بل خطراً على الأمن العام ذاته .

ولا عجب فقد يما قليل : إن الفقر أس الرذائل .

وقد رأت الحكومة السنية الساهرة على الأمن العام والنفع العام بمجهود الجمعيات الخيرية وما أثرها الغراء ، فوجدت فيها أداة نافعة تقوم بخدمة اجتماعية من حيث إنها تخفف من ويلات الفقر والبطالة فهي بذلك تنفق وأغراض الحكومة من حيث تنظيم الإحسان وتوطيد الأمن العام ، وقد رأت الحكومة أيضا في الجمعيات الخيرية هيئات محترمة خليقة بالتعصيد فشجعته على المضى في سبيلها ومساعدتها المشكورة وبذل المزيد من همة أفرادها ، وذلك بأن منحت بعضها إعانات سنوية ، وخولت للبعض الآخر إصدار أوراق (يانصيب) باسمها تديره بشروط معينة وتصرف غلته في أوجه البر التي تتولاها . فسارت هذه الجمعيات في حياتها المفيدة سيرا حثيثا وازداد عدد المنتفعين بخيراتها ومبراتها ، جزى الله الحكومة والقائمين بأمر هذه الجمعيات خير الجزاء ، إنه السميع الجيب .

---

## نبذة صغيرة في سير بعض العظماء

١ — عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

هو أبو حفص ، حفيد عاصم بن عمر بن الخطاب ، وسابع خلفاء بني أمية وُلد سنة ٦٠ هـ بمصر وأبوه وال عليها . ولما ترعرع أرسل من مصر إلى المدينة ليتأدب فيها على العلامة عبد الله بن عبيد الله ، فلم يزل معه حتى صار إليه المنتهى في جميع علوم عصره .

ولما تولى ابن عمه سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ طلبه إليه واتخذ وزيراً له وأطلق يده في أمور الخلافة فقام بها خير قيام .

ثم لما مات سليمان سنة ٩٨ هـ خلفه هو بعهد منه فصعد المنبر وقال : « أيها الناس والله ما طلبت هذا الأمر قط في سر ولا علانية ، وإني خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فمن كان كارهاً لشيء مما وليته فالآن ... ( فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك ورضيناك أميراً لنا ) فلما سكوتوا قال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خاف ، فاعملوا لآخرتكم ، فإن من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وآخرته ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم . أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، فأطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم » .

## - ٣٠١ -

ثم أخذ يدير حركة الخلافة على محور العدل ، فرد المظالم ونشر المكارم ،  
وأبطل سب الإمام على على المنابر وبدله بهذه الآية .

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

فلما بلغت الخوارج سيرته اجتمعوا وقالوا : ما ينبغي لنا أن نتعبد هذا  
الرجل الصالح ، فسكتوا .

ثم إن يزيد بن عبد الملك رأى أن عهده سيطول على هذا العقل والعدل  
والاستقامة فجعل لخادم الخليفة ألف دينار على أن يسمه ، فقتله وكان ذلك  
سنة ١٠١ هـ .

وكان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

« نهارك يا مغرور سهو وغفلة      وليك نوم والردى لك لازم »

« يترك ما يفنى وتفرح بالمنى      كما غرَّ بالذات في النوم حالم »

« وشغلك فيما سوف تذكره غبه      كذلك في الدنيا تعيش البهائم »

ومات عن اثني عشر غلاماً لم يترك لهم شيئاً . ولما حضرته الوفاة جمعهم  
وجعل يصوب نظره فيهم ويصعده ، حتى اغرورقت عيناه بالدموع ثم قال :

بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم ، يا بني إني خيرت نفسي بين أن تفقرو  
إلى آخر الأبد وبين أن يدخل أبوكم النار فاخترت الأول .

— ٣٠٢ —

يا بني عصمكم الله ورزقكم ، وكلت أمركم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو  
يقولى الصالحين .

وكان عنده وقتئذ مسلمة بن عبد الملك فوهبه أربعين ألفا ليفرقها على  
أولاده وقال له : عن طيب نفس فعلت ؟ .

فقال له مسلمة : لقد جمعت علينا قلوباً متفرقة وجعلت لنا فى الصالحين  
ذكراً .

وهو أول من فرض لأبناء السبيل ، ولم يكن خليفة للمسلمين فقط بل هو  
فيلسوف عظيم ، وفقية كبير ، اجتمعت فيه الصفات العالمية ، والخلال المجيدة ،  
فكان القدوة الحسنة لمن وليه من الخلفاء ، ومثال الاستقامة والزهد ، حكم أمته  
بالعدل ، ونهجه منبهجاً قوياً ، فصار نموذجاً للعالمين .

عرف هذا الملك العادل كيف يدير مملكته ، وكيف يسير به فى طريق  
الإصلاح والرقى ، استفتح ولايته ببيع ما كان يملكه سليمان من ملابس  
وغيرها ، حتى اجتمع لديه من ذلك مبلغ عظيم ، ثم وضع الثمن فى بيت المال كما  
وضع فيه ثوب زوجته بنت عبد الملك علماً منه أن ما أنفق عليه إنما كان من  
بيت مال المسلمين .



## ٢ - هارون الرشيد بن المهدي

هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، برع بالخلافة يوم وفاة أخيه موسى الهادي ، وكان عمره حين ولي اثنتين وعشرين سنة ، ولما مات الهادي جاء إليه يحيى بن خالد البرمكي وهو نائم في فراشه فقال له : قم يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد : كم تروني إعجاباً منك بخلافتي ؟ فكيف يكون حالي مع الهادي إذا بلغه هذا ؟ فأعلمه بموته وأعطاه خاتمه ، وبينما يحيى بن خالد يبشر الرشيد بالخلافة إذ دخل عليهما مبشر بمولود للرشيد فسماه عبد الله وهو المأمون في ليلة واحدة مات خليفة ، وتولى خليفة ، وولد خليفة . وفي هذه السنة ولد محمد الأمين بن الرشيد أيضاً فكان المأمون أكبر منه .

وفي سنة ١٧٠ هـ استوزر الرشيد يحيى بن خالد وقلده أمر الرعية وأعطاه خاتمه ، وفي ذلك قال إبراهيم الموصلي :

« ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولي هارون أشرق نورها »

« يمين أمين الله هارون ذي الندى فهارون واليها ويحيى وزيرها »

ويقصر الواصفون عن وصف مناقب هذا الخليفة الذي أقل ما يقال فيه إنه جعل الخلافة علماً هو مسماها ، فكان أنيساً ودعياً إلى الغاية ، شديد الرغبة في قضاء حاجات الناس ، محافظاً على راحة رعاياه . وذكروا أنه كان يطوف في

## - ٣٠٤ -

أ. كثر الليالي متخفياً في أسواق بغداد وشوارعها ليقف على أحول الناس ، فإذا رأى أحداً منهم مظلوماً أعانه وأنصفه .

وكان يحب المديح ، لا سيما من شاعر فصيح ، ويرغب في العلم والعلماء ، ويبدل لهم العطاء ، حتى قيل إنه لم ير خليفة قبله أعطى منه المال ، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن .

قيل : صنع مرةً وليمةً عظيمةً ، وزخرف مجالسه ، وأحضر أبا العتاهية الشاعر وقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا .  
فقال أبو العتاهية :

« عش ما بدالك سالماً

في ظل شاهقة القصور »

فقال : أحسنت ، ثم ماذا . فقال :

« يسعى إليك بما اشتيت لدى الرواح وفي البكور »

فقال : أحسنت ، ثم ماذا . فقال :

« فإذا النفوس تقمعت في ظل حشجة الصدور »

« فهناك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور »

فبكى الرشيد ، فقال الفضل بن يحيى : بعث إليك أمير المؤمنين تسرد فأحزنته ، فقال : دعه ، فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه .

« تاريخ دول الإسلام »

وكان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرماهم .  
 كان يحج سنة ، ويفر سنة كذلك ، مدة خلافته إلا سنين قليلة .  
 قالوا : وكان يصلى فى كل يوم مائة ركعة ، وحج ماشياً ، ولم يحج خليفة  
 ماشياً غيره ، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبناؤهم ، وإذا لم يحج أحج  
 ثلاثمائة رجل بالنفقة السابعة والكسوة الظاهرة الفاخرة ، وكان يتصدق من  
 ماله الخالص كل يوم بألف دينار .

وكان على الهمة ، موصوفاً بالحلم وحسن التدبير ، يميل لأهل العلم ويعظم  
 حرمان الإسلام .

ولما جلس على كرسى الخلافة اشترك معه يحيى وزيره فى تدبير شؤونها  
 فبلغت من السعادة والكمال ما لم تذله من قبل ، وسطعت فى خلافته شمس  
 المعارف والآداب ، وكتبت الكتب التاريخية والأدبية وترجمت المؤلفات  
 الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية إلى العربية واتسعت دائرة التجارة ،  
 وامتدت الفتوحات .

وقد أضاء فى زمنه كوكب سعد البرامكة ، الذين هم من الفرس وحرصوه  
 على إحياء الفنون والتجارات والصنائع ، ثم وشى بهم إليه فى السنة السابعة  
 عشرة من حكمه ، فقتل أعظم وزرائه: الفضل وجعفر البرمكى مع جميع أسرته .  
 ويقال : ان هارون انتصر فى ثمان حروب حضرها بنفسه أعظمها غزوة  
 ( هرقلة ) لأب الروم خلعت الملكة ( ايرينى ) التى كانت تعظم الرشيد  
 ( ٢٠٠ - سبى رابع )

## - ٣٠٦ -

وتبجله ، وولوا ( تيقيفور ) فلما تمكن من ملكه كتب إلى الرشيد أنه عازم على التجول في بلاده والمهجوم على أمصاره ؛ فلما بلغ الرشيد ذلك جمع جيشاً جراراً فيه قواد براسل ، وتوغل بهم في بلاد الروم وجد في السير ، وجعل يقتل ويغنم ويسبي ، ويحرب الحصون ، حتى أناخ على ( هرقله ) وهي من أوثق حصون الروم ، وأعزها جانباً ، وأمنعها ركناً ، فحاصر أهلها وضايقهم ، ففتحوا له الأبواب مستأمنين .

ولما رأى ذلك ( تيقيفور ) ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وفر هارباً ، ثم رجع الرشيد إلى بغداد .

وفي مدة خلافته كان على مملكة فرنسا ( كارلوس ) الأكبر المعروف ( بشرلمان ) وكان بينهما مودة زائدة ، وكان الرشيد كثيراً ما يهدي إليه ، ومن جملة ما أهداه إليه شطرنج ثمين ، وساعة شمسية دقافة من مخترعات بلاده ، وأرسل له مفاتيح كنيسة القدس مع أمر لنوابه أن يعاملوا الزوار الذين يأتون لزيارة الأراضي المقدسة أحسن معاملة .

ولما بلغه عصيان غامله على ( سمرقند ) وهو ( رافع بن الليث ) سار إليه فرض بالطريق ، وأقام ( بطوس ) إلى أن مات فيها ودفن بها سنة ١٩٣ هـ وكانت خلافته ٢٣ سنة وعمره ٤٦ سنة

« البهجة العباسية »

في تاريخ مصر والأمة العربية

## عبد الله المأمون بن هارون الرشيد

لما انقضى عهد الأمين ببيع المأمون البيعة العامة في بغداد .

وكان هذا الخليفة من أعظم رجال العصر همةً وذكاءً وعدلاً وحجاً للتمدن والعلوم ، ونشر المعارف والصنائع ، وكل ما يوصل لعمارة البلاد ، فربط العلائق التجارية بين الأقاليم المختلفة ، ونشر سائر العلوم والصنائع حينما رأى ميلاً إلى ذلك من عرب الممالك الشرقية ، الذين أخذوا يعرفون التمدن وفوائده ، وصار يحرض الناس على استعمال أذهانهم في الأمور النافعة ، حتى وصلوا في أقرب وقت إلى درجة عظيمة من التمدن وتقدموا على اليونان في التجارة والصنائع والفنون الأدبية وغيرها ، التي ظن اليونان ألا سابق لهم فيها .

وكان مجلسه مشحوناً بالعلماء والأدباء ، يتناظرون ويتباحثون - اتسعت دائرة الأفكار ، وجعل بغداد مركزاً للعلم ، وكاتب ملوك الروم ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة ، فبعثوا إليه ما طاب لهم منها ، فكلّف بترجمتها أمهر التراجمة ، وانما كلّفهم بذلك لأنه كان يعلم أن أعظم شيء لسعادة الأمة وسلامتها في المعارف ، فأقبل على طلب العلوم وأكثر من فتح المدارس وتأسيس دور الكتب ، واستحضر الكتب النفيسة من جميع الأقطار حتى تقدمت العلوم تقدماً زائداً ، وبنوا الرصد خانة ووضعوا فيها الآلات العظيمة وتقدم علم الطب والتاريخ والفلك ، الذي كان هو معدوداً

## — ٣٠٨ —

من رجاله ، والرياضات والصناعات خصوصاً الآلات الميكانيكية .  
وبالجملة لم تبلغ الأمة العربية أعلى درجات المجد والشرف والرفعة أكثر  
مما بلغت في مدة هذا الخليفة .

ثم مات في سنة ٢١٨ هـ بعد أن حكم ٢٠ سنة وعمره ٤٩ سنة ودفن  
( بطرسوس ) « كتاب البهجة العباسية »  
« في تاريخ مصر والأمة العربية »

## صلاح الدين بن أيوب

بعد موت الخليفة الفاطمي سنة ٥٦٧ هـ استولى صلاح الدين بن أيوب  
على قصر الخلافة وعلى جميع مافي من الأمتعة الثمينة والتحف الغالية ، وتبوأ  
تخت الحكومة ، وليصفو له الجو أخذ يستأصل شيعة الفاطميين . فإنه لما نبى  
إليه أن طائفة منهم تواطأوا على أن يستدعوا الأفرنج من ( بصلقية ) وسواحل  
الشام ليخذلوه ويعيدوا الدولة الفاطمية وأرسلوا الرسل سراً بذلك ، قبض على  
هذه الطائفة وأمر بصلبهم .

ولما وصلت الرسل إلى الأفرنج ( بصلقية ) تجهزوا وبعثوا سفنهم مائتي  
أسطول للمقاتلة ، فيها خمسون ألف راجل ، وألفان وخمسمائة فارس ، وثلاثين  
مركباً للخيول ، وستة مراكب لآلة الحرب ، وأربعين للأزواد ، ووصلوا إلى

## - ٣٠٩ -

ساحل الإسكندرية سنة ٥٧٠ هـ وقاتلوا أهلها، ونصبوا المجانيق عليها وطار الخبر إلى صلاح الدين بالقاهرة، فجاء على جناح السرعة آخر النهار واهتاج قومه إلى الحرب، فخرجوا عند اختلاط الظلام، وفاجأوا الأفرنج في خيامهم، فبادروا إلى ركوب البحر، فماتوا بين قتل وغرق، ولم ينج منهم إلا القليل، ولما أصبحوا ألقوا بأساطيلهم راجعين .

ولما مات (نور الدين محمود بن زنكي) ملك الشام سنة ٥٦٩ هـ وورث الملك عنه ابنه الصغير، ورأوا أنه لا يقوى على دفع الأفرنج الذين كثروا غزوهم للبلاد أرسلوا إلى صلاح الدين ليملكه عليهم، فجاء سنة ٥٧٠ هـ وشرع في الاستيلاء على الشام بحجة أنه يدافع عن حقوق الوارث، ويحفظ ملكه. إلى أن يبلغ أشده، فأخذ دمشق وحصن وحماه، وهؤلاء لا يظهر إلا الطاعة للملك القاصر، لكن ظهر مأربه بمحاصره لمدينة (حلب) التي كان فيها الملك نفسه، وبقي محاصراً للمدينة إلى أن بلغه أن الأفرنج نزلوا (حصن) فرحل إليها وأجلاهم عنها، ثم صار إلى (بعلبك) فلما .

وفي سنة ٥٧١ هـ هزم صلاح الدين سيف الدين غازي صاحب الموصل وغنم أثقال عسكره .

وفي آخر هذه السنة حاصر قلعة (إعزاز) حتى أخذها ثم نازل (حلب) وحاصرها حتى سأله الصلح فأجابهم إليه ورحل عن المدينة سنة ٥٧٢ هـ .  
ولما جاء إلى مصر في هذه السنة أمر ببناء سور يحيط بمصر والقاهرة وقلعة

المقطم التي بناها وزيره ( بهاء الدين قراقوش ) وأنشأ بها القصر الملكي الذي محله الآن جامع محمد علي ( بالقلعة ) .

وفي سنة ٥٧٣ هـ سار صلاح الدين وجنده إلى ساحل الشام لغزو بلاد الأفرنج فانتهى إلى ( عسقلان ) ولم يروا للأفرنج خبراً فساحوا في البلاد واغتنموها واقلبوا إلى ( الرملة ) فمراهم إلا الأفرنج مقبلين في جموعهم وابطاهم فاشتد القتال وآل الأمر إلى هزيمة صلاح الدين مع فل قليل إلى مصر .

وفي المحرم سنة ٥٧٨ هـ خرج صلاح الدين من مصر قاصداً الشام فدارت أرحاء الحروب بينه وبين معارضيه والأفرنج عدة سنين في وقائع كثيرة استولى فيها على مدائنهم وحصونهم وأموالهم . ومن أشهر هذه الوقائع واقعة ( حطين ) سنة ٥٨٣ هـ فإنه لما فتح ( طبرية ) عنوة واعتصم أهلها بالقلعة تهييج الأفرنج وأتوا لرد صلاح الدين وجنوده عند تل ( حطين ) فاشتعلت نار الحرب بين الفريقين وحى الوطيس ودارت الدائرة على الأفرنج فإنه لم يبق من ألوفهم المؤلفة إلا نحو ١٥٠ من خلاصة زعمائهم وقد أسروا مع مليكهم والبرنس ( ارناط ) صاحب ( الكرك ) وقد أكرم صلاح الدين مثوهم إلا أنه قتل البرنس جزاء غدره ونقضه العهد السابقة .

وبعد هذه الواقعة فتح عدة مدائن بلا عناء ولا تعب إلى أن نازل القدس وبه من الأفرنج عدد يفوق الحصر فطلبوا الأمان فأمنهم على شرط أن يدفع كل رجل عشرة دنانير وكل امرأة خمسة وكل طفل دينارين ، ومن عجز عن



## - ٣١١ -

الأداء كان أسيراً، فأجيب إلى ما طلب وسلمت إليه المدينة في رجب من هذه السنة.  
ولما وصل نبأ هذه الحادثة إلى أوروبا أنت الأساطيل الأفريقية إلى  
السواحل الشامية ليستردوا بيت المقدس فلم يتمكنوا إلا من فتح (عكا) وعقدوا  
صلحاً وثيقاً مع صلاح الدين ورجعوا إلى بلادهم سنة ٥٨٨ هـ .  
ومات السلطان صلاح الدين بدمشق سنة ٥٨٩ فتكون مدة حكمه ٢٢  
سنة كلها غزو وجهاد وفتوح للبلاد وكان عادلاً فاضلاً حكماً حليماً ذا سياسة  
ودهاء « تاريخ مصر القديم والحديث »

## محمد علي (باشا) رأس الأسرة المالكة

وُلد هذا الرجل الهمام بمدينة ( قوله ) التابعة لولاية ( سلانيك ) فكان أبوه  
يسمى ( ابراهيم آغا ) أحد الضباط بهذه المدينة وله تاريخ طويل قبل تولية  
الأريكة الخديوية يدل على علو نفسه وشدة بأسه .  
ولما صدرت الإرادة السنية ( بفرمان ) يأذن له بتولية الديار المصرية  
في أواخر شعبان سنة ١٢٢١ هـ أخذ في استعمال الوسائل اللازمة لراحة  
البلاد تارةً باللطف ، وتارةً بالعنف ، حتى أذعن له أمراء المماليك فأقطعهم  
البلدان والأقاليم فاستتب الأمن بسبب ذلك ، والتفت لإصلاح الأحوال

## - ٣١٢ -

الداخلية ، فنشر الزراعة والتجارة ، وأدخل بمصر زراعات مختلفة أهمها زراعة القطن ، وأكثر من غرس الأشجار لترطيب الجو ، وحفر ترعة الحموديه التي توصل مياه النيل إلى الاسكندرية لتحمل عليها التجارة من هذه المدينة وإليها ، وأنشأ جملة معامل لانتشار الصناعة ، وأسّس مدرسة الطب ومدارس لتعليم الشبان المصريين ، ومدرسة عسكرية ومدرسة المدفعية (للطوبجية) وبنى في الإسكندرية (ترسخانة) لعمارة السفن ، وقسم القطر إلى مديريات ، على كل مديرية منها حاكم يعرف بالمدير ، والمديريات إلى أقسام وأخطاط ، على كل منها مأمور أو حاكم .

ومن أعماله المهمة تشييد ( القناطر الخيرية ) وإنشاء معامل ( فابريكات ) الغزل ، ونسج قطن ، والحرير ، والكتان ، والصوف .

وبالجملة فقد دخلت مصر في أيامه في دور جديد ، وأخذت في الأهمية التي لا مزيد عليها ، وله خدمات جليلة للعالم الإسلامي عموماً والسلطنة السنية خصوصاً ، أخضعها فتح طريق الحجاز لحجاج بيت الله الحرام وتخليصه من أيدي الوهابية ، وضبط مفتاح الكعبة المشرفة من يد زعيمهم وإرساله للآستانة العلية ، حتى كان لهذا الأمر وقع عظيم لدى السلطان ، فجعله موضع ثقته في كل مهمة ، ومحل اعتماده في حل كل مشكلة ؛ ولكن كبر ذلك على ذوى الدسائس فأخذوا يسعون بالفساد ، حتى كان ما كان من الحروب التي حصلت في الشام .

وفي سنة ١٢٥٦ صدر (الفرمان الشاهاني) بتحويل (محمد علي باشا) وأسرته وراثته الحكومة المصرية والأقاليم السودانية .

وبعد خمسة شهور صدر (فرمان) آخر مثبت لهذه الورثة بشرط أن من يتولى منهم لا يبدله من (فرمان) جديد .

ثم اشتغل (محمد علي باشا) في السنوات الأخيرة من ولايته بتحسين إدارة البلاد وترتيب مصالحها الداخلية ، والتفت بالخصوص لإصلاح أحوال الزراعة والتجارة والصناعة التفاتاً كبيراً ؛ إلا أنه في هذه المدة قد كبر وضعفت قواه العقلية ، فوكل إدارة الأمور إلى ولده (ابراهيم باشا) واعتزل في سراي رأس التين بالإسكندرية حتى توفي بها سنة ١٢٦٦ هـ في عهد ولاية حفيده (عباس باشا) وقد حملت جثته إلى القاهرة فدفنت بالقلعة في مسجده الذي بناه في جزء من موضع السراي التي كانت لصالح الدين ، عليه سحائب الرطوبان . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله أولاً وآخراً .

# فهرس

الصفحة	الصفحة
٥٠ عدم التبذل	٣ المقدمة
٥٢ حكايات وأمثال في عزة النفس	٥ منهج الأخلاق
٦٠ الشجاعة	٧ واجب الإنسان نحو نفسه
٦٣ الإقدام	١٢ ترقية الإنسان نفسه بنفسه
٦٤ أمثلة في الشجاعة	١٦ الاعتماد على النفس
٦٨ الشجاعة الأدبية	٢٠ ذكر بعض من نبغوا من العرب
٧٤ حكايات وأمثال في الشجاعة	باعتادهم على أنفسهم
الأدبية	٢٢ الجد والسعى
٧٨ الاعتدال	٢٨ مثال الجد والاجتهاد
٨٢ أمثال في الاعتدال	٣١ البطالة والكسل وسوء عاقبتهما
٨٣ الاقتصاد	٣٤ قوة العزيمة
٨٧ أمثال في الاقتصاد	٣٨ الثقة بالنفس
٨٩ قواعد الاقتصاد	٤١ التواكل ومضاره
	٤٥ الكرامة
	٤٨ احترام النفس

الصفحة	الصفحة
١٤٢ الإخلاص ومراعاة الذمة في العمل	٩١ تدير الوقت
١٤٦ محبة العمل والثبات فيه والمثابرة عليه	٩٩ أمثال في المحافظة على الوقت
١٤٨ أمثلة في المثابرة على العمل	١٠٢ واجب الإنسان نحو أسرته
١٥٠ بذل الجهد في العمل	١٠٣ واجبه نحو والديه
١٥٥ التشجيع على العمل	١٠٦ أمثال وحكايات في فضل الوالدين
١٥٥ عناية الانسان بمسير مهنته	١١٠ واجب الإنسان نحو إخوته
ويعل شأنها	١١٦ واجب الإنسان نحو أقاربه
١٥٩ التضحية في سبيل المهنة	(صلة الرحم)
١٦٢ أمثلة في ضحية الواجب	١١٩ واجب الإنسان نحو الخدم
١٦٤ واجبات وفضائل اجتماعية	١٢٦ واجب الإنسان نحو المدرسة
» الصدق	١٢٧ احترام نظم المدرسة وقوانينها
١٧٠ أمثلة في الصدق	١٢٨ واجب التلميذ نحو المعلمين
١٧٢ الأمانة	والمربين
١٧٧ أمثلة في الأمانة	١٣٢ أمثال من احترام المعلمين
١٨١ الوفاء بالوعد والعهد	١٣٦ واجب التلميذ نحو رفقاءه
١٨٦ أمثلة في الوفاء بالوعد	١٣٧ واجبه نحو أصدقائه
١٨٨ العدل والإنصاف	١٣٩ مثال الصديق الخالص
١٩٤ أمثلة في العدل	١٤٢ واجب الإنسان نحو مهنته
٢٠١ الحلم	

الصفحة	الصفحة
٢٥٣ الأندية الشهيرة	٢٠٤ أمثلة في الحلم
٢٥٦ واجبات المرء نحو الإنسانية	٢٠٦ ضبط النفس
» المؤسسة وجمعية المؤسسة الإسلامية العامة	٢٠٩ امتلاك النفس حين الغضب
٢٦١ أسأل في المؤسسة	٢١٣ كبح جماح الشهوات
٢٦٢ الرحمة والعطف	٢١٣ صيانة اللسان
٢٦٤ أمثلة في الرحمة والشفقة	٢١٨ حكايات وأمثال في حفظ اللسان
٢٦٧ الرفق بالضعيف	٢١٩ حسن المعاملة
٢٧٠ حقوق الحيوان وواجب الرفق به	٢٢٣ أمثلة في حسن المعاملة
٢٧٣ منشأ جمعية الرفق بالحيوان	٢٢٥ التعاون
٢٧٥ حكايات وأمثلة في الرفق بالحيوان	٢٣١ التعاون المالي
٢٨٣ الملاجىء	٢٣٦ الشركات
٢٨٥ جمعية الملاجىء العباسية	٢٣٨ أهم الشركات في مصر
٢٨٧ المستشفيات	٢٤٠ المصارف ( البنوك )
٢٩٠ المستشفيات الأميرية	٢٤٢ بنك مصر وفائده
٢٩٢ مستشفيات وزارة الأوقاف	٢٤٦ المصارف الشهيرة بالقطر المصري
٢٩٤ المستشفيات الخيرية	٢٤٦ الأندية العلمية والأدبية
٢٩٧ الجمعيات الخيرية وفوائدها	٢٤٩ نادى المدارس العليا

— ٣١٧ —

الصفحة	الصفحة
٣٠٧ - ٣ - عبد الله المأمون	٣٠٠ نبذة صغيرة في سير بعض
٣٠٨ - ٤ - صلاح الدين بن أيوب	العظماء :
٣١١ - ٥ - محمد علي (باشا) رأس العائلة	٣٠٠ - ١ - عمر بن عبد العزيز
المالكة	٣٠٣ - ٢ - هارون الرشيد

تم والله الحمد طبع الجزء الرابع من كتاب السمر والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد في البدء والختام

## تربية البنين

كتاب صغير يهدى النشء الى واجباتهم المدرسية ، والمنزلية، والاجتماعية ،  
فيشبون من صغرهم على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الخصال وجليل الأعمال ،  
التي يكونون بها رجالا في المستقبل ، نافعين لأنفسهم ووطنهم ، وأسرتههم .

## تربية البنات

كتاب جليل لتربية البنات تربية اسلامية حقة في أدوار حياتهن المنزلية  
والمدرسية ، والاجتماعية ، ويشمل كثيراً من الحكايات التهذيبية والأناشيد  
الأدبية ، والحكم والأمثال الوعظية ، لتكون بها سيدة مهذبة ، ومدبرة  
عاقلة ، وامرأة صالحة ، نافعة لأمتها وأسرته .



# تيسر القصص

لواضعه

التيد  
على كبرى

الأمين الأول لدار الكتب المصرية سابقاً

هذا الكتاب يقع في خمسة أجزاء :

فالجزء الأول والثاني يشملان مختصر قصص الأنبياء كما ذكرت في القرآن الكريم .

والثالث يشمل مختصر سير الخلفاء الراشدين

والرابع يشمل مختصر أئمة الدين والصالحين

والخامس يشمل مختصر سير أمهات المسلمين وبعض الشهيرات من النساء  
المسلمات . وقد توخى فيه واضعه ، سهولة العبارة ، وحسن الأسلوب ، ليكون  
سهل الفهم ، مناسباً لمدارك الطلاب .





السحيم المهرذب

سلسلة قصصية اسلامية هادفة

من اربعة اجزاء

يطلب من

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان